



الثمن 100 فرنك

العدد السابع
السنة الثانية
أبريل 1959
رمضان
شوال } 1378

العدد السابع
السنة الثانية
أبريل 1959
رمضان } 1378
شوال }

دعوة الحق

مدير المجلة
المكي بادو
رئيس التحرير
عبد القادر الصحراوي

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف. الرباط - المغرب

صورة الغلاف



منظر لمدينة الرباط ماخوذ من « الاوداية » تبدو في اقصى الصورة صومعة (حسان) كما يبدو نهر (ابو رقراق) الذي يفصل العاصمة عن مدينة « سلا » .

بيانات إدارية

تبعث المراسلات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» ــ قسم التحرير ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط ــ المغرب .

الاشتراك عن سنة 1.000 فرنك ، وللطلبة 500 فرنك فقط .

السنة عشرة أعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 ــ 485 ــ الرباط ــ
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT
او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة : «دعوة الحق» ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط ــ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
قسم التوزيع ــ بادارة المجلة .
تليفون 10-308 ــ الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

تهنئة ودعاء

بمناسبة انتصاف شهر رمضان المعظم، واقتراب أيام عيد الفطر السعيد، تتقدم إدارة مجلة "دعوة الحق" وأسرة تحريرها، بأصدق التهاني وأطيب المتمنيات، إلى حضرة صاحب الجلالة الملك سيدي محمد الخامس نصره الله، وإلى سمو ولي عهده الأمير الجليل مولاي الحسن، وإلى الأسرة الملكية الكريمة، وإلى الشعب المغربي قاطبة والأمة الإسلامية جمعاء.

وإننا لنبتهل إلى الله العلي القدير، أن يجعلنا نستقبل مثلها في السنة القادمة، وقد قطعنا أشواطاً بعيدة في تحقيق أهدافنا الوطنية، متحدين متساندين مسترشدين بتعاليم جلالة ملكنا، رمز الوحدة الوطنية، ومثال الحلم والحكمة، ومعتبرين بقوله تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً».



كلمة العدد

رمضان كريم

اوشك شهر الصيام ان يودعنا ماسوفا عليه ، فلئن كنا نجده طويلا بجوعه وعطشه ، وما يجب فيه من الانقطاع عن كثير من العادات والشهوات ، فما احرانا أن نجده قصيرا **(فى طاعة الخلاق) على** حد تعبير شوقي في قصيدته التي يودع بها رمضان ، ويستقبل بها عيد الفطر السعيد .

*

تعم ، ما اقله في طاعة الخلاق ، على الا نفهم هذه الطاعة مجرد انقطاع عن الاكل والشرب لمدة محدودة ، ولكن على أن نفهمها طاعة كاملة ، تشترك فيها جميع الجوارح ، ويشترك فيها الضمير بالدرجة الاولى ، فلا فحش ولا نميمة ، ولا حسد ولا بغضاء ، ولا كراهية ولا حقد ؛ ذلك ان هذه الصفات لن تجد لها مكانا في قلب يعمره الايمان وتملأه الطاعة ، وتستحوذ عليه خشية الله ، ومراقبته في السر والعلانية ؛ وهذا هو المفروض في قلب المسلم دائما ، وفي شهر رمضان على وجه الخصوص .

*

لقد اعتاد الناس ان يطلقوا على « رمضان » صفات كثيرة كلها تحمل معنى التكريم والاحترام ، ولكن احسنها جميعا ـ فيما نرى ـ هي الصفة التي داب اخواننا في المشرق على ان يرددوها في كل يوم من رمضان عشرات المرات ، في مصافحاتهم ، واستقبالاتهم في البيوت ، وفي معرض التهنئة ، وفي فض الخصومات ، وغير ذلك من المناسبات الكثيرة ، وبغير مناسبة اصلا في بعض الاحيان ، وذلك حيث يقولون : **رمضان كريم** .

*

ورمضان كريم حقا ، بجميع انواع الكرم والوانه ، المادية والمعنوية على السواء .

وهل هناك اكرم من شهر يتيح لك الفرصة لتوثيق صلتك بربك ، او لتجديدها ان كان قد طرأ عليها خلال العام ما يجعلها في حاجة الى التجديد ! .

وهل هناك شك في أن الشعور الديني عند كل فرد مسلم يزداد حيوية وقوة خلال شهر الصيام ؟

وهل هناك اروع من ان ترى امة بكاملها مهما تباعدت بها الاقطار او نات بها الديار ، او اختلفت بينها الاتجاهات والعادات والظروف ، يمسك جميع افرادها ساعات معدودة ، طاعة لربهم ، خلال شهر بعينه ، عن مالوف الطعام والشراب والملذات والشهوات والعادات ؟

وهل هناك اكرم من ان يتعود الانسان التحكم في ارادته ، والقدرة على اخضاع نزواته ، والسيطرة على حاجاته الحيوية المادية ، والصبر على آلام الجوع والعطش من غير اكراه يلزمه ذلك ، او مراقبة تفرض عليه ، وانما استجابة لصوت الضمير ، وتنفيذا لامر الله ؟

ذلك اول مظهر من مظاهر كرم رمضان ، فهو يسمو بالمسلم الذي يصومه ايمانا واحتسابا عن درك الحيوانية ، ويرفعه درجات عن اوضار المادة وقيودها ، ويتجه بنظره وفكره وشعوره الى عالم التجرد والجلال عالم الصفاء والطهر ، حيث لا يحول بين الانسان وبين استجلاء عظمة خالقه كثافة المادة ولا اثقالها ، وحيث تزول عن عيني الانسان تلك الغشاوة التي تخلقها البطنة وتراكم الدهن وبطر النعمة واستعباد الترف .

*

ورمضان كريم فيما عدا ذلك ايضا ، فهو شهر المبرات والصدقات ، تنشرح فيه النفس للاحسان ، وتتسع آفاقها لمشاركة البائسين وجدانيا آلامهم ، ومشاركتهم عمليا في النعمة التي اتاحها الله ، وجعل فيها حقا معلوما فيها للبائس والمحروم .

واذا كان العصر الذي نعيشه لا يقول بالاحسان ، وانما يقول باتاحة الفرصة ، فلا اقل - ريثما يتاح ذلك - من ان نسير في الاحسان الى أبعد حدوده الممكنة ، على ان يكون احسانا منظما ، وبكيفية تحفظ على المواطنين كرامتهم وانسانيتهم ، ولعل في الكيفية التي تظم بها الاسعاف في هذا الشهر من هذه السنة بالذات ما يحقق شيئا من ذلك ، وان كانت الحاجة الى تكافل المواطنين وتساندهم لا تقتصر على شهر بعينه ، وانما هي دائمة مستمرة .

ونحن نقترح بهذه المناسبة ، ان تفرض ضريبة خاصة ، وتصاعدية على راتب الموظف ودخل التاجر واجر العامل ، وعلى جميع المستهلكات التي تدخل في الترفيه والكماليات ، تكون الغاية منها تمويل اسعاف منظم مستمر ، ينال منه العاطل ريثما يجد عملا ، والعاجز ريثما يسترد القدرة على السعي ، ويتبع كل ذلك ، القضاء نهائيا على ظاهرة التسول المخجلة التي لم تعد كما كانت من قبل محصورة في الازقة والدروب الضيقة ، وانما اسفرت عن وجهها نهائيا ، وخرجت الى الشوارع العامة والمقاهي ، حيث يكثر الاجانب والسواح ، وحيث يصعب على من يرغب في الاحسان ، ان يميز من يطلبه لحاجته اليه ، ومن يطلبه احترافا ، وما اكثر هؤلاء واولئك معا ، وما اصعب التمييز بين الفريقين .

*

ورمضان كريم فيما عدا ذلك ايضا ، فالصيام عبادة ، والعبادة ليست مجرد عمل تؤديه الجوارح ، وانما هي قبل كل شيء تأمل وتفكير ، والتأمل الصحيح والتفكير العميق الصادق ، لن يؤدي كل منهما الى ما هو خير وجمال وصدق ، وقد علمنا الدين ان من تمام الصيام امساك اللسان عن الثرثرة وكثرة الكلام في غير موضوع مفيد ، حتى لا ينزلق اللسان الى معصية ، او ينشغل القلب عن التأمل بسفساف القول وتافه الكلام .

وقد كنا جديرين كمسلمين ، ان نلجم السنتنا واقلامنا - خلال شهر الصيام على الاقل - عما تزخر به بعض صحفنا من التفاهات والترهات ، وتبادل الفضائح والاشاعات ، والنيل من كرامة الناس ونهش لحومهم ، وغير ذلك مما لا يفيد الا في توسعة شقة الخلاف ، ولا يستفيد منه الا المستعمرون .

وهل احب الى هؤلاء واجدى عليهم من فتح جبهات داخلية للحرب في بلادنا ، تصرفنا عنهم وعن عبثهم واستهتارهم وكيدهم وتربصهم بنا الدوائر ؟

لقد كنا جديرين ان نتخذ من شهر الصيام هدنة ، ان لم نتخذ منه فرصة لمراجعة مواقفنا ومحاسبة انفسنا !

لفائدة من هذه المعركة التي كنا في غنى عنها ؟

لفائدة من نبذر بايدينا في صفوفنا بذور الشك والحيرة والبلبلة ؟

لفائدة من نحاول ان نحطم قادتنا وان نجردهم من كل فضيلة ؟

ان الخلاف في الراي والوجهة واسلوب التفكير شيء من طبيعة الكون ، لا يمكن لاية قوة ان تقف في وجهة او تحول دون حدوثه ، ولكن الذي ليس طبيعيا ولا معقولا هو ان ينقلب الخلاف في الراي او او الوجهة او اسلوب التفكير الى معارك غير ذات اهداف واضحة ، ينعدم فيها الاحترام نهائيا ، وتموت الكرامة ، وتنطلق ابالسة الشر لتجري على الاقلام سما قاتلا .

ان الله تبارك وتعالى يقول : **ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات** ، فهلا سار كل منا في وجهته ، واستبقنا الخيرات ؟ .

اما الخيرات بالنسبة لاحوالنا وظروفنا فهي تحقيق الاهداف الوطنية والاجتماعية ، وستكون المعركة حتما لمن يستطيع ان يجد الشجاعة الكافية

لتحويل المعركة عن ميدانها الوهمي الى ميادينها الحقيقية ، لمن يتصامم عما يناله من سوء في شخصه من الآخرين ، ويتوجه بكليته ، ويوجه المواطنين معه ، الى الاهداف الوطنية الصحيحة ، هناك في الصحراء ، وفي سبتة ومليلية ، وفي مطارات الاحتلال وثكناته ، وفي المدرسة والحقل والمعمل والمصرف ، وفي المجالات السياسية الدولية ، وفي غير ذلك كثير .

فهل نستبق الخيرات ؟

اننا لم نيأس بعد ، ولا ينبغي لنا أن نيأس ، ونحن لا نزال نرجو أن تكون هذه المحنة سحابة صيف ، يصفو بعدها الجو ، وتنقشع الغمة ، ويسود الاحترام المتبادل والمحبة التي تفرضها المواطنة ، محل الخصام العنيف والمجادلة العقيمة .

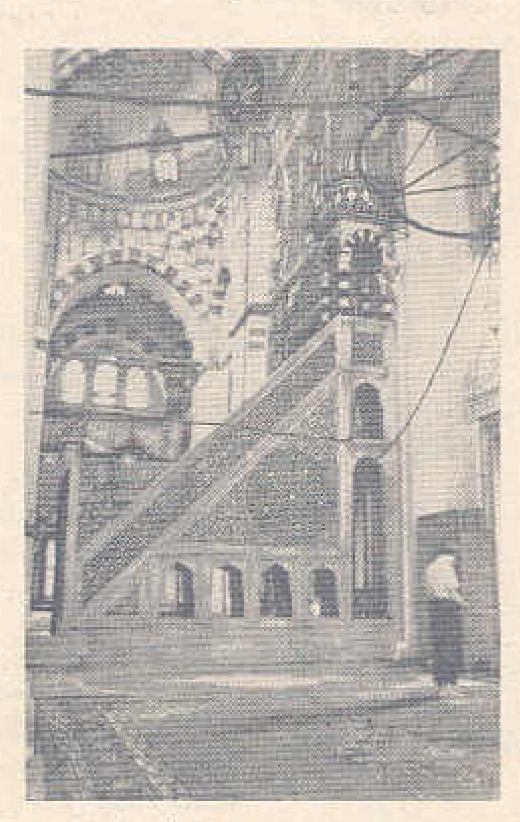
واذا كان لابد من خلاف ، فلنا مندوحة في التعبير عنه بالمنطق والحجة والنقاش الهادىء الرزين ، على الا نسمح لشيء من ذلك بأن يشغلنا عن الاهداف الوطنية الصحيحة .

*

وبعد ، فلعل الذين اعتادوا ان يرددوا : **(رمضان كريم)** لا يقصدون اكثر من التحية او الاعتذار عن واجبات الضيافة ، او التنبيه الى ما ينبغي من الحلم عندما ينحرف المزاج وتتوتر الاعصاب ، ولكن كرم رمضان شيء فوق كل ذلك ، فهو شهر المغفرة ، وشهر التأمل والعبادة ، وشهر الاحسان والرحمة ، وهو الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

فهل نتيح لانفسنا الفرصة الكاملة لكي نستفيد من كرم رمضان ؟ ... نرجو ان نفعل ، **ورمضان كريم** .

دعوة الحق



مسجد شاه زاد ــ اسطامبول

الاسلام ونظرية جيسل

حول التداول النقدي

للزعيم الاستاذ علال الفاسي

اعتاد الماليون ورجال الاقتصاد ان يعطوا لتداول العملة قيمة كبرى ، على اساس ان النقد غاية لذاته . فيجب ان يكون قويا في غطائه ، وان يكون هذا الغطاء عملة ذهب يمكن لمن يحمل الورقة البنكية ان يطالب بقيمتها الذهبية المكتوبة عليها ، وذلك طبقا لنظرية الاقتصاد الحر .

وقد ظهر منذ زمن غير بعيد ان الغطاء الذهبي ليس هو كل شيء في قوة العملة . وكان للخبراء الالمانيين في عهد الوطنية الاشتراكية فضل انجاح التجربة التي تقوم على اساس ان العمل هو كل شيء ، فعطاؤه اقوى من غطاء الذهب والجواهر ، على اعتبار ان الغاية هي تداول النقد ، فما دام معمولا به ومضمونا من الدولة الا وهو ذو قيمة حقيقية وان لم يكن لديه من الرصيد الذهبي قدر ولو ضئيل .

وقد ظهرت اليوم نظرية جديدة حول تداول النقد للاستاذ **(سلفيو جيسل)** الذي افاض الاستدلال لها في كتاب خاص سماه : **(النظام الاقتصادي الطبيعي)** .

والمبدا الاساسي لهذه النظرية هو أن قيمة النقد وقوته الشرائية ، لا تتعلق الا بالمقادير المتداولة منه ، وليس كما يدعيه ميرو العالم، في غطائه الذهبي المستودع في المخازن .

يرى (جيسل) ان النقد هو وسيلة نقل السلع ، ويجب دائما مسايرة مقاديره لحاجة الاسواق ، وذلك كما تساير وسائل النقل من سكك حديد وسيارات ونقالات وطيارات وبواخر حاجات منقولاتها . فاذا كان من الواجب ان يهيأ ما يكفي من وسائل النقل لتعبئة السلع ، فان من الواجب كذلك لاجل القيام بتدبير اقتصادي سليم ، ان تخفض تلك الوسائل لاقل ما يمكن ولكن هذا التخفيض يعوض باكثر ما يمكن من تداول وسائل النقل ، الامر الذي يفرض على الدولة وضع عقوبات في شكل اداءات ضرائبية على كل سيارة نقل أو باخرة أو قطار يبقى مدة طويلة دون حمل .

فاذا مضينا على هذا المبدا نفسه ، فان على العملة ان تتداول بكثرة ، بحيث لا يسمح لها بالوقوف ، وهذا الشكل النقدي كان معمولا به في وقت قديم ، وكانت نتيجته عظيمة ، ولكن شقاء الانسانية ان مبدأ كهذا يلاقي معارضة قوية من كبار العالم ، لان هؤلاء انما يتحركون حسب رغبات الراسماليين الدوليين ، ومن المناسب ان ننتبه الى أن كبار الماليين الدوليين وحدهم الذين يهددون بمثل هذا النظام ، اما البنوك الاخرى فانها على العكس من ذلك ، ترى مقادير ارباحها تتزايد عن طريق هذا النظام ، لانه يؤدي الى نمو النشاط الاقتصادي العام بصفة زائدة .

وهذه النظرية التي اكتشفها (سلفيو جيسل) وعبر عنها باسم **(النظام الاقتصادي الطبيعي)** حصلت على نجاح كبير في اهم الاوساط الاقتصادية ، واعلن عن تأييده لصحتها شخصيات عظيمة الاهمية تنتمي لبيئات مختلفة .

ومن امثلة ما كتبه علماء الاقتصاد عنها ما قاله (البير انشتاين) من حملة جائزة السلام : ان خلق عملة (INTHESAURISABL) يؤدي الى تكوين الملكية في شكل جديد واكثر ذاتية .

وقال (ارفنج فيشار) الاستاذ بجامعة (يال) : ان نظام التداول النقدي الذي اقترحه (جيسل) يحرر البلاد من الازمة الاقتصادية في أسبوعين او ثلاثة

وقال الاستاذ **(محمود ابو السعود)** حين كان خبيرا اقتصاديا بالجامعة العربية : ان هذه النظرية تتفق تماما مع ما تقتضيه تعاليم القرآن ، وينبغي ان يتحمس لها كل بلاد الاسلام .

وقال الصناعي المشهور (هنري فورد) : ان الحل السريع هو اطلاع الاجيال الجديدة على حقيقة مهمة النقد .

وقال السيد (ستافورد كريبس) نائب رئيس حزب العمال البريطاني : ان النظريات والاكتشافات التي جاء بها السيد **(سلفيو جيسل)** والتي تتعلق بالارض الحرة ، هي بالنسبة الينا من الضروريات . ان نظرية مراقبة تداول النقد تفتح طريقنا الى النصر .

وقال الاستاذ (جوهن مينار كينس) الاستاذ بجامعة كمبردج وحاكم بنك انجلترا : اعتقد ان المستقبل سيستفيد من **(جيسل)** اكثر مما استفاد من ماركس

وهكذا فان **(جيسل)** احدث ثورة في التفكير الاقتصادي ، حين نبه الى الحقيقة الطبيعية التي للعملة والى مهمتها في نقل السلع وتداولها .

*

واذا نحن نظرنا الى المبدأ الاقتصادي ، الذي جاء به الاسلام نجده متفقا في الغاية مع هذه النظرية ، لان الاسلام وسائر الديانات اعتبرت المال وسيلة لا غاية ، وفي الحديث الشريف : (الدراهم والدنانير خواتم الله في ارضه) وبما ان الاصل في التعامل هو تبادل متاع بمتاع ، ولما كان الاستمرار في هذا التبادل غير متيسر لانه يحتاج الى صعوبات ومضاعفات لوسائل النقل ، فقد وضعت الانسانية المال مكان السلعة المتبادل عليها . فقيمة المال اذن هي قيمة السلعة التي يراد شراؤه بها ، فهو وسيلة لنقل السلعة . وتشبيه النقد بالنقل نجده نفسه في كلام الفقهاء الذين شبهوا النقد بالبريد واعتبروا حبسه ظلما .

وقد قلت في كتابي **(النقد الذاتي)** ص 198 في ايضاح نظرية الاسلام في المال ما ياتي : (المال وسيلة ، واذن فيجب ان لا يستعمل غاية ، لذلك يتفق الاسلام مع الديانتين اليهودية والمسيحية في تحريم الربا اضعافا مضاعفة ، وحينما يقول الناس : **(انما البيع مثل الربا)** يجيب القرآن بأن الامر كذلك لو ترك الناس وفقا للطبيعة دون اعتداد بما تقتضيه الانسانية من مراعاة الحقوق وعدم اكل اموال الناس بالباطل ، ولكن الرحمة الالهية تأبى ان تترك الغني يستغل الضعيف ، فلذلك اجاب القرآن : **(واحل الله البيع وحرم الربا)** .

وتحليل البيع لانه ضروري لتداول النقد ؛ بل ان الشارع رغب في شراء الاشياء حين قال : **(قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق)** فالواجب اذن هو التحلي بزينة الحياة والتمتع بالطيبات ، لما في ذلك من تشجيع الانتاج وتداول النقد . اما تحريم الربا ، فلانه يؤدي الى الاحتكار وتكديس المال وعدم استعماله في الانتاج ، الامر الذي ينتج عنه ابقاء الثروة في يد ثلة قليلة من الناس كما قال تعالى : **(كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم)** اي حتى لا يصبح محصور التداول بين الاغنياء ، مع ان الواجب تعميم تداوله بين مختلف الطبقات . وقد ارشد الاسلام لعلاج ذلك بامرين : اولا : منع الربا ، ولاشك ان الانسان اذا عرف ان ماله سيبقى من غير فائدة بحث عن وسيلة استعماله فيما يرجع اليه بالنفع . وثانيا الزكاة او الضريبة التصاعدية على كل مال ادخر ، وهذا ما يجعل المال المودع في البنوك او في الصناديق الحديدية ينقص سنة فسنة عوضاعن ان يزيد، الامر الذي يشجع على استغلاله وجعله متداولا بين الناس .

وهذه الغايات هي التي يرمي اليها (جيسل) بالضريبة التي يطلب فرضها على كل نقد لم ينتقل من يد صاحبه ليد غيره ، وذلك عن طريق تنقيص قيمة الورقة النقدية التي يمضي على تاريخها امد معين ، الامر الذي يجعل كل من حلت بيده تلك الورقة يعمل على اخراجها عن طريق الشراء والتبادل ؛ وهي وسيلة احسن من وسائل الغاء الاوراق النقدية جملة بمجرد مضي سنة كما يقع احيانا في روسيا .

واذا اردنا ان نبرز التشابه بل التطابق الموجود بين نظرية جيسل ونظرية الاسلام في النقد ، فعلينا ان ننقل هذه الفقرات من كلام الغزالي، وقد استدللنا بها في كتاب النقد الذاتي على صحة ما قلنا ، ونصها :

(ان معاملة الربا ظلم، لان الدراهم والدنانير خلقا لغيرهما لا لنفسهما، اذلا غرض في عينيهما، فاذا اتجر في عينيهما فقد اتخذا مقصودين على خلاف وضع الحكمة . اذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ، ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على ان يشتري به طعاما ، اذ ربما لا يباع الطعام بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد آخر ليحصل ما سيتوصل به الى الطعام ، فهما وسيلتان الى الغير ، وموقعهما في الاموال كموقع الحرف من الكلام كما قال النحويون : ان الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره ، وكموقع المرءاة من الالوان، فاما من معه نقد فلو جاز له ان يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل بالنقد غاية عمله ، لبقي متقيدا عنده وينزل منزلة المكنوز ، وتقييد الحاكم والبريد الموصل الى الغير ظلم ، كما ان حبسه ظلم ، فلا معنى لبيع النقد بالنقد ، الا اتخاذ النقد مقصودا للادخار وهو ظلم) .

فمثال الامر اذن في الاصلاح الاسلامي هو العمل على ترك النقد في موضعه الحقيقي ، وهو اعتباره بمثابة البريد حسب تشبيه الغزالي ، او بمثابة سيارة النقل حسب تشبيه (جيسل) ، وكما ان اداة

النقل اذا حبست عن القيام بمهمتها وجب فرض اداءات ضرائبية عليها ، كذلك النقد اذا بقي مكنوزا وحبس عن الرواج وجب ان تفرض عليه اداءات ، والزكاة الاسلامية انما هي بمثابة ارشاد لما يجب ان يكون عليه الحال حسب تطور الانتاج الذي يتطور بحسبه النظام المتبع والاداءات المفروضة ، اي ان فرض الزكاة بمقاديرها الشرعية ، لا يمنع من فرض غرامات اخرى اذا اقتضتها مصلحة تداول النقد والحيلولة دون تجميده ، كما لم يمنع فرض غرامات حكومية اذا دعت اليها المصلحة العامة ولم يكن فى بيت المال ما يكفي لسد حاجات الدولة او كفاية مؤن التجهيز .

والمهم هو ان المفكرين من رجال المال والاقتصاد فى هذا العصر ، لم يقفوا عند الاقتصاد الحر ، ولا عند الاساليب التي ورثت عنه فى اعتبار الحاجة الى غطاء النقد ، كما انهم لم يقفوا عند النظريات الاشتراكية التي اهتدت على كل حال لمنع الادخار واعتباره جريمة ، واحتاطت لمنعه بوسائلها الشديدة .

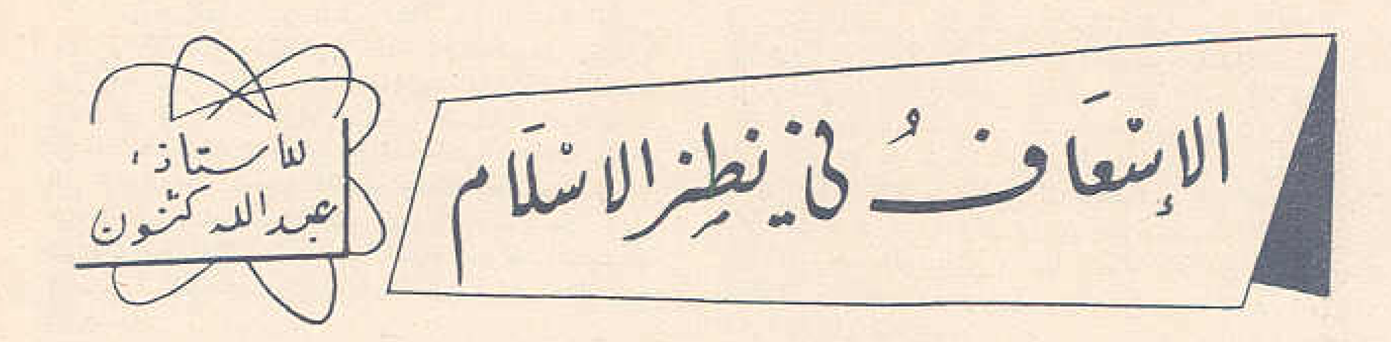
واعتقد ان اسلوب (جيسل) يضمن الغاية التي يقصدها الاسلام ويرمي اليها الاشتراكيون ، وهي عدم تكديس المال الذي يؤدي الى راس مالية محتكرة، والى ترك وسائل الانتاج خالصة لكبار الرأسماليين .

ونحن اليوم فى المغرب لا نستطيع ان نتحرر من المدرسة الحرة فى الاقتصاد ، ولو اننا نتبع شيئا ما ؛ الاقتصاد الموجه ، لاننا ما زلنا مرتبطين بالانظمة الفرنسية ، ومقتبطين ببقائنا فى منطقة الفرنك ، ومسجونين اكثر من ذلك فى الفكر الذي يدافع عنه المحافظون الفرنسيون ، فنحن احوج ما نكون الى ثورة فكرية تفتح لنا آفاق النظر والبحث والمقارنة ، لنتمكن من اختيار التجربة الاقتصادية التي يجب ان نسير عليها فى بلادنا .

ولو اننا اعتبرنا بما يجري فى العالم لايقننا باننا ونحن فى المرحلة الاولى من سيطرة الراسمالية علينا ، اقرب الشعوب الى التحرر من اساليب الغرب ، واتباع طريقة (جيسل) التي تتفق مع تعاليم الاسلام ، والتي قال عنها ارفنج : **انها تقضي على الازمة فى بلد ما ، فى ظرف اسبوعين او ثلاثة .**

ان الثقة بالنفس ، والجرأة فى العمل هما اللذان ينقصاننا لنتخذ المنهج الذي يعود بالنفع علينا.

ولو ان رجال المدرسة التحررية بالامس ، او رجال المذهب الاشتراكي اليوم ، لم يكسروا مرءاة النظر ويتقدموا للتجربة ، اكانوا يحققون للعالم طريقة حياة سار عليها ويسير عديد من الامم حقبا من الدهر، فهل نتعظ بغيرها ، ام سنبقى دائما مجددين فى التقليد ؟ ؟



ليس من شك في ان الاديان كلها جاءت بالعطف والمودة والرحمة ، وهذه الصفات هي النبع الانساني الثر الذي يفيض بعناصر البر والخير والاسعاف .. ونحن هنا انما ننظر اليها بنظر الاسلام الذي هو ديننا ، وهو ختام الاوضاع الالهية التي ناط الله بها سعادة البشر وهناءتهم .

ولعل مما لا خفاء به ان السمة الخلقية الخاصة التي يتسم بها الاسلام هي انه دين الرحمة ، ومن اسماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اسم نبي الرحمة ، فقد قال الله عز وجل فيه : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » وافتتاح القرءان وسائر سوره بالبسملة له دلالته الخاصة على هذا المعنى ، فانها اربع كلمات اثنتان منها هما الرحمن الرحيم . وما خص هذان الاسمان من بين اسمائه تعالى التي تبلغ تسعة وتسعين اسما في فاتحة القرآن وفي اول كل سورة الا للاشعار بأن الرحمة هي اولى الصفات التي ينبغي ان يتصف بها المؤمن .

وقد تكرر وصفه تعالى بالرحمة في غير ما آية من الذكر الحكيم ، واخبرت احدى الآي الكريمة ان رحمته تعالى تسع كل شيء ، فدل هذا التعبير العام على عظمة هذه الصفة وما لها من عموم التعلق بجميع الكائنات ، وثم ءاية اخرى يقول العلماء انها ارجى آية في القرآن وهي قوله تعالى : « قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » وفعلا فانها قد خاطبت المطيع والعاصي بدون استثناء ، وفتحت ابواب الرجاء للجميع ، في مغفرة جميع الذنوب ، رحمة منه تعالى لعباده الضعفاء ، واكدت ذلك بجميع ادوات التاكيد حين ختمت بهذين الوصفين البليغين : الغفور الرحيم .

وقد جاء في السنة النبوية ما يطابق الاية الكريمة « ورحمتي وسعت كل شيء » وذلك هو قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى لما خلق الخلق ، كتب على نفسه : ان رحمتي تغلب غضبي » وفي حديث آخر « ان الله تعالى جعل الرحمة في مائة جزء ، فامسك عنده تسعة وتسعين جزءا ، وانزل في الارض جزءا واحدا ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه » وهذا حكم على طبيعة هذه الدعوة الاسلامية بانها للرحمة اولا وآخرا ، وباطنا وظاهرا ، وهو بالتالي دعاء الى التخلق بها والنزول عند مقتضياتها فما اكبر الاسلام من شانها هذا الاكبار الا لذلك ، وقد جاء في الحديث :« من لا يرحم لا يرحم » وفيه ايضا : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء »

وقد رايت كيف عم القرآن بالرحمة كل شيء ، فهي تشمل الانسان والحيوان ولا تخص احدا من المخلوقات . ومن الامثلة المضروبة على ذلك في السنة النبوية ما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبي فاذا امراة تحلب ثديها تسقي اذا وجدت صبيا في السبي اخذته فالصقته ببطنها وارضعته ، فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم : « اترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ فقلنا: لا ، وهي تقدر على ان لا تطرحه . فقال : لله ارحم بعباده من هذه بولدها . » وروى ابن مسعود رضي الله عنه : « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق لحاجته فراينا حمرة اي انثى طائر احمر معها فرخان فاخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش يعني ترفرف ، او تعرش يعني ترتفع فوقهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها اليها » .

وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « بينما رجل يمشي بطريق ، اشتد عليه العطش فوجد بيرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فاذا كلب ياكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي ، فنزل البير فملا خفه ثم امسكه بفيه فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له . قالوا يا رسول الله ، وان لنا في البهائم اجرا؟ فقال : في كل ذات كبد رطبة اجر . » وروي ايضا انه قال : دخلت امراة النار في هرة حبستها فلا هي اطعمتها وسقتها ، ولا هي تركتها تاكل من خشاش الارض » .

فهذه كلها صور تعطي مثالا عن الرحمة التي جاء بها الاسلام ودعا اليها اهله ، ليتخذوها شعارا لهم ودستورا خلقيا ينظم علاقاتهم الفردية والجماعية وسلوكهم في الحياة ازاء الناس وجميع المخلوقات . بل لقد حض الاسلام على الرحمة حتى عند الاضطرار الى ارتكاب ما ينافيها كالذبح وحالة الحرب ، فقد جاء في الحديث : « ان الله كتب الاحسان على كل شيء ، فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة ، وليحد احدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » .

واوصى ابو بكر الصديق جيشا ارسله الى الشام فقال : « لا تخونوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امراة ، ولا تعقروا نخلا وتحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا للاكل ، وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع (يعني الرهبان) فدعوهم وما فرغوا انفسهم له .. » وهذه الوصية التي جعلت للحرب اسمى قانون انساني عرفته البشرية الى الآن ، هي مما استمده الخليفة الاول من تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته في حروبه ، وبمقتضاها حكم المؤرخ الفرنسي مسيو جوستاف لوبون على حرب الفتوح الاسلامية فقال كلمته المشهورة (لم يعرف العالم فاتحا ارحم ولا اعدل من العرب » .

ومما يتعلق بهذا الموضوع ان الاسلام حرم القتل بالنار ، وقال نبيه عليه السلام في هذا الصدد « لا يعذب بالنار الا خالقها » . وفي رواية « لا تعذبوا بعذاب الله » فامتنع في هذا الدين الرحيم الحرب بالوسائل الجهنمية من مخترعات العصر الحديث التي يهدد بها زاعمو التمدن من دول الطغيان ، الانسانية جمعاء ، ولا يقتصر النهي عن التحريق على جنس الانسان بل يشمل الحيوان ايضا وهو ما يشعر به حديث ابن مسعود : « رأى النبي صلى الله عليه وسلم قرية نمل قد احرقناها فقال من حرق هذه ؟ قلنا نحن ، قال انه لا ينبغي ان يعذب بالنار الا رب النار » .

وما دمنا قد تطرقنا للكلام على الحرب ، وهي ميدان واسع لاعمال الاسعاف ، فلنذكر ما سنه الاسلام من ذلك في هذا الميدان واهمه العناية بالجرحى وكفالة ابناء الشهداء وما الى ذلك مما يخفف من ويلات الحرب ويمسح دموع المصابين بشرورها . وقد علم من سنته صلى الله عليه وسلم انه كان ينهي عن الاجهاز على الجريح من العدو وما ذلك الا لتوقع معالجته والعناية به حتى يبرا ، لان الحرب في الاسلام ليست عملية عدوانية او انتقامية وانما هي دفاع الجأت اليه الضرورة، ومن القواعد المقررة في الاصول ان الضرورة تقدر بقدرها، فاذا سقط المحارب جريحا فقد امنت غوائله في ميدان الحرب فلا داعي للاجهاز عليه بعد ذلك ، اما كون حرب الاسلام للدفاع لا للهجوم فيدل عليه قوله تعالى : « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا : ربنا الله » وقوله عز وجل : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم » .

ولما كانت النساء ارق عاطفة وارفق يدا في معالجة المرضى فقد اسند اليهن الرسول صلى الله عليه وسلم امر العناية بالجرحى وكان يستصحبهن في غزواته ليقمن باعمال الاسعاف التي تقتضيها الحرب ومن ذلك ما روي عن الربيع بنت معوذ قالت : « كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم فنسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى الى المدينة » وباشرت زوجات النبي صلى الله عليه وسلم انفسهن هذا العمل وبنته فاطمة عليها السلام .. ففي حديث انس عن غزوة احد : « ولقد رأيت عائشة وام سليم وانهما لمشمرتان ، ارى خدم سوقهما يعني خلاخلهما، تنقلان القرب على متونهما تفرغان الماء في افواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانها في افواههم » وعن ابي حازم انه سمع سهل بن سعيد وهو يسأل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم في احد فقال : « اما والله اني لاعرف من كان يغسل جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان يسكب الماء وبما دووي ، قال كانت فاطمة تغسله وعلي بن ابي طالب يسكب الماء بالمجن فلما رات فاطمة ان الماء لا يزيد الدم الا كثرة اخذت قطعة من حصير فاحرقتها والصقتها بالجرح فاستمسك الدم » وروى عن ام زياد الاشجعية انها خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر سادسة ست نسوة ، قالت : « ومعنا دواء نداوي به الجرحى ونناول السهام ونسقي السويق » وعن ام سنان الاسلمية قالت : « لما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج الى خيبر جئته فقلت : يا رسول الله اخرج معك اخرز السقا واداوي المريض والجريح ، ان كانت جراح ، وابصر الرحل ؟ فقال : اخرجي على بركة الله » ولما اصيب سعد بن معاذ رضي الله عنه يوم الخندق قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوه في خيمة رفيدة التي في المسجد حتى اعود من قريب .. وكانت رفيدة هذه امراة تداوي الجرحى وتحبس نفسها على خدمة من كان في ضيعة من المسلمين وكانت لها اخت تسمى كعيبة تساعدها على ذلك العمل النبيل .

اما القيام على اهل المجاهد وكفالة ابنائه فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك : « من خلف غازيا في اهله بخير فقد غزا » وقال : «من

جهز غازيا فى سبيل الله او خلفه فى اهله بخير كتب الله له مثل اجره حتى انه لا ينقص من اجر الغازي شيء . » وعن ابي سعيد الخدري : « بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى بني لحيان : ليخرج من كل رجلين رجل ثم قال للقاعدين : ايكم خلف الخارج فى اهله فله مثل اجره ... ومعلوم ما كان قسم عمر رضي الله عنه لاهل السابقة من المسلمين ممن شهد بدرا او احدا وغيرهما من المشاهد ، وتفضيلهم فى العطاء على غيرهم ، ولقد قسم ذات مرة مروطا بين نساء من نساء المدينة ، فبقى منها مرط جيد فقال له بعض من عنده يا امير المومنين ، اعط هذا بنت رسول الله التي عندك ، يريدون ام كلثوم بنت علي ، فقال عمر : ام سليط احق به ، فانها كانت تحمل لنا القرب يوم احد » وهذا اثبات لحقوق قدماء المحاربين وتفضيل لهم حتى على ذوي الفضل الذي لا ينكر .

وغير خاف على احد ان مرجع الاسعاف كله الى المال ، فان المال كما يقولون هو قوام الاعمال ، ومهما توفر لدينا من الشعور الانساني العميق والرغبة فى الاسعاف وحب الخير فانه لا يغنينا ذلك شيئا عن البذل والانفاق والبحث عن وسائل ايجاد المال الكافي للقيام بالمشروعات الضرورية للاسعاف والعمل الانساني النبيل ، وموقف الاسلام من هذه المشكلة معروف ، فانه فرض ضريبة للاسعاف على المال اذا بلغ قدرا معينا ولم يستثن منها احدا ، الا الذي لا يجد ذلك القدر المعين من المال ، وهو ليس ببالغ الكثرة حتى لا يجده الا المولون الكبار ، بل هو مبلغ عشرين دينارا فقط (20) ، والواجب فيه ربع العشر ، وظاهر من هذا انه يريدها ضريبة اجتماعية يشارك فيها جميع طبقات الامة الا النادر الذي لا حكم لـه . وهذه الضريبة هي الزكاة التي هي احدى القواعد الخمس المبني عليها الاسلام ولا هوادة فى دفعها لانها واجبة كالصلاة والصيام . ومن ثم جاء فى الآية الكريمة : « وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ومصارفها التي لا تدفع الا فيها ثمانية وقع النص عليها فى القرآن الكريم ، وهي هذه الاصناف من الناس ووجوه البر : 1) الفقراء الذين يتكففون الناس ، 2) المساكين وهم الفقراء الذين يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ، 3) العاملون عليها اي الموظفون فى مصلحة الزكاة ، 4) المؤلفة قلوبهم اي الذين يراد استنقاذهم من الكفر والالحاد ، 5) فك الرقاب اي تحرير الارقاء ، ويدخل فيه تحرير الشعوب المستعمرة اليوم من باب اولى واحرى ، 6) المدينون يعطون منها ما يؤدون به ديونهم ؛ 7) فى سبيل الله ، وهو باب واسع يستوعب جميع وجوه البر والاحسان 8) ابن السبيل اي الغريب المحتاج المنقطع ، وتجبي الدولة هذه الضريبة وتصرفها فى الوجوه المذكورة ولا تصرف منها فى باب من ابواب الميزانية العامة الا بعد كفاية المستحقين لها .

والى جانب هذه الضريبة الاجتماعية الواجبة رغب الاسلام فى البذل والعطاء والتبرع للمشاريع الخيرية ، بما لا مزيد عليه ، فتارة باثارة النخوة فى نفوس الكرام وبعث اريحيتهم للجود والانفاق ، وتارة بالوعود الكريمة التي تتضمن مضاعفة الثواب والجزاء وتارة بالمفاضلة بين الاعمال الصالحة واعطاء المقام الاول لبذل المال فى سبيل الله، وهكذا نرى فى القرآن الكريم آيات تفوت الاحصاء كلها حض على هذا العمل وتفنن فى الدعاء اليه ، والى القاريء الكريم منه هذه الصفحة المشرقة التي تضمنت اكثر من عشر آيات متتابعة ، فيها من الوان الاغراء والحث على النفقة فى سبيل الله واعانة الفقراء ما يؤثر فى اشد النفوس كزازة ويستخرج به من ابخل الناس ، قال تعالى فى سورة البقرة :

(مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل ، فى كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم، الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعوا ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم ، يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يومن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا ، لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ، ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم ، كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين ، فان لم يصبها وابل فطل، والله بما تعملون بصير ، ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار ، له فيها من كل الثمرات ، واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء ، فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت ؟ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون . يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ، ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه ، واعلموا ان الله غني حميد . الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ، والله واسع عليم ، يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ، وما يذكر الا اولو الالباب ، وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه، وما للظالمين من انصار، ان تبدوا الصدقات فنعماهي، وان تخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم ، ونكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير . ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدي من يشاء ، وما تنفقوا من خير فلانفسكم ، وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف اليكم ، وانتم لا تظلمون . للفقراء الذين احصروا

فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ، تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا ، وما تنفقوا من خير فان الله به عليم . الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ، فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .) صدق الله العظيم .

ويضيق المقام عن تتبع هذه الآيات الكريمة وابداء ما فيها من ضروب البلاغة وطرق التأثير ، ولكنا لا ننسى ان ننبه على ما يصحب الدعوة فيها الى الانفاق من ارشاد الى الادب اللازم فى ذلك ، والذي تكون مخالفته سببا فى احباط العمل واضاعة ثوابه الجزيل . واهم ذلك عدم المن بالعطاء وكونه من طيب الكسب ، وما زالت الآيات الكريمة تترقى بالمؤمن فى درجات البر والاحسان حتى وصلت به الى اعلى الدرجات وهي درجة الذين ينفقون فى سبيل الله فى كل وقت وحين ، ولا يملون من الانفاق ، ليلا ونهارا سرا وعلانية ، فطوبى لهؤلاء ، ما اعظم قدرهم .. انهم لا يخافون ولا يحزنون ، يوم يحزن الناس ويخافون ، واما جزاؤهم فهو عند الله عظيم .. !

وجاء فى آية اخرى ان البر ليس هو الصلاة والصوم والاعمال البدنية الاخرى ، ولكنه هو مع هذه الاعمال ، ايتاء المال على حبه لذوي الحاجات . والآية الكريمة التي تقول : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » تجعل حقيقة البر لا تنال الا بانفاق اطيب الكسب واحب المتملكات الى الانسان . وقد اخذ الصحابة رضي الله عنهم بذلك ، فكانوا ينفقون احسن املاكهم واكثرها غلة على وجوه البر والاحسان ، كما فعل عمر وابو طلحة وغيرهما . بل ان عبد الله ابن عمر كان يتصدق على الفقراء باللوز والسكر اي ما نسميه عندنا فى المغرب بالعقدة ، ويقول اني احبهما والله تعالى يقول : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » .

وتتضافر السنة النبوية مع القرآن الكريم ، فتفيض فيها الاحاديث بمدح الجود والسخاء وانفاق المال فى مشاريع البر والاحسان ، حتى انها لا تعتبر شيئا من العمل يصح ان يغبط الناس بعضهم بعضا عليه ، الا نشر العلم وبذل المال . وهاك ما قاله الرسول صلى الله عليهم وسلم فى هذا الصدد : « لا حسد الا فى اثنتين ، رجل آتاه الله علما فهو يعلمه الناس ، ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق » وتأمل عبارة سلطه على هلكته ، فهي تشير الى انه لا يبقي ولا يذر فى هذا الباب ، وذلك هو ما اوجب مدحه بحيث اصبح موضع غبطة شرعية للناس .

ولا يتسع المجال لايراد الاحاديث التي جاءت فى هذا الموضوع ، لانها كثيرة جدا لا يأتي عليها العد ، ومع ذلك فاننا نورد منها تفاريق مما يعطي صورة عن العدالة الاجتماعية التي ضمنها الاسلام لاتباعه ولمن عاش تحت ظل حكمه الوريف .

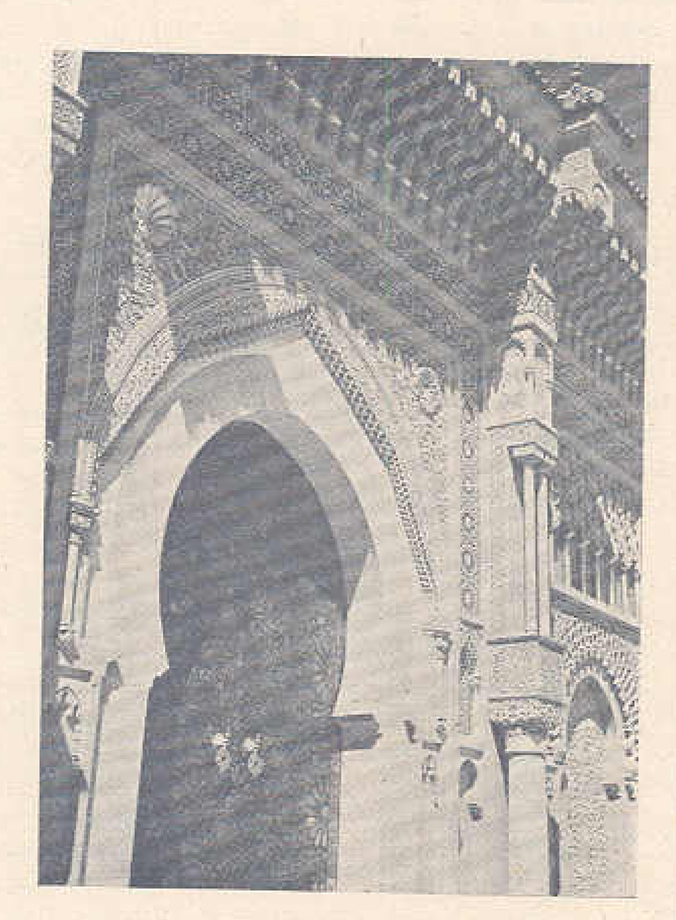
يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو سعيد الخدري : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » ، قال ابو سعيد : «فذكر اصنافا من المال حتى رأينا ان لا حق لاحد منا فى فضل » ونستطيع ان نعرف هذه الاصناف التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبينها الصحابي الجليل من طرفي الحديث الذي اشتمل اوله على مطالبة من له مركوب فاضل ان يساعد به من لا مركوب له وآخره على مطالبة من له طعام فاضل ان يطعمه من لا يجد طعاما . فبين الطرفين مجال يستوعب جميع انواع التكافل ويتيح من فرص العيش الرغيد ما يحقق تكافؤ طبقات المجتمع عامة ، ويؤيد هذا الحديث قوله تعالى « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » اي الفضل مما يجدون .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم فى بعض حديثه الذي بين به حقوق الجار : « ما آمن بي من بات شبعان وجاره الى جنبه جائع وهو يعلم » وجاءه رجل فقال : يا رسول الله اكسني ، فقال له : « اما لك جار له فضل ثوبين ؟ قال بلى ، قال : فلا يجمع الله بينك وبينه فى الجنة » ولا شك انه اذا اهتم كل واحد بجاره هذا الاهتمام ، لم يبق فى المجتمع الاسلامي من يشتكي الخصاصة والفقر ، ويزداد الاهتمام بضمان اسباب الحياة الكريمة للفرد فى المجتمع الاسلامي الى ان يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « فراش لك وفراش لاهلك وفراش لضيفك ، والرابع للشيطان » فمن لم يفرش لهؤلاء البؤساء المشردين الذين يمتهدون الارض ويلتحفون السماء وعنده فضل فراش ، فهو آثم فى شريعة الاسلام ، يؤوي الشياطين كل ليلة الى بيته ويطرد الملائكة .

وهذه التعاليم الانسانية العالية ، قد اخذ بها المسلمون فى الصدر الاول ، فارتفعت معنوياتهم ، وعاشوا عيشة مثالية لم يسمع بها فيما مضى ولا فيما غبر ،، وناهيك بما كان يقع بين المهاجرين والانصار فى المدينة المنورة بعد ان آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم من المواساة والايثار حتى روى ان سعد بن الربيع الانصاري قال لعبد الرحمن بن عوف وكان النبي صلى الله عليه وسلم آخى بينهما « اني اكثر الانصار مالا ، فاقسم لك نصف مالي ، ولي امرأتان فانظر اعجبهما لك فسمها لي اطلقها فاذا انقضت عدتها فتزوجها » فقال عبد الرحمن : « بارك الله لك فى اهلك ومالك ، دلني على السوق » فذهب وباع واشترى فما لبث ان استفضل وتزوج .

والغاية فى هذا الباب من الايثار والتضحية ما روي ان الحرث بن هشام وابن اخيه عكرمة بن ابي جهل وعياش ابن ابي ربيعة جرجوا يوم اليرموك وهي غزوة كانت بالشام صدر ايام عمر بن الخطاب فلما اثبتوا دعى للحرث بن هشام بماء ليشربه فنظر اليه عكرمة ، فقال ادفعه الى عكرمة ، فلما اخذه عكرمة نظر اليه عياش ، فقال ادفعه الى عياش فما وصل الى عياش حتى مات ، ولا وصل الى واحد منهم حتى مات ، ولم يعدم فى المجتمع الاسلامي مدى القرون المتتابعة من كانت تتمثل فيهم هذه الروح العالية من الجماعات والافراد ، وانما ذكرنا اهل الصدر الاول لانهم محل القدرة من جميع المسلمين مع ان ذكر غيرهم يطول جدا . والمسلمون اليوم مدعوون الى اقامة صرح الضمان الاجتماعي فى بلادهم على اساس ما اتى به القرآن وبينته السنة ، ولا يجوز لهم بحال ان يتخلفوا عن القافلة الانسانية التي حققت تقدما عظيما فى هذا الصدد ، وهم كانوا احق بهذه المثل واهلها ، فمن العار ان يبقوا فى المؤخرة ، ودينهم الحنيف يجعلهم فى مكان القيادة من المجموعة البشرية التي مهما اجتهدت فلن تاتي باهدى مما كان عليه سلفهم الصالح رضوان الله عليهم .

نسأله تعالى التوفيق والهداية الى اقوم طريق .



باب ضريح « مولاي الحسن » بالمشور السعيد بالرباط ، آية جديدة من آيات الفن المغربي الاندلسي فى العمارة .

تصوير : عمر غنام

عقيدة الإسلام شريعة وكفاح

للأستاذ الرحالي الفاروقي

جاء الاسلام وهو عقيدة تنبعث من اعماق القلوب . وعمل يظهر بمختلف الاسلوب . فكانت العقيدة فيه اصلا اصيلا . وكان العمل فيه تابعا ولازما . والعمل اذا لم يكن له سناد معنوي اولا وعماد مادي ثانيا يتوقف عن سيره ولايمضي في طريقه . فلا تذهب عجلته الا بقوة تدفعها . وروح تحركها . وذلك روح الايمان والايقان . ثم سر الامداد والامكان فالانسان يسمو بصحة العقيدة وصدق العزيمة وحسن التربية . وعلى هذا الاساس تبتني سائر الاعمال وترتكز جميع الحركات . وصدق النتائج بصدق المقدمات .

هكذا نشأ الاسلام في حياته الاولى فكان صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم يحاول ان يثبت هذا المبدأ في النفوس ويغرس شجرة الايمان في القلوب . وكان يتخولها بموعظته ومؤاخاته بين اصحابه . ويسقيها بمعارفه وحكمه . والوحي ياتيه في ذلك من ربه . حتى اذا ما ابثقت وثبتت هيمنت قوة الإيمان على المشاعر والحواس . وجعلت صاحبها مستعدا لتنفيذ جميع ما فرض عليه من الاعمال . وصابرا على تقلبات الظروف والاحوال . ومرت الدعوة على هذا النمط في طورها الاول واقتضت حكمة الله انتقال الدعوة الى محل خصيب . قابل للبذر . صالح للانتاج . فكانت مدينة الانصار مجالا واسعا للنفوذ ومكانا ساميا في الوجود . ويومئذ فرض التكافل الاجتماعي بين المسلمين . وحيث معاهدة التاخي بين الانصار والمهاجرين . وبدات التكاليف والتشريعات المدنية تتوالى شيئا فشيئا . ومن ذلك الحين رسم الاسلام خطته المحكمة وتابع نشاطه العملي في المصالح الاساسية والحروب الضرورية . حتى رجحت كفته وانتصرت حجته واصبحت الجزيرة العربية فيما بعد مهد الاسلام الاول ثم تتابعت اعمال الفتح والانشاء . والتمدين والبناء الى ان تم صرح المدنية الاسلامية . وتجاوزت الحدود العربية . الى ما وراء البحار من الكرة الارضية واشرقت الآفاق بانواره . وتضوعت الارجاء بنشر ذكائه . وكل هذه المعاني السامية من ايمان وصبر وعمل وشكر وجهاد ونصر يوحي بها شهر رمضان ذلك الشهر الذي انزلت فيه التوراة والزبور والانجيل والفرقان ذلك الشهر الذي يذكرنا بعزة الاسلام في غزاة بدر : « **ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون** » ذلك الشهر الذي فتحت فيه ام القرى ابوابها وشرحت للاسلام صدرها فكان شهر الفتح والنصر دخل فيه رسول الله مكة رافعا رأسه في كتيبته الخضراء . وعلى ناقته القصواء يقرأ : « **انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراط مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا** » وافطر صلى الله عليه وسلم في طريقه وقال انكم قد دنوتم من عدوكم والفطر اقوى لكم ، فافطروا لمشقة السفر . ولغاية الفتح والظفر . وبهذه الذكريات العزيزة كان كلما اهل هلال رمضان تسابقت النفوس الى مصافحته . وآمنت بمعانيه وفضائله . وتجددت الذكريات . وارتفعت الاصوات . وغصت المساجد . وامتلأت المعابد . وانطلق المومن يسبح في بحر الاحسان . فيذكر اخوانه المحتاجين ويرحم الارامل والمقعدين . وتتخلص نفسه من حبائل الشيطان وطبائع الحيوان . وكلما اتى رمضان اضفى على الانسانية حلة امن وايمان . وحب واحسان . واملى دروسا من الصبر والكفاح لتحطيم الانانية والطغيان واقصاء النفس من المآثم والعدوان .

والصيام لجام المومنين المتقين . ورياضة الابرار المقربين . وجنة المجاهدين والمحاربين . وله درجات ومراتب . ادناها الكف عن الغذاء وشبه الغذاء واوسطها امتناع الجوارح من الوقوع في الموبقات . واعلاها كف النفس عن الوسوسة والالتفات . ومن عادة التشريع الالاهي انه اذا شرع لعباده سننا واحكاما لا يقف عند هذا الحد ، بل يذهب الى الترغيب فيه بوسائل الخير والثواب تشجيعا وتنشيطا للعاملين . والنفوس مجبولة على حب الامل ولا تعيش الا بالاجل . ولذلك تذكر فضائل الاعمال ازاء شرعية الاحكام . يقول الله تعالى : **(الصيام لي وانا اجزي به)** . فيؤول على معنى ان الله ينفرد بمقدار ثوابه وتضعيف حسناته . من اجل ان الصوم يتضمن الصبر وانما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب . واما غيره من العبادات فقد كشف عن حسابها وقدر ثوابها . الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف ويمكن ان يؤول ان جميع العبادات توخذ في التبعات الا الصوم فلا توفي منه المظالم . ويقول الرسول

صلوات الله عليه وسلامه : **(من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)** ايمانا لا تقليدا ولا خوفا من العار . واحتسابا اي طابت نفسه بذلك واحتسب اجره على الله فلا يستثقل صيامه ولا يستطيل ايامه . هذا بعض ما كان بين يديه . واما ما وراءه من المقاصد المعنوية فانه نظام عملي بديع فرضته الشرائع على كل انسان مكلف صحيح فرضا يتساوى فيه الاغنياء والفقراء والاقوياء والضعفاء . فيمتنعون جميعا عن كل ما يشتهي طبعا ويستلذ عادة طوال ايام معدودات يشعر فيها الفقير بمساواة الغني له فى فراغ البطن وخلاء الجوف ، كما يشعر الغني بضرورة مواساة المنكوب والمحتاج فى الارض . لان الالم المشترك يخلق الرحمة ويجلب المودة . والمساواة فى الفقر ولو مؤقتا تبعث على المواساة فى حال البر والفنى . فصار الاحسان بمقتضى هذا النظام المستقيم والمذهب الحكيم ساريا فى نفوس الجميع ومعترفا به من طرف الخاصة والعامة على السواء لا يختلفون فى حقيقته ولا يتنازعون فى شانه . وكلما نفذ الفكر فى الانظمة الاسلامية وعمق النظر فى الخطط الدينية ادرك ما يكمن فيها من معاني الاخاء والمساواة . والاحسان والمواساة . وتهذيب النفوس وتطهيرها من اعمال السوء وءاثار الكفر . وبذلك تكمل الانسانية . ويرتقى عقلها . ويعم خيرها وفضلها . ثم اعداد الصيام لهذه المعاني الشريفة ظاهر من جهة تعويد الشفقة والرحمة على البائسين والمحرومين وبهما احياء العواطف والروابط التي اوحى بها الدين وكفلها الاسلام . ومن جهة اعتياد الامم لنظام العيش والغذاء حيث انهم ياكلون فى وقت معين خاص لا يتقدم واحد على ءاخر وذلك من معاني التوحيد فى الشعوب المتمدنة . ومن جهة ازالة الصيام لرواسب المادة وتجفيفه للعفونات الضارة . وغسله الامعاء من سموم البطنة طلبا للصحة والراحة . ومن جانب تهيئته لخشية الله ومراقبته فى السر والعلن . فالصيام سر بين العبد وربه لا يشرف عليه احد غيره ، فمن مارس هذه الخشية وداوم عليها شهرا كاملا تعود الحياء من خالقه والمراقبة فى امره ونهيه . والشعور بالمراقبة هو العامل الاساسي فى نجاح العبادات والاعمال . والباعث القوي على التدرج فى مقامات الكمال . وتلك المراقبة تؤهل الانسان الى سعادة الدنيا وسعادة الاخرى . ولولا ان الصوم كان بهذه المكانة بين شرائع الدين وفرائض الاسلام لما وعد الله الصائمين ان يتولى اجرهم بنفسه واضاف ذلك الى ذاته . فلنحذر ان نصوم صوم البهائم اذا منعت من الاكل ساءت اخلاقها واشتد بأسها وقوى غضبها . ولنبتعد من ارتكاب الخطيئات وانتهاك الحرمات . واستكثار الوان المطعومات والمشروبات . فذلك لا يليق بالمؤمن الكامل ولا يحقق كسر الشهوة ولا يؤمن من شر التخمة . ومن امتلات معدته نامت فكرته وخرست حكمته وقعدت اعضاؤه عن العمل . والله يوحي الينا على لسان نبيه وصفيه : **(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين)** فالصوم يتقي به شر اخلاط المعدة واخلاق السوء ويتقي به الفساد فى الارض والانحراف فى العقل والتبذير فى الاموال فهو سعادة المؤمنين يرقى عقولهم ويزكي نفوسهم ويرفع مقامهم . والصائم حقا هو الذي يحتضن الفضائل الاسلامية ويلتزم الاخلاق المحمدية . ويعتنق الآداب الشرعية . فيخرج وقد حلق فى الجو بفضائله . وافرغ على البشرية حلل معانيه . وما احسن اشاعة روح فضائل الصيام بين الشباب رجاء ان يساس الشعب بهذه السياسة الرشيدة . لتمكين سلطان الدين من قلوب العامة واخذهم به من اول عهد الصبا فيطلعون فى كنفه ويتربون فى احضانه ولعل السبب فى انحدار المستوى الاجتماعي وتدهور مغناه يرجع الى تربية الاطفال . من لدن نعومة اظفارهم وتعليق تمائمهم على خلق الاستخفاف بالدين والتحلل من قيوده وتكاليفه فيشب اغلبهم ابعد ما يكون استمساكا بالآداب الدينية والاخلاق الطاهرة فاذا وصل بهم العمر الى طور الرجولة كانوا منبع فتن ومصدر قلاقل يضطرب من جرائها حبل الامن والسلام . ولا يسع احدا ان ينكر ما للتربية الاولى فى الصغر من اثر فى الخير او الشر . فاذا اخذناه فى مبتدا حياته بالفضل والطهر والصدق والامانة سعد من اثر فى الخير او الشر . فاذا اخذناه فى مبتدا حياته بالفضل والطهر والصدق والامانة سعد فى نفسه وسعد به مجتمعه ايضا . والا فالويل له من نفسه وويل مجتمعه من سفهه . ولابد فى الشعوب الجاهلة او المتمردة على الاخلاق والدين من سلوك طريق الالتزام مرة واللجوء الى اللين تارة اخرى. والمسلك الاول اكثر نجاحا واوفق طريقا لان كثيرا من الناس لا يتاثرون من غير هذه الناحية وهو ما رآه عثمان بن عفان رضي الله عنه حين قال كلمته المشهورة : **(ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرءان)** ونسال الله وحده ان يجعلنا ممن اتبع هداه وخالف نفسه وهواه والسلام .



ان الروابط التي تربط الانسان باخيه الانسان خارج دائرة اسرته من وطن وجنس ولغة وثقافة وعقيدة واهداف مشتركة تكثر احيانا بين الجماعات البشرية فيوجد بين جماعة وامة مخصوصة جلها او اكثرها ، وتقل احيانا اخرى ، وتتحد احيانا ، وتتباين احيانا أخرى ، وكلما كثرت واتحدت كانت ادعى لتكوين القوميات ، وكلما اتسعت واكتست صبغة العموم وصفة الشمول فى صفتها هذه زادت فائدتها وقوى اثرها وعملت عملها فى تكوين الامم وتهيئة الدول الفتية وانشاء الحضارات التاريخية الكبرى .

وان الناظر الى حالة الامة العربية فى عزلتها عن العالم الخارجي قبل البعثة المحمدية وتنازعها القبلي المستمر بينها ، ونزعتها العنصرية الضيقة ، وتعدد آلهتها الوثنية ، وكثرة اصنامها المعبودة والمقصودة والمنذور لها .

تقول ان الناظر الى الامة العربية فى حالتها تلك ليجدها غيرها بعد ما شملتها الهداية المحمدية ، حيث تعددت روابطها وتوحدت مشاعرها وتمت عناصر تكوينها كأمة هيأتها الاقدار الالاهية لتلعب ادوارا خالدة فى التاريخ البشري ، وتتحمل مسؤولية تبليغ رسالة الاسلام الخالدة للعالم وتكون امة نموذجية فى الوجود كما وصفها الله تعالى فى قوله : كنتم امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله .

نعم تمت عناصر تكوينها من لغة وعقيدة وتشريع واخلاق ومنافع مشتركة ، واهداف عليا تسمو عن العنصرية وتخدم العدالة والحق والقيم الانسانية

واهم ما احدث فيها هذا الانقلاب الاجتماعي الخطير الذي ادهش العالم وغير نفسيات الامم والشعوب ، هو ذلك الكتاب الخالد الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

فكان طلوع هذا الكتاب على البشرية كالشمس وقت اشراقها .

حتى اذا طلعت فى الافق عم هدا
ها العالمين واحيت سائر الامم

ويعجبني ان اشير هنا الى ما روي عن علي كرم الله وجهه ، حيث قال : عليكم بكتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله ، وهو حبل الله المتين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فلج ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم .

والحقيقة ان هذا الاثر يستحق كل عناية من رجال الوطنية المسؤولين فى التعليم واصحاب الافكار التقدمية ، حتى يستوحوا منه ان القرآن اهم دعائم الوحدة الاسلامية لاشتماله على كل العناصر المهمة لتكوينها وتدعيمها واستمرارها فى الوجود ، ولا اعد نفسي مبالغا اذا اضفت الى ذلك القول بأن من مقتضى التفاف المسلمين حول القرآن ان يعود اليهم الاتحاد المنشود وان تتصف وحدتهم من جديد بالخلود ،

ذلك ان للغة كل امة حية آثارها وثروات ادبية وفكرية ، صاغها عظماء شعرائها وادبائها فى صورة قصص وحكم وامثال ، والحان وازجال ، ووصف للملاحم والكفاح الوطني والنزال والقتال وتنسيق واحكام لوضع روايات لتخليد التقاليد الطيبة وحياة العظماء والابطال .

وكل هذه الآثار فى مختلف الامم يكون لها نصيب اكبر من حصص الدراسة فى المدارس فى قصص المطالعة وقطع المحفوظات ، وقواعد اللغة والتصريف، وغير ذلك ، كما تعمل الانجليز فى آثار شاعرهم الكبير شكسبير ، والالمان فى مخلفات شاعرهم (كيت) والفرنسيين فى اقوال فيكتور هيكو واضرابه ، والاسبان فى ادب كاتبهم سرفانتيس وغير هؤلاء من الامم فى آثار ادبائهم وشعرائهم الشعرية والنثرية والقصصية . وقد يبالغ الانجليز فيقولون مثلا ان شاعرهم شيكسبير يكون رابطة بينهم بأدبه وقصصه اقوى من رابطة الكومنولث فى الشعوب البريطانية . والمسلمون يجدون القرآن يشتمل على القصص والعقيدة والتشريع وتربية العواطف الدينية وتوحيد المشاعر والاهداف فى نزاهة لفظ وسمو خيال ، وروعة اسلوب ، واستخلاص عبرة ، وتقويم اخلاق ، مما يرتفع بقارئه ودارسه والمتخلق باخلاقه وآدابه الى درجة الكمال فى كل منحى من مناحيه ، ومعنى من معانيه .

ولا يمكن ان يقاس بالقرآن غيره او يساويه فى اي مرمى من مراميه ، فقد توحدت به اللغة العربية وكتب الخلود به للغة قريش ، لان القرآن نزل بها وبلهجتها ، وزاد على الآثار الادبية الاخرى المقروءة والمدروسة بكونه لغة صلاة المسلمين اللازمة خمس مرات فى اليوم والليلة يقرأ جميع المصلين كل يوم حصة منه ويناجون ربهم به ، فى مناجاتهم ودعواتهم وابتهالهم على اختلاف جنسياتهم ، ففيه نبأ ما قبلهم وخبر ما بعدهم وحكم ما بينهم من قصص للاعتبار ، وامثال للاستبصار الى حكمة دامغة ، وعظة بالغة ، وتشريع محكم ، على اساس العدالة والحق مبرم ، ووصف للرب بكل اوصاف الكمال والجلال وتنزيه له عن كل عيب ونقصان . وبالجملة هو كما وصفه الله : « كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » .

وازيد من هذا كله ان المجمع الاسلامي تكيف بتعاليمه مدة ثلاثة عشر قرنا ، وبلغت منه الاعماق وحبب الى كل مسلم ان تكون تربية ذريته وأهله على احكامه واخلاقه وآدابه ، رغبة منه فى ان تعيش فى كنف تعاليم القرآن طاهرة الذيل ، كاملة الفضل والعقل ، وتلك من الآثار الطيبة للقرآن فى المسلمين كما قال النبي عليه السلام : خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، وقال فى تفصيل وتوضيح هذه الخيرية (ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده .

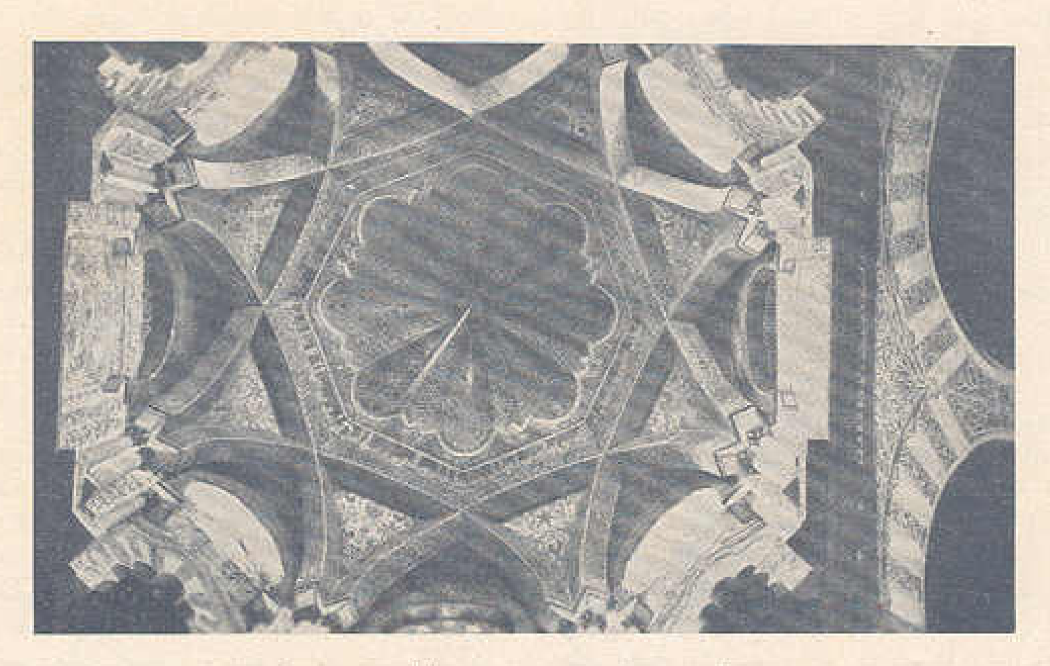
ومما زاد به فضل القرآن على تقوية الروابط بين المسلمين ، انهم بعد اعتقادهم بانه كتاب مقدس منزل من عند الله يتعبد بتلاوته ، وتحتم اقامة فروضه وحدوده ، اهتدوا الى تدوين العلوم الاسلامية ، وجمع آثار العرب اللغوية والفكرية ، حتى يتعرفوا تشريعه وتأثيره ، وتفسيره وقراءته وتأويله، فاتسعت دائرة العلوم والثقافات الاسلامية ، وخلقت هذه الثقافات والعلوم روابط متينة بين الامة الاسلامية ، قاربت ووحدت بين ميولها وتفكيرها وعقليتها ، فصارت على قلب رجل واحد ، وخرجت الى واقع حياة الناس تحمل مشعل النور، وسفر الكتاب المسطور ، الذي كتب الله لاهله الغلبة والسيادة والظهور . ومشارق الارض ومغاربها مملوءة بالآثار التاريخية والعلمية والادبية الشاهدة بما كتب فيها للاجداد من مقام كريم ، وتاريخ عظيم ، يشهد به الاعداء قبل ان يذكره الاصدقاء .

فالمسلمون امة واحدة تعبد ربا واحدا ، ولدينها الاسلامي لغة واحدة ، ويفرض عليها هذا الدين شريعة واحدة تساوي هذه الشريعة بين جميع اتباعها ، لا فرق بين مشروف وشريف ، وقوي وضعيف كما قال نبيها العظيم (المسلمون سواسية كأسنان المشط تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم) فينبغي لكل مومن ومثقف وكل وطني يحب وطنه ان يشعر من اعماق قلبه بجامعة اللغة العربية ، ورابطة العقيدة الاسلامية ومصلحة التشريع المشترك ، وفوائد توحيد المشاعر والاهداف الوطنية العليا التي عادت على الامة الاسلامية جمعاء بكل خير ، حتى استظلت تحت راية القرآن والوطن الاسلامي الكبير زهاء خمسمائة مليون من البشر ، لا ينقصهم لتكون لهم الكلمة العليا فى الميدان والميزان الدولي الا ان يعاودوا سيرة اسلافهم فى الاخلاص للغة القرآن والعمل بشريعته ولا بأس ان يتنازل بعض كبراء المسلمين المترفين عن بعض الكماليات فى اسلوب حياتهم لينزلوا لمستوى وسط يستطيعون معه أن يقيموا للاسلام فرائضه وحدوده ، ويعززوا مركزه ووجوده ، ويحفظوا مواثيقه وعهوده ، فان اوربا رغم قوة حضارتها المادية تعاني من الانحلال الخلقي ، والمآسي النفسانية ، والمشاكل الاجتماعية ما لا يجمل بالعالم الاسلامي فى دورته التاريخية المقبلة الباسمة ان يتخذها قدوة له فى كل شيء بل الواجب على العالم الاسلامي كله فى الشرق والغرب ان يحافظ على روحانيته ويعمل بكل قواه على احياء ما ضعف من عناصرها وان يأخذ عن الغرب قوة المادية فحسب ، فيضيف الى قوة نفسه ،

شدة بأسه ، ويسعى في جد لتوحيد صفوفه واقطاره، وحدة تكون قوة وعدة ، تنفع اهلها في كل رخاء وشدة . فان امتنا في طور التطور والانقلاب والتجديد لابد للمخلصين فيها من تحديد مثل اعلا لها في الحياة تلتف حوله الافكار، وتسعى اليه الامة في جميع الاطوار ولا نرى مثالا يحقق للامة جميع امانيها غير التمسك بالقرآن وشريعته ، في العقيدة والاجتماع ، والمعاملات والجنايات ، والسعي الجدي لتزويد الامة في الميدان العلمي والاقتصادي والصناعي والعسكري باحدث ما جد في العالم من الوسائل لهذه الغايات ، اذ كل ازدهار في اي ميدان من هذه الميادين قوة للامة تتوقف حياتها واستقلالها ومكانتها في الوجود عليه ، وقد قال تعالى : واعدوا لهم ما استطعتم من قوة . فجعل الامر بالاعداد منوطا بالاستطاعة البشرية ، فعم ذلك كل وسائل القوة الممكنة .

ويعجبني في هذا المعنى ما سجله الدكتور الاجتماعي الفرنسي غوسطاف لبون في كتابه سر تطور الامم في فصل تاثير المعتقدات الدينية في تطور المدنية حيث يقول . واذا رجعنا الى الجهة السياسية علمنا ايضا كيف كان تاثير المعتقدات شديدا والسبب في قوة الدين العظيمة كونه العامل الوحيد الذي تتوحد به وقتا ما منافع الامة ومشاعرها وافكارها ، فيقوم المبدأ الديني بذلك دفعة واحدة مقام غيره من العناصر التي يتكون منها روح الامة والتي لا تنتج هذه النتيجة الا اذا ربت وتم نضجها بالوراثة ، نعم لا يتغير مزاج الامة العقلي بمجرد استيلاء دين على قلبها ، غير ان جميع القوى تتجه نحو غاية واحدة هي الانتصار للمعتقد الجديد ، وفي ذلك سر قوتها العظمى ، لذلك نجد ان قيام الامم باعظم الاعمال كان في عصر هذا التطور الوقتي أعني عصر تدينها وتاسيس اكبر الممالك التي ادهشت العالم كان في عصر تدينها ، كذا اتحدت بعض قبائل العرب بفكرة محمد ، فاستطاعت قهر امم كانت لا تعرف منهم حتى الاسماء ، وشادوا تلك الدولة الكبرى .

ونحن نعتقد ان الدين فيه صلاح وان انعام الله على الانسانية بارسال الرسل مبشرين ومنذرين، عاد عليها باعظم الفوائد ، وهيأ لها في الوجود اعظم المقاصد وان ذلك كله كان نتيجة لتحقيق الوعد الالاهي لها على ما اقتضته حكمته ومشيئته ، كما قال سبحانه : وتلك الايام نداولها بين الناس ، وقال تعالى : قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير . فعلينا ان نجدد الايمان في نفوسنا . فان حياتنا الفاضلة في التمسك بالشريعة الكاملة ، استجابة لامره تعالى : واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا . فالى الاتحاد والقوة والحياة الفاضلة ايها المسلمون . وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون .



قبة محراب « مسجد قرطبة » من الداخل



اعجـازه باسلوبـه :

القرآن اختص باسلوب غريب ، ونظم مدهش عجيب ، انفرد فيه بمقام لا تبلغـه القوى البشرية ، وبمستوى لا يظهر عليه بمعارج ، بل تحار فيه الالباب وتتقطع دونه الاسباب ، مما يقضي بانه ليس بوضع بشري ، وانما هو اثر من الآثار الالاهية ، يشاركهـا في العجز عنه ، وان كانت مادتـه الحروف كالخلق العجيب الذي مادته التراب . ولهذه النكتة الدقيقـة والجوهرة الثمينة ، صدرت تسع وعشرون سـورة منه ، عدد حروف المعجم ، بشطر الحروف الهجائية حروفا مقطعة ، كأنه للتنبيه على المادة التي وقع منها الصوغ ، كتنبيه المخلوق العاجز على التراب الذي منه مادة الخلق تبكيتا وتعجيزا ؛ وكأنه بتعديـد تلـك الحروف الموزعة على اوائل تلك السـور يقول للبلغـاء المصاقع والخطباء اللد : ان هذا القرءان الذي تحداكم به عبدنا مركب من حروف لغتكم ومن مواد تجـري بين انفاسكم وتدور في تحاوركم فما بالكم عجزتـم عن الاتيان بسـورة مثله او من مثلـه ؟

هذا وان هذا الاعجاز انمـا يدركه بالتحقق العربي الصميم ، أو من مهر في اسرار اللسان ومرد عليه لسانه ؛ وبعبارة ، ان هذا الاعجاز انما يلـج في قرارة ذي اللسان او المضطلع باسراره ، كما لا يدرك اسرار الصناعات الدقيقة كالوشـي والتطريـز ، الا الفنان ذو البصارة والحذق فيهـا .

واني لمقف على ءاثار هذا الكلام ببعض الشرح والبيان لانارة سبيل الاهتداء في الجملة الى ذلـك الاسلوب الذي وصفنا .

ان اسلوب القرءان ليس جاريا على الفنين اللذين يصاغ فيهما اللسان العربي ، وهما : الشعر والنثر ؛ كما انه وان كان في عديد النثر لم يجر على طرائق النثر وانواعه ؛ وذلك ان النثر اما ان يرسله المتكلم ارسالا ويطلق فقراته اطلاقا ، واما ان يراعي تقسيم اجزائه وتواطؤ جمله على حرف واحد تقفى عليه فواصله. وهو المعبر عنه بالسجع . وان اسلوب القرءان فوق ذلك وبمكان فضل عليه . واذن فما اسلوبه ؟

اسلوبه كما قال الله تعالى : **(الله نزل احسـن الحديث كتابا متشابها مثاني)** وكما قـال سبحانه : **(كتاب احكمت ءاياته ثم فصلت من لـدن حكيـم خبير)** فهو تفصيل ءايات ينتهي الى مقاطع يشهـد الذوق بانتهاء الكلام عندها ، ثم تثني وتعاد مراعـى فيها ما روعي في الاولى ، ثم الثانية كذلك على غرارها وهكذا دواليك ؛ وبالمثال يتضح المقال ؛ اقرأ : **(الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين)** فان الذوق يشهد بانتهاء المعنى عند كل فاصلة من فواصل هذه الايات ، وهكذا كان يراها ويدركها مـن انزلت عليه (ص) .

اخرج الترمذي عن ام سلمة (رض) : كان النبي (ص) يقطع قراءته يقول : الحمد للـه رب العالميـن ، ثم يقف ثم يقول : الرحمن الرحيم ، ثم يقف ؛ وكـان يقرا ملك يوم الدين ، اي بحذف الالف وهي قـراءة الجمهور وقرا عاصم وعلي بالالف .

ومن حديث ابي هريرة في الموطا : يقول العبد : الحمد لله رب العالمين . يقول الله تعالـى : حمدنـي عبدي . يقول العبد : الرحمن الرحيم : يقول اللـه تعالى : اثنى علي عبدي ، يقول العبد : ملك يوم الدين يقول الله تبارك وتعالى : مجدني عبدي ، يقول العبد: اياك نعبد واياك نستعين ، فهذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال ، يقول العبـد : اهدنـا الصـراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضـوب عليهم ولا الضاليـن ، فهؤلاء لعبدي ، ولعبدي مـا سـال .

والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر ، وهو على خلاف القياس ، وقياسه مثنيات ، وقد افادت هذه الآية اطلاق اسم المثاني على ءايات القرءان كلها ، وخصت الفاتحة باسم السبع المثاني ، لجمعها لمقاصد القرآن ، كما سميت ام القرءان لذلك ؛ وتسميتها بالسبع المثاني هو في حديث ابي ابن كعب وابي سعيد بن المعلى : هي السبع المثاني والقرءان العظيم الذي اعطيت .

قلنا ان القرآن تفصيل ءايات ثم تثنيتها من غير التزام تواطىء فواصلها على حرف واحد يجذبها الى طريق السجع ، ولكن تلك الفواصل قد تتواطأ على حرف واحد وقد لا ، وتعلمون ذلك من الكلام على تنويع الاسلوب .

اسلوب القرآن يتنوع الى نوعين : الاول التنويع اللفظي ، والثاني التنويع البياني .

التنويع اللفظي : هو ما كان في الفواصل وهي اواخر الآي ، وقد يكون باتفاق السورة في كل الفواصل المقفاة ، كسورة القمر ، وسورة الشمس ، وسورة الاعلى ، وسورة القدر ، وسورة الاخلاص ، وسورة الناس . وقد يوجد في بعض الفواصل لزوم ما لا يلزم ــ وهو التزام ان يكون ما قبل القافية حرفا معينا ، وهنا اتحاد ما قبل الحرف الذي تتواطأ عليه الفواصل ــ نحو في سدر مخضود وطلح منضود ونحو اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت ، اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق .

ويكون التنويع باتفاق السورة في اكثر الفواصل كما في سورة الضحى ، وبورود فواصلها على انواع من التقفية كما في سورة الم نشرح ، والعاديات .

ومن تنويع الاسلوب ختم السورة ذات الفواصل المقفاة بفاصلة على غير قافيتها كما في سورة الرحمن : **(تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام)** ، وفي سورة الضحى المتفقة في اكثر الفواصل : **(واما بنعمة ربك فحدث)** ، وذلك لتنشيط السامع وارهاف فكره .

ومن تنويع الاسلوب حفظ الفاصلة المقفاة التي تبنى عليها السورة ، وان تخللتها فواصل مختلفة، وهي نوع غريب من التنسيق بحكيه الفن المسمى بالتوشيح ، وتجدون هذا في سورة الرحمن ، فان فواصلها انبنت على النون وقد توجد فيها ءايات مبنية على غيرها ، كالراء في قوله : **(خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فباي ءالاء ربكما تكذبان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فباي ءالاء ربكما تكذبان)** وكما في سورة ص فقد بني كثير من الفواصل فيها على الباء وان تخللتها فواصل مقفاة بغيرها ، وهكذا الى قرب ختمها ، لدى قوله : **(ان هذا لرزقنا ماله من نفاد)** فقد قفيت فيه الفواصل بغيرها ، كل ذلك للتنويع في الاسلوب لما يحدث من التطرية وتنشيط السامع .

التنويع البياني : وهو تنويع التعبير وصوغ المعاني في قوالب مختلفة للايذان بالتمكن في عقر البلاغة والاغراق في باب الاعجاز ، ونكتته الجري على ما عرف عن العرب من تصريف المعنى الواحد على اساليب متعددة ، وتقليبه على وجوه متنوعة من التعبير ، فجاء هذا التنويع في القرءان لاصابة هذا المعنى ، بتعجيزهم من جميع وجوه تصرفهم في الكلام مع ما يحمل في كل نوع من التعبير من الاعجاز .

وان الذكر الحكيم لطافح بهذا التنويع ، قاذف بجواهره في كل ساحل . واليكم قبسا منه :

قال في حديث اهل الجنة ونعيمهم : **(للذين احسنوا الحسنى وزيادة)** ، **(لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد)** ، **(وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة)** .

وفي سفينة نوح عليه السلام : **(وحملناه على ذات الواح ودسر)** ، **(انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية)** . نوع التعبير في كل الموضعين لمراعاة الفواصل .

وفي حال الناس عند قيام الساعة : **(وترى الناس سكاري وما هم بسكاري ولكن عذاب الله شديد)** ، **(يوم يكون الناس كالفراش المبثوث)**.

وفي حالهم عند البعث: **(ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا)** ، **(ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون)** ، **(يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون)** **(يوم يدعو الداعي الى شيء نكر خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر مهطعين الى الداع)** ، **(ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون)** ، **(فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة)** ، **(ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون)** ، **(يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير)** .

وفي القسم على تلقي القرءان من لدن حكيم عليم بواسطة الملك جبريل ، وقد روعي فيه ايضا التنويع ، القسم بالنجوم وهو من مدهشات التنويع :

(فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرءان كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين) .

(والنجوم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة) .

(فلا اقسم بالخنس الجواري الكنس ، والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم ذي قوة ، عند ذي العرش ، مكين مطاع ثم امين) .

وقد وقع تنويع الاسلوب في القرءان على ابلغ وجه واكمله ، بطريق الاطناب تارة ، والايجاز اخرى ، في مواطن منها مقام الاحتجاج بالنشاة الاولى على الاعادة.

فعلى طريق الاسهاب : (يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث ، فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ، لنبين لكم ، ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا اشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر ، لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) .

(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم انشاناه خلقا ءاخر ، فتبارك الله احسن الخالقين ، ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) .

(الذي جعل لكم الارض مهادا ، وسلك لكم فيها سبلا ، وانزل من السماء ماء ، فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى ، كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لآيات لاولي النهى ، منها خلقناكم وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة اخرى) .

(الم ير الانسان انا خلقناه من نطفة ، فاذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ، قال من يحي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم) .

وعلى طريق الايجاز : (ويقول الانسان اذا ما مت، لسوف اخرج حيا ، اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) .

(وانه خلق الزوجين الذكر والانثى ، من نطفة اذا تمنى ، وان عليه النشاة الاخرى) . (كما بدانا اول خلق نعيده ، وعدا علينا) .

(افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد) . (ولقد علمتم النشاة الاولى افلا تذكرون) .

(الم يك نطفة من مني تمنى ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ، اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى) .

(الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين) .

(فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر) (لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ..) الآية .

وقد افادت هذه الآيات ان هذا الانسان خلق من الارض ، وانه جلت عظمته استخلصه من سلالتها ثم نفخ فيه من روحه ، **(ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون)** ، وكشفت عن تفصيل نشأته وتدرجه في اطواره ، مما افاد اليقين بانه سبحانه عالم باجزاء كل مخلوق على التعيين ، كما قال تعالى : **(وهو بكل خلق عليم)** وقال جلت عظمته : **(بلى قادرين على ان نسوي بنانه)** ثم احتج سبحانه وتعالى بهذه النشاة المعلومة لنا على القدرة على الاعادة .

ولما كانت عقيدة الاعادة من عمد الدين سيق الاحتجاج عليها في الذكر الحكيم على اساليبه وذلك لتتمكن في النفوس فضل تمكن ؛ واذا التفتنا الى هذه الاساليب ونظرنا اليها من ناحية الاعجاز ادركنا اعجاز القرءان من هذا الوجه .

ومنها وصف قيام الساعة ، وهو ايضا متفاوت بين الاطناب والايجاز وذلك ليتمكن في النفس فضل تمكن لاهميته :

(اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت واذا النفوس زوجت واذا الموءودة سئلت باي ذنب قتلت واذا الصحف نشرت واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت) .

(فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت واذا الرسل اقتت لاي يوم اجلت ليوم الفصل ..) الآية .

(اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت واذنت لربها وحقت)

(اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها ..) الآية .

(فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحمت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها) .

(القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة) .

(يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا).

(يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات) .

(يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب) .

(يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا). (اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا) . (وفتحت السماء فكانت ابوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا) . (يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن) . (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) .

ولو امعنت النظر وانعمته فى وصف يوم القيامة والجنة والنار ، والاستدلال على المعاد الاخروي بآيات الله فى الانفس والآفاق المسوق ذلك فى سورة التنزيل ، بالاسهاب تارة والوحي والايجاز اخرى ، لرايت من انواع التفنن فى البلاغة وغرائبه ما يدهشك ثم يخرسك.

فاقرا سور المراسلات ، والنبا ، والنازعات ، وعبس ، والتكوير ، والانفطار ، والمطففين ، والانشقاق، والغاشية ، والفجر ، والبينة ، والزلزلة ، والقارعة ، وغيرها ، يتحقق لك ذلك عن عيان .

اعجازه ببلاغته :

الايجاز فى السور المكية : ان اول وحي تلقاه النبي (ص) كان بغار حراء ، وان قريشا اول من خوطب بهذا الكتاب المعجز ، وكانوا اصفى العرب قريحة ، وانبلهم عقلا واحصفهم رايا، كما ان لهجتهم ارقى لهجات القبائل العربية واعذبها منطقا واخفها وثبة على اللسان، وسبب ذلك كثرة اختلاطهم بغيرهم من قبائل العرب وما كان لهم فى سوق عكاظ من زعامة النقد الشعري ، والكلمة الفاصلة ، كما كانت بلدهم الامين محط رحال القوافل الضاربة فى الارض للتجارة فى انحاء آسيا ، وكانت لهم الرحلة التجارية الى الشام واليمن ، فاكسبهم جميع ذلك انتباها لتهذيب لغتهم وصقل الفاظها ، كما ربى فيهم حنكة فى الراي ودهاء فى العقل ، ومتانة فى التعبير واندلاقا فى البيان .

لما كانوا بتلك الذروة السامية ، وكانوا اول مطرح لاشعة انوار القرءان، خوطبوا باسلوب الايجاز والاشارة والوحي ، مراعاة لحق المقام ، واخذا بمقتضى الحال ؛ وانا لنرى ذلك جليا فى السور المكية ، كما نرى فيها تلميحات واحالات على شؤون كانت معروفة لديهم ذكروا بها واعيدت الى اذهانهم ليشكروا نعمة الله عليهم فيها ، كما نرى ذلك فى سورة الفيل التي ذكروا فيها بنعمة الله عليهم باهلاك عدوهم الذي هم بغزو الكعبة وتحطيمها وهي مجدهم وشرفهم المتاثل ؛ وكما نرى ذلك فى السورة المضافة اليهم – سورة قريش – التي ذكروا فيها بنعمة الله عليهم بادرار الارزاق بالاتجار الى اليمن والشام ءامنين ويتخطف الناس من حولهم ، محترمين لكونهم جيران بيت الله .

وان معاني هذه السور المكية متجهة الى تقرير اساس الدعوة واصول الدين ، وغرس مكارم الاخلاق فى النفوس ، والحث على اكرام اليتيم واطعام المسكين ، والا يعاد على جمع المال من غير اكتراث لحقوق الله فيه ، وتقرير هول يوم القيامة والتخويف من عذاب الله ، كما نرى ذلك فى سورة القارعة والتكاثر وسورة البلد : **(فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام فى يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين ءامنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة)** ، وسورة العصر ، وسورة الماعون ، وسورة الفجر : **(بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين وتاكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما كلا)** ، وسورة الهمزة ، وسورة العاديات : **(ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد)** .

وتظهر لي نكتة اخرى للايجاز فى هذا المقام يقضي بها الذوق ، وهي ان الايجاز والرمز فى الامور الغيبية ادخل فى الروعة وامكن فى الارهاب . واخرى وهي ان الاعتقاديات والامور الغيبية لا يساق فيها التعبير لبيان كنهها وتصوير حقيقتها ، وانما تقرب الى الاذهان تقريبا ، بدليل سوق القول فيها مساق الاجمال ، ففي ءاية التنزيه : **(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)** ، وقال تعالى فى نعيم اهل الجنة : **(وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين)** ، وبدليل افراغها فى كثير من المواطن فى قالب التمثيل والتشبيه كقوله جل علاه : **(وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون)** ، وقوله جل علاه فى تصوير البعث : **(يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر)** ، وقوله جل علاه فى تصوير قيام الساعة : **(فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان)** ، **(يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن)** ، وهذا والله اعلم من اسرار قصر السور المكية لاظهار العناية بما فيها ، وللايماء الى استقلال كل واحدة بما فيها من نصح وتهذيب وترغيب وترهيب .

ثم ان هذا القول فى خطاب اهل مكة انما هو اغلبي، والا فقد يخاطبون بالاطناب لموجبه كتاكيد الانذار فى قوله جل علاه : **(كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون)** ، وتاكيد اتيان الفرج بعد الشدة فى قوله عز وجل : **(فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا)** ؛

وذلك لضيق النفوس ساعة العسر ، وللتقرير بالنعمة في قوله : **(فباي ءالاء ربكما تكذبان)** عقب كل نعمة اسديت .

ومما خوطب به اهل مكة ايضا قوله تعالى : **(ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولم اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب)** ، وقوله : **(او القى السمع وهو شهيد)** .

الاطناب في السور المدنية : قد روعي في السور المدنية الاسهاب والابانة لما انها قد سبقت لتقرير الشرائع وبيان الحلال والحرام ، وتفصيل احكام المعاملة والحروب والمعاهدات ، فكان الاطناب فيها هو مقتضى الحال ليتاتى العمل بها بوجه بين لتنفذ خططها كما يجب .

واستهلال الشريعة بتقرير الاصول قبل الفروع امر تقضي به حكمة التشريع ضرورة ؛ وقد اخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها : **انما نزل اول ما نزل منه سورة المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى اذا ثاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل اول شيء لا تقربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر ابدا ولو نزل لا تزنوا لقالوا : لا ندع الزنى ابدا . لقد انزل على محمد (ص) واني لجارية العب : بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر . وما نزلت سورة البقرة والنساء الا وانا عنده)** .

ومن امثلة الاطناب في التشريع ما في ءاية المحارم : **(حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم ... الاية)** . ومثلها في الاستيذان : **(يا ايها الذين ءامنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ... الاية)** .

وكذلك مما يقع فيه الاسهاب قصص بني اسرائيل ، فقد قال الجاحظ في كتاب الحيوان صحيفة 46 ج 1 : ووجدنا الناس اذا خطبوا في صلح بين العشائر اطالوا ، واذا انشدوا الشعر بين السماطين في مديح الملوك اطالوا وللاطالة موضع وليس ذلك بخطل ، وللاقلال موضع وليس ذلك من عجز ، ثم قال : ورأينا الله تبارك وتعالى اذا خاطب العرب والاعراب اخرج الكلام مخرج الاشارة والوحي والحذف واذا خاطب بني اسرائيل وحكى عنهم جعله مبسوطا وزاد في الكلام .

وقد قال الرافعي في اعجاز القرءان صحيفة 257 ان ذلك الاسهاب والبسط والتوضيح والتكرار لقصصهم، جرى على منهاج الادب العبري ليدرك احبار اليهود واهل العلم منهم من اعجازه في اسلوب ادبهم ما ادركه العرب من اعجازه في اسلوب لسانهم .

والذي نراه ان هذا النوع من الخطاب لا يجري على الادب العبري ، وانما الواقع فيه انه لما كانت نفسية العبرانيين لا يتاتى التاثير عليها الا بتكرار الكلام واعادته والتنوع في الفاظه ، وكان وجدانهم لا ينفعل الا لخطاب متكرر المعنى والالفاظ ، روعي في خطابهم هذه النفسية وهذا الوجدان ، فالقي اليهم الكلام بالاسلوب العربي الذي يلقى لمن كانت نفسيته على ذلك الوصف ؛ فان البلاغة هي ان تبلغ المتكلم ما يريد من نفس السامع ، فهذا الاسلوب من اسرار اللسان العربي ايضا ، لا انه جرى على اسرار اللسان العبراني ، والقرءان نزل بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم .

التشبيه في القرءان : التشبيه عند العرب يكسب سورة المعنى تحقيقا ويكسوها حلة المشبه به من حسن وروعة او خسة وضعة ، وهو في الذروة العليا عند اهل الصناعة ، ومن اجل ما يجتلى له عند حسن البيان .

ومن بديع التشبيه في القرءان تشبيه اعمال الكفار بالظلمات المتراكمة في قوله تعالى : **(او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها)** .

وقد تضمن هذا التشبيه وصف البحر في حال غليانه وهيجان موجه وركوب بعضه بعضا ؛ وهذا الوصف مما ينطق بان هذا القرءان ليس من تلقاء نبينا (ص) لانا نعلم يقينا انه لم يركب البحر طول عمره ، وقد وصف في هذا التشبيه البحر بصفات لا يمكن ان يتخيلها من عاش في جوف الصحراء لان مادة الخيال تستمد من الحس ، ولا يعرف هذه الصفات الا المتلجج في المحيطات العظام كالمحيط الاطلسي في طريق العالم الجديد . فان قلتم هل راى نبينا (ص) البحر ، فالجواب انه ليس لدينا ما ينطق بذلك يقينا ، وكل ما عندنا انه يمكن ان يكون راى سواحل البحر الاحمر في طريق الهجرة لما في حديث الصحيح فسلك بهم الدليل طريق الساحل ، ويمكن ان يكون راى خليج ايلة من البحر الاحمر لانها محط القوافل في طريق الشام ، وقد سافر (ص) الى الشام ، ويمكن ان يكون راى بعض سواحل البحر الميت لانه في طريق الشام ايضا كما قال تعالى : **(وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل)** ، الا ان الوصف الواقع في الاية فوق ذلك ، فانه لا يكاد يتم الا في لجج الاقيانوسات العظام .

ومن تشبيهات القرءان المحتوية على كنوز العلم التشبيه الواقع في آية **(يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب)** ، واليكم بيانه : السجل معناه الورق المكتوب فيه ، والكتاب نفس المكتوب ، واللام بمعنى : على . اي نطوي السماء كطي الدرج على ما فيه من سطور مكتوبة . قاله في اعلام الموقعين . واطلاق الكتاب على نفس المكتوب وارد في التنزيل قال تعالى : **(ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين)** ، وقال : **(رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة)** كما يطلق على الكتاب بالمعنى المذكور اسم الخط .

وقد صور قيام الساعة في مواضيع اخرى من التنزيل بتكوير الشمس وانتشار الكواكب وزلزلة الارض ونسف الجبال ، قال تعالى: **(اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت** الاية . . . **(اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت واخرت)** ، **(فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت)** ، **(وفتحت السماء فكانت ابوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا)** ، **(يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن)** ، **(فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان)** ، **(يوم تشقق السماء بالغمام)** .

هذه جملة من تشبيهات القرءان، وان الاسترسال في تقرير ما تنطوي عليه اصداف الكتاب من انواع المجاز وفنون البديع وما تحرزه من البلاغة الرائعة ، مما يستدعي الزمن الطويل .

جاء القرءان فاهاب بالعرب وهم بين شعب الجبال ومواقع القطر ودعاهم لما يحييهم وابطل عادتهم الصميمة في التفاخر بالآباء فقال : **(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعناكم شعوبا وقبائل لتعارفوه ان اكرمكم عند الله اتقاكم)** ، وقال : **(وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم)** ، فاعتبر عمله ولم يذهب مفاخرا ، وبمقتضى هذه الآية خطب (ص) يوم فتح مكة فقال : **يا ايها الناس ان الله قد اذهب عنكم غبية الجاهلية وتعاظمها بآبائها فالناس رجلان ، بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ، والناس من آدم وخلق الله آدم من تراب قال تعالى : يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير** . وبلغ ذلك النبي (ص) ايضا في حجة الوداع وتلا الآية كما اخرجه الطبراني في المعجم الكبير من حديث العداء بن خالد ؛ وروى الحافظ بن عساكر بسنده الى مالك عن الزهري عن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال : جاء قيس بن مطاطية الى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي فقال: هذا الاوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال هذا ، فقام اليه معاذ بن جبل فاخذ بتلابيبه ثم اتى النبي (ص) فاخبره بمقالته ، فقام النبي (ص) مغضبا يجر رداءه حتى اتى المسجد ، ثم نودي ان الصلاة جامعة ، وقال : **(يا ايها الناس ان الرب واحد والاب واحد والدين واحد وليست العربية باحدكم من اب ولا ام ، وانما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي . فقام معاذ فقال: فما تامرني بهذا المنافق يا رسول الله فقال دعه الى النار فكان قيس ممن ارتد في الردة فقتل.**

وابطل ايضا الكهانة وغيرها مما كانوا يتعرفون به الحوادث المستقبلة في زعمهم فقال : **(انهم عن السمع لمعزولون)** ، وقال : **(قل لا يعلم من في السماوات والارض الغيب الا الله)** ؛ وكانت الكهانة عقيدة ثابتة فيهم وكان للكهان عندهم قيمة ولهم فيهم اعتقاد عريض لزعمهم انهم يعلمون الغيب وكان لكل قبيلة كاهنها . وابطل ايضا العصبية وما كان لهم من التناصر بها بحيث كان الحال كما يقول شاعرهم :

لا يسالون اخاهم حين يندبهم
في النائبات على ما قال برهانا

فقال : **(يا ايها الذين ءامنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا)** .

وخص الوالدين والاقربين بالتنصيص لان شان العصبية ان تكون من الالتحام بالنسب او ما في معناه حسب ما قرره ابن خلدون في مقدمة تاريخه ؛ وفي الحديث : **(ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية)** . وحط من قيمة الشعراء وقد كان في الشعر هواهم بما يحفظ لهم من مفاخر الآباء واسباب العصبية ، ولم يتعرف الا بما هو حق منه فقال : **(والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا)** .

❋

اعجازه بما فيه من سنن الكون ونواميس العمران :
البحث في نواميس العمران والسنن العامة يسمى بفلسفة التاريخ وقد ذكر الاستاذ فريد وجدي في دائرة معارفه ان هذا العلم من ثمرات القرءان ؛ واني مورد جملة مما فيه من هذه النواميس العمرانية والسنن العامة :

القرءان حث في غير ما موضع على النظر في احوال الامم الهالكة للاعتبار بها والاتعاظ بحالها ، ولنعلم ان عاقبة الامم العاتية الهلاك والخسران فقال : **(فكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبير معطلة وقصر مشيد)** ، وقال : **(وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشانا بعدها قوما آخرين)** . وقال : **(الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا آخرين)** . وقال : **(افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)** . في آيات غيرها . وقرر ان الكون يجري على نظام ثابت وسنن لا تتبدل فقال :

(سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) ، وقال : **(فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)** ، وذلك ان للبشر سننا فى حياتهم الاجتماعية فقوتهم وضعفهم ، وغناهم وفقرهم ، وعزهم وذلهم ، وسيادتهم وعبوديتهم ، وحياتهم وموتهم ، كل ذلك منتهج على سنن الاجتماع جار عليه ، وفى مقدمة ابن خلدون تقرير الشيء الكثير من هذه السنن . وقرر ان الصلاح ضمان البقاء : (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون) ، وان الشقاق مدعاة لفناء الدولة : **(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)** ، وذلك كما وقع لدولة العرب بالاندلس ، فان سقوطها لم يكن عن هرم طبيعي ، وانما اودى بها الشقاق وقضى عليها التنازع والافتراق . وقرر ان العاقبة لاهل الصلاح والتقوى : **(ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون)** ، **(ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)** . وان اختلاف الآراء والمذاهب طبيعي فى البشر : **(ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم)** . وان للامم والدول اعمارا لا تتعداها : **(ولكل امة أجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون)** ، فكم بادت من امم ونشأت من امم . وقال : **(وتلك الايام نداولها بين الناس)** . وان الثروة والترف فى اول الدولة مما يزيد الدولة قوة : **(ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا)** ، وهو ما قرره ابن خلدون فى فصل ان الترف يزيد الدولة فى اولها قوة الى قوتها . وقرر القرءان ان كل امر يبرز فى الكون مما شأنه ان يرتبط بامر الاجتماع لابد له من غاية يستقر عليها ويتجلى حاله نهائيا فيها : **(وكل امر مستقر)** . وان الترف والانغماس فى النعيم مما يوذن بفساد الدولة : **(واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)** ، وهو ما شرحه ابن خلدون فى فصل ان الحضارة غاية العمران ومؤذنة بفساده . وقرر ان مصيبة الدنيا من شانها ان تعم : **(واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)** . واشار الى ان لكل دولة عصبية ومصطنعين : **(ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة اهلها اذلة)** ، وقال فى سبب انتقال الحال : **(ذلك بان الله لم يكن مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم)** ، وقال : **(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم)** . وان الامم اذا غلبت اسرع اليها الفناء : **(ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله أثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الاخرة الا القليل الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا)** ، وقرر ان عدم مواساة الفقراء وقسوة القلب عليهم من اسباب الآفات السماوية قال : **(انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة ... الاية)** . وان الاجتماع البشري ضروري : **(وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)** . واشار الى ان طبيعة القوي الغالب ان يفرق بين المغلوب ليتمكن سلطانه : **(ان فرعون علا فى الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم)** ، وقد اوسع هذا الناموس شرحا الفيلسوف ارسطو فى رسالته المشهورة الى الاسكندر يبين له الخطة التي سلكها فى ابناء ملوك فارس . واومأ القرءان الى ان الربا من مثيرات الحروب بذكر التحذير منه اثر الحديث عن الحرب ، وذلك فى سورة ءال عمران . وقرر ان المعاهدات والاتفاقات بين الامم يجب ان تبنى على الاخلاص دون الدخل الذي يقصد به التوصل الى ان تكون امة هي اربى من امة وازيد منها نفعا ، وبذلك تحصل ثمرتها قال تعالى : **(ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي أربى من امة)** ، وقد افاد هذا النص من كتاب الله ان المعاهدات يجب ان تكون مبنية على الصدق والاخلاص وان تكون واضحة البنود بعيدة عن الاجمال وطرق الاحتمال ؛ الى ما قرره القرءان من المساواة بين الشعوب : **(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)** . وان باهمال العمل بهذا الاصل وحصول الجفوة والنبوة من بعض العرب نشات الشعوبية وكانت من العوامل فى هدم كيان دولة بني امية ، وقيام الفرس بدعوة بني العباس للادالة من العرب ، الى ما قرره فى مسائل الطلاق والحجاب وتعدد الزوجات مما هو اعدل شيء فى تلك المسائل الاجتماعية المهمة ، لو استمسكنا فيه بهداية القرءان ؛ الى ما ثم من الحكمة البالغة فى تحريم الربا والميسر وما ينشأ عن تعاطيهما من استئصال اموال ذوي الثروة واليسار مع التقاعس عن اكتساب الاموال من الطرق المشروعة من فلاحة وصناعة الى ما فيهما من فساد الاخلاق ، وشكاسة التعامل وجفاف العاطفة ، على ان المعاوضات المنهى عنها وان كانت كثيرة فهي لا تخرج عن ثلاثة : الربى والباطل والغرر ، ويرجع الغرر فى التحقيق الى الباطل كما قال ابن العربي فى الاحكام ، وقد قرر القرءان النهي عن اكل اموال الناس بالباطل .

رمضان شهر القرآن العظيم

للاستاذ محمد بن العربي بنونة



يقول الله سبحانه وتعالى : — « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

فرمضان شهر مبارك ميمون ، نزل فيه القرآن العظيم ، وابتدأ فيه الوحي الالهي ، واتصل الرسول القوي الامين ، بالرسول الامي الامين فاضاءت الارض بنور السماء ، وعرف سكان هذه الارض — بفضل القرءان — اخبار السماء ، وقال الله عزت حكمته « ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ، ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا » فطمحت نفوسنا لاسترواح النفحات العلوية ، واشتاقت ارواحنا الى الاتصال بالنور الالهي ، وتشدت عقولنا الاهتداء بهذا النور الى أقوم واوضح السبل ، فان في هذا النور بشارة للمسلمين ، وتبيانا لكل شيء ، وشفاء ورحمة للمومنين ، فخصصنا هذه الكلمة بالحديث عن القرءان في شهره المبارك ، ومن الله نستوهب التوفيق ، ومنه نرجو الهداية .

*

القرءان كتاب هذه الامة الخالد ، انزله ربها على رسولها ، ليكون نبراسا ينير المسالك في ظلمة الحياة ، وقسطاسا يزن القيم في اهواء النفوس .. فهو — لهذا وغير هذا — مصدر الخير لها ، وهو الهادي للتي هي اقوم من طرق السعادة في الدنيا ، وسبل النجاة في الآخرة ، وهو فرقان يفرق بين الحق والباطل ، وبين الحجة والشبهة ، وبين الهوى والضلال ، وذلك بما فيه من روائع الحكم ، وعادل الاحكام ، وداعي الحق ، وناطق الدلائل بقدرة الله وعظمته ، وصادق الوعد لمتبعيه باخراجهم من الظلمات الى النور ، وبالامن بعد الخوف ، وبالتمكين في الارض ، فلهذا يجب عليها (اي الامة) ان تحفظه ، وان تعمل بـه .

القرءان — ايها القراء الكرام والقارئات الكريمات — كتابكم المبين .. كتابكم فاقراوه ورتلوه فهو ذكر لكم فاتخذوه وردا لازما تزك نفوسكم ، وتهذب قلوبكم ، وتستنر عقولكم ... يقول الرسول الحبيب (ص) : « ان هذا القرءان مادبة الله فاقبلوا مادبته ما استطعتم ، ان هذا القرآن حبل الله ، والنور المبين ، والشفاء النافع ... عصمة لمن تمسك بـه ونجاة لمن اتبعه ، لا يزيغ فيستعتب ، ولا يعوج فيقوم ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الرد .. اتلوه .. فان الله ياجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات ، اما اني لا اقول لكم « الم » حرف ، ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف » (ك) .

القرءان كتابكم فادرسوه وتدبروه فهو هاد لكم ، فاتخذوه اماما متبعا تستقم اخلاقكم ، وتسم تصرفاتكم ، وتسعد حياتكم ، ويرفع الله ذكركم ؛ فهذا الرسول الكريم (ص) يقول : « ماجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » (م. د. صح) .

القرءان كتابكم فاحفظوه وتعهدوه فهو منجاة لكم ، فاستروحوا منه روائح الجنة ؛ فهذا الرسول العزيز (ص) يقول : « من قرا القرءان فاستظهره ، فاحل حلاله ، وحرم حرامه ، ادخله الله به الجنة » الحديث (هـ. ت)

لهذا ندعو الى احياء دراسة القراءن ، والى تعميم تعليم القرآن ، والى السعي بشتى الوسائل للعمل بتعاليم القرءان .. « .. يا اباذر : لان تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من ان تصلي مائة ركعة » (هـ. ح) .. وصدق رسول الله (ص) فـ « ان الذي ليس في جوفه شيء من القرءان كالبيت الخرب » (ك. ت — صح ح)

ندعو الحكومة الى اقامة مدارس خاصة بدراسة القرءان ، وتفهيمه على ضوء السنة الشريفة ، والى تحفيظه لكل من توجد عنده ميزة الحفظ من اولادنا وبناتنا ؛ فقد وردت احاديث صحيحة في فضيلة حفظه ومزية العمل بـه .

ان خير وسيلة لارضاء الرب جل علاه التعبد بقراءة القرءان ، والاهتداء بتعاليمه في تزكية النفس وتربية النشء ، وتطبيق احكامه في واقع الحياة ، وفي توجيه دفة الحضارة العصرية نحو نوره الواضح .. جاء في آخر حديث شريف روي عن ابي امامة قوله (ص) : « .. وما العباد الى الله بمثل ما خرج منه ، يعني القرءان » . لان القرءان شامل جامع ، يحتوي على ما ينقي النفس ، ويطهرها ويرتفع بها راضية مرضية الى ربها .. ويحتوي كذلك على المبادىء التي ترفع من شان الانسان في هذه الحياة الدنيا حتى يؤدي وظيفة الاستخلاف في الارض ، فيتمكن من السيادة العزيزة ، ومن الاطمئنان الذي يكفل السعادة الكاملة . ويكفي ان ناتي بآية واحدة على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر ، وهو قوله جلت حكمته وعظم عدله : « ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى — وهو مومن — فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون »

اننا اذا كنا ندعو الحكومة والناس الى احياء دراسة القراءن العظيم ، والرجوع الى تعاليمه المنيرة، فلان ذلك هو الواجب علينا باعتبارنا مسلمين اولا وقبل كل اعتبار ، ولا نعذر — امام الله — بعذر مطلقا ؛ ثم بعد ذلك فاننا نعتقد ان للقرءان الكريم تاثيرا خاصا في تربية النشء على العفة والطهارة ، وفي تنمية مداركهم ، واعدادهم للحياة السعيدة ، وتاثيرا كبيرا في تنوير بواطنهم بتثبيت العقائد الصحيحة ، وتكوين الاخلاق الكريمة في نفوسهم باشعارهم بالمسؤولية امام الله وامام الناس ، « اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون ، وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

لقد « علم المسلمون الاولون ذلك في صدر الاسلام فوكلوا اليه — وحده — تربية اخلاقهم ، وتكوين مشاعرهم ، وتنظيم عقائدهم ، وادركوا ان من المستحيل ان يقوم غير القرءان مقامه في تربية النفوس ، وتكوين الملكات ، وتقويم الغرائز ، فابوا ان ياخذوا عقائدهم واخلاقهم ومشاعرهم عن غيره ؛ لانهم ايقنوا ان ليس في استطاعة اي انسان ان يؤلف كلاما يحمل في كيانه تاثيرا يماثل تاثير القرءان او يدانيه ، او يقع قريبا منه » . وانتفعوا بهذه المعرفة تمام الانتفاع ، فلقد كانوا يقراونه ويتدبرون آياته ليعملوا بما ورد فيه من الاوامر ، ويقفوا مع حدوده ، وينتهوا عما نهى عنه ، باعتباره القانون الاساسي لهم جميعا ؛ تحمي اوامره دولتهم ، ويحافظ على كيان جماعتهم ؛ وبفضل تربية القرءان وانواره وتوجيهه كانوا رجالا بكامل معاني الرجولة في جميع تصرفاتهم طهرت ارواحهم ، وسمت نفوسهم ، واتسعت آفاقهم، وعظمت آمالهم ففتحوا من الدنيا — في بضع سنين — ما لم يفتحه غيرهم في عدة قرون ؛ وبفضل اخذهم بالقرءان عزوا وسادوا ، وسعد معهم غيرهم ، مع العلم انه لم يكن يوجد — يومئذ — من وسائل التبليغ والنقل والسفر ما هو موجود الآن ، ولكنها الهمم التي رباها القرءان .. والابطال الذين دربهم القرءان .. وصدق الله العظيم : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا .. »

الأستاذ محمد الفاسي يعين عضوا عاملا :

في مجمع اللغة العربية بالقاهرة

عين الاستاذ محمد الفاسي عميد الجامعة المغربية عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في المكان الذي شغر بوفاة المرحوم عبد القادر المغربي .

وقد كان مقررا ان يتولى تقديم الاستاذ محمد الفاسي في حفلة افتتاح الدورة الحالية للمجمع ، الدكتور طه حسين ، الا ان الدكتور طه حسين اصيب في آخر لحظة بوعكة اضطر معها الى لزوم الفراش ، فقام نيابة عنه بتقديم الاستاذ محمد الفاسي الدكتور ابراهيم بيومي مدكور ، فتحدث عن المغرب كحصن من حصون الثقافة العربية ، وقدم ملخصا عن حياة العضو الجديد الاستاذ محمد الفاسي مشيدا بعلمه وفضله ، ذاكرا انه لم يتح له من قبل ان يتشرف بمعرفته عن كثب ، ولكن مقابلة واحدة قبل افتتاح الدورة ، كانت كافية لتطلعه على غزارة علمه وسعة افقه ..الخ

وبعد ذلك تقدم الاستاذ محمد الفاسي فالقى الكلمة التي تثبت نصها فيما يلي :

سيدي الرئيس

عندما ابلغت خبر تفضلكم بتعييني عضوا عاملا في المجمع الموقر ، رايت في هذا التعيين تشريفا لشخصي ولبلادي ، ولكنني اعتبرته فوق هذا مغزى جليلا يدل على ما وصلت اليه فكرة الوحدة العربية من رسوخ يبشر ببزوغ عهد جديد يجتمع فيه جناحا العروبة المشرقي والمغربي ، وقد تخلصا من الحواجز التي كانت تقف حجر عثرة في سبيل اجتماعهما ويسيران يدا في يد نحو تحقيق اهداف العروبة السامية .

وانني اشكركم على ان اتحتم للمغرب ان يشارك في بناء هذا الصرح العظيم الذي تعملون على تشييده بتوفيق ونجاح جعلا العالم العربي كله يقدره ويتتبعه باهتمام يظهر في الابحاث والمقالات التي تنشر في صحافة البلاد العربية كلها حول اعمال المجمع ومقرراته ، وقد يصطبغ هذا الاهتمام احيانا بصبغة التندر والهزل مما يعين على نشر هذه الاعمال وبثها بين كل الطبقات بأجدى مما تفعله الكتابات الجدية والدراسات المتعمقة، وقد رايت حضرة الدكتور منصور فهمي في احدى خطبه ، يتمنى ان يكثر المتندرون حول كلمة اقترحها حتى تنتشر ويتم الاقبال عليها كما انتشرت كلمة (الشطيرة) وانا بدوري اتمنى ان يلتفت المجمع بجد ، وكذلك كل من يهتمون بمستقبل اللغة العربية لافحسب الى ايجاد الكلمات للتعبير عن كل المعاني المستحدثة في كل الميادين ، فان المجمع الموقر سائر في هذا السبيل بخطى تدعو الى الاكبار ، ولكن على نشرها ايضا بين الجمهور وعلى السنة المتكلمين وتحت اقلام الكاتبين . فان اللغات لا تكون حية الا اذا كانت تجري على الالسنة ، فلا يكفي ان نسمي (الاوتوبيس) حافلة و (الكاميون) شاحنة و (البوسطة) بريدا ، ثم نظل في لغة تخاطبنا مصرين على اطلاق الفاظ (الاوتوبيس) و (الكاميون) و (البوسطة) على هذه المسميات .

واظن ان اجدى طريقة لجعل لغة التخاطب العربية لغة سليمة صحيحة ، هي ان نفرض على المعلمين في المدارس الابتدائية عدم استعمال اي لفظ اعجمي امام تلامذتهم، وذلك بوضع قوائم لاكثر الكلمات استعمالا وتوزيعها على المعلمين ، وقد نفذت في المغرب هذه الفكرة فعلا في وزارة التربية الوطنية في السنة الماضية ونشرت تلك القوائم كذلك في الصحف وبواسطة الاذاعة ، ولكن المعول قبل كل شيء على المعلمين حتى ينشأ الاطفال وهم يتكلمون لغة سالمة لا شية فيها .

وانني قبل مغادرتي المغرب حظيت بمقابلة صاحب الجلالة محمد الخامس نصره الله ، وقد كلفني

ان ابلغ حضراتكم تحياته وتمنياته لنجاح المجمع في رسالته ، وعند ما علم انكم اخترتموني لاحل محل الراحل الجليل الشيخ عبد القادر المغربي تغمده الله برحمته ، ذكرني بالكلمة التي كان وجهها جلالته لتلقى في حفلة تابينه ، وكان يقدره ، ولا ينسى له مواقفه من قضية المغرب ، وقد قال لي كذلك جلالته « ان تعيينكم في مجمع اللغة العربية تشريف للمغرب »

فاكرر لكم شكري وشكر بلادي ، راجيا من المولى تعالى ان اكون عند حسن ظنكم بي ، وان اوفق الى العمل بجانبكم ومعكم ، حتى نصل باللغة العربية الى المكانة التي برهنت على انها جديرة بها يوم وسعت حكمة الفرس وعلم اليونان .



في الحفلة التي اقامتها سفارة المملكة المغربية بالقاهرة بمناسبة تعيين الاستاذ محمد الفاسي عضوا عاملا في المجمع اللغوي . من اليسار الى اليمين : الاستاذ محمد الفاسي ، السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم المركزي بالجمهورية العربية المتحدة ، الدكتور مصطفى السعيد مدير جامعة القاهرة ، سعادة السفير السيد عبد الخالق الطريس.

ايها السادة :

انكم اردتم ان احل بينكم في محل كان يشغله احد اقطاب النهضة العربية الاولى ، الذين كان لهم نصيب كبير في كل الميادين التي سارت فيها الامة العربية بخطى واسعة نحو التقدم ونحو التحرر ونحو الاصلاح الديني والاجتماعي ، مما يجعلني اتهيب هذه الرسالة التي حملتموني اياها لاني سوف اجعل دائما نصب عيني سيرة الشيخ عبد القادر المغربي واعماله ، حتى احاول ان اساهم مثل ما ساهم به ، او بالاحرى ان اسعى نحو ذلك في بعض الميادين ، وقد احرز في كلها رحمه الله المعلى والرقيب . وان الحديث عن الشيخ عبد القادر المغربي في هذا الوسط العلمي الجليل بين زملائه واصدقائه ومعارفه ، لا يمكن ان ياتي بشيء جديد ، خصوصا وانه الف في حياته ، وكتبت عنه المقالات ، وتكلمت عنه الاذاعات ، وهو من افراد الرعيل الاول من رجال النهضة الذين استمروا في اعمالهم حتى ادركوا عصرنا ، فكان اتصالنا بامثال الشيخ جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده اتصالا ثانيا ، لا عن طريق الكتب فحسب ، بل عن طريق التلمذة وهي اجدى واكبر فائدة . فالشيخ عبد القادر المغربي من هؤلاء الاعلام الذين يقال عنهم مثل ما يقال عن كبار المحدثين : **ملحق الاحفاد بالاجداد** . وان كنت انا لم يتيسر لي ملاقاته رحمه الله فقد لاقيت وعاشرت كثيرا احد رفاقه ممن كان لهم ايضا الحظ الاوفر في النهضة العربية وهو الامير شكيب ارسلان رحمه الله.

ان من يتتبع سيرة الشيخ عبد القادر المغربي ، يرى تنوع مناحي نشاطه الفكري ، ويعجب لتوفر كل تلك الكفاءات في شخص واحد ، فهو الرجل السياسي الذي ناضل في سبيل خير الامة العربية ونشد لها الحرية وذاق من اجل مبادئه الاضطهاد والسجن ، وهو المصلح الديني الذي احس بان ما كان عليه الاسلام او بالاحرى المسلمون في القرون المتاخرة من الاعتقادات الفاسدة والتقليد الاعمى ليس من الاسلام في شيء وان الحق كل الحق فيما ينادي به الشيخ جمال الدين الافغاني والامام محمد عبده ، وهو المصلح الاجتماعي الذي يرى ان الدعوة التي يتزعمها قاسم امين في سبيل تحرير المراة هي ما يناسب روح الاسلام ويتاسف عند ما يرى في احدى الجرائد ما نشر عن قاسم امين من انه رجع عما كان يدعو اليه ، ثم يفرح ويستبشر عندما يتاكد ان الامر مكذوب عليه ، وهو الصحفي الذي شارك في تحرير عدة جرائد بل اسس جريدة له ينشر فيها افكاره ويناضل فيها عن المبادىء التي آمن بها ، وهو العالم الذي يولي ناحية اللغة العربية اهتماما امتاز به من بين رفاقه الذين كان لهم جميعا اشفاق على لغة القرآن وحدب عليها .

ان لكل من الامير شكيب ارسلان والشيخ رشيد رضا وامثالهما مواقف في الدفاع عن اللغة العربية والبحث عن وسائل احيائها وتصفيتها وجعلها اداة صالحة للتعبير عن كل مقتضيات المدنية الحديثة ، ولكن الشيخ عبد القادر المغربي فاقهم جميعا باعطاء هذه الناحية من القضايا العربية اهتماما خاصا ، حتى ان باكورة اعماله او تكاد ان تكون اياها ، تاليفه لكتاب الاشتقاق والتعريب سنة 1908 اي قريبا من خمسين سنة قبل وفاته. ومنذ ذلك الوقت وهو يكتب في هذا الموضوع ويحاضر فيه ويشارك في اعمال المجامع الثلاثة التي كان عضوا فيها بدمشق والقاهرة وبغداد ، ومجلات هذه المجامع وغيرها ملأى بابحاثه ودراساته ومنها ما طبع كعثرات اللسان ، وكلها في الدعوة للتعريب ولتطهير اللغة العربية من الشوائب ، وان هذه الظاهرة من نواحي تفكيره واهتمامه كانت من اول ما بدا من ميوله واستعداداته ، حيث نراه يعلق تعاليق لغوية على مجموعة (العروة الوثقى) التي كان يصدرها جمال

الدين الافغاني ومحمد عبده بباريس . وان عبد القادر المغربي فوق كل هذا الرجل الفاضل الذي كان يتخلق باخلاق المؤمنين والذي كان لا يكتفي بالكتابة في موضوع الاخلاق وبالدعوة اليها ، وانما كان يعيش عيشة الابرار، فقد كان رحمه الله كما حدثني عنه سعادة سفير الجمهورية العربية المتحدة في بلادنا السيد اسعد محاسن ابا حنونا بتربية ابنائه تربية تجعل منهم رجالا صالحين قادرين على تأدية واجبهم نحو المجتمع العربي احسن تأدية ، وكان رؤوفا باصدقائه عطوفا عليهم يزور مرضاهم ويعين من كان منهم في شدة ، وكان ابي النفس لم يتملق احدا طول حياته ، وكان ينشد العز للعرب في كل اقطارهم ، وان المغرب لن ينسى له مواقفه في ايام المحنة الاخيرة التي مني بها في آخر مرحلة من ايام الحماية ، حين ابعد ملكه وزعيمه محمد الخامس عن عرشه ونفي عن وطنه ، وقد ورد في الكتاب الذي بعث به جلالته للجنة التأبين كما اشرت اليه سابقا هذه العبارة : **« وما نسينا ولن ننسى موقف الشيخ عبد القادر من القضية المغربية في عهد الازمات الاخيرة ، اذ كان في الصف الاول من المناضلين عن حق المغرب العربي في الحرية والكرامة »** .

وان شباب المغرب يدين للشيخ عبد القادر المغربي بفضل كبير ، حيث ان كتابه (الاخلاق والواجبات) مقرر في كل المدارس الثانوية الرسمية منها والحرة ، وقد كان له احسن الاثر على الناشئة بما يمتاز به من الاسلوب السهل وروح الحماس التي تسوده وتجعله محببا عند التلاميذ .

ايها السادة :

ترون بهذه النظرة العجلى على سيرة الشيخ عبد القادر المغربي رحمه الله انني كنت محقا في تهيبي من تحمل الرسالة التي طوقتموني اياها ، ولكن لي في رحابة صدوركم وفيما عسى ان يكون من جدة في مشاركة الناحية المغربية من العالم العربي في اعمالكم ما يعينني على القيام بهذا الواجب .

نعم ان الجناح الغربي من العروبة يحافظ على تراث قيم من مخلفات الحضارة العربية الصميمة، وهذه الظاهرة قد تنبه اليها كل فضلاء المشارقة الذين زاروا بلادنا وشهدوا بها في محاضراتهم ودروسهم واحاديثهم والسبب في ذلك ان الحضارة العربية لم تجد نفسها بالمغرب امام حضارات قديمة يمكنها ان تؤثر فيها ، ثم انها لم يطرأ عليها ما يغيرها من مثل ما وقع بالمشرق ، فلا هي اصطدمت مع المدنيات الفارسية والرومية والهندية ، ولا تعرضت لفتوح المغول والتتر ، ولا دخلت حتى تحت النفوذ التركي ، والكل يعلم ان الخلافة العثمانية امتد نفوذها على كل البلاد العربية من الخليج العربي الى وجدة ، ولم تستطع التسرب الى المغرب حيث صدتها دولة الشرفاء السعديين ثم العلويين من بعدهم ، وهكذا بقيت كثير من الاوضاع العربية الاصلية سليمة في شتى المناحي الفكرية واللغوية والموسيقية والحضارية على وجه العموم من هندسة معمارية وزخارف ومطبخ وملبس وغير ذلك من مظاهر الحياة .

ثم ان تراث حضارة العرب في الاندلس، بقي كذلك محافظا عليه في بلادنا مما كتب له الخلود ، اذ امتزج مع الحياة واكتسب كذلك عمرا جديدا ، اما ما بقي منه باسبانيا فانه لا يتسم بهذه السمة ، وهو كالاطلال البالية وسط المدن الحديثة ، او كالغريب عن وسطه واهله واحبابه .



الاستاذ محمد الفاسي ، عميد الجامعة المغربية ، يصافح الامير مصطفى الشهابي ، عضو المجمع اللغوي، وذلك في الحفلة التي اقامتها سفارة المملكة المغربية بالقاهرة ، بمناسبة تعيين الاستاذ محمد الفاسي عضوا عاملا في المجمع ، يبدو في الصورة الى اليسار سعادة السفير السيد عبد الخالق الطريس ، والسيد احمد ابن المليح الوزير المفوض بالسفارة .

وتضفي مجموع هذه المميزات على الحضارة العربية بالمغرب الاقصى طابعا خاصا يساعد على احياء ماضينا المجيد ، وان في ما حافظت لنا عليه كذلك جامعة القرويين التي مر على تاسيسها هذه السنة مائة والف سنة سواء في خزائنها او في صدور علمائها ما نعتبر ايضا ذخيرة يستعان بها على تحقيق الغايات السامية التي يهدف اليها المجمع الموقر .

ايها السادة :

انني لا اريد ان اطيل عليكم في هذه الكلمة التي سمحتم بالقائها ، والتي اردتها قبل كل شيء كشكر لكم وترحم واحياء لذكرى الشيخ عبد القادر المغربي رحمه الله ، ولكنني اريد مع ذلك ان اتعرض قبل الختام لنقطتين اعتبرهما من الاهمية بمكان ، وذلك ان مجمع اللغة العربية حقق بما وضعه من المصطلحات

العلمية الامنية التي جاشت في نفوس كل المصلحين وكل المشفقين على لغتنا ، وهو لا يزال سائرا في طريقه لمسايرة كل المستجدات والمستحدثات وايجاد الكلمات للتعبير عنها ، ولكن ناحية اساسية من لغة التكلم العادية اليومية لا تزال مفتقرة الى الاهتمام ، فهناك الشيء الكثير من ادوات الحضارة الحديثة واثاثها مثلا نعبر عنه باللفظ الاعجمي او بكلمات عامية محرفة على اصول عربية ينبغي ان توضع لها الالفاظ المناسبة .
هذا من جهة ومن جهة اخرى فان مسألة توحيد المصطلحات ولغة التخاطب تتطلب منا مجهودا كبيرا ، اذ لا يكفي ان تكون لنا كلمة عربية للتعبير عن معنى من المعاني او عن شيء من الاشياء ، ولكن لتتم وحدتنا وليمكن ان يستفيد بعضنا من بعض ، يجب ان تكون لنا كلمة واحدة للتعبير عن الشيء الواحد ، واني لا اورد لكم الا مثالا واحدا فاننا نعبر في المغرب عمن يقوم مقام غيره في شيء بلفظ **خليفة** . فخليفة الرئيس وخليفة المدير وخليفة القائد الخ ... هو ما يعبر عنه بتونس بلفظة تركية هي **كاهية** ويعبر عنه في بلد عربي آخر بلفظة **وكيل** وفي غيره بلفظة **نائب** ، فهلا اتفقنا على واحدة من الكلمات العربية الثلاث بعد نبذ اللفظة التركية تماما ، وخصصنا اللفظين الاخيرين لحالتين خاصتين من النيابة ؟ والامثلة من هذه الخلافات لا تكاد تحصى وان كان يتعين علينا ان نحصيها وندرس كل صورة منها لنختار اليقها لما نريد التعبير عنه واقربه للسليقة العربية .

وان لي اليقين ان مثل هذا العمل لا تصغر عنه هممكم ، وانكم سوف تولونه من العناية ما هو جدير به وانكم سوف تتوفقون بفضل ذلك الى تحقيقه كما حققتم الاماني الثمينة التي جعلت لغتنا لغة حية تساير التقدم الحديث وتحتل المكانة اللائقة بها . وفقنا الله جميعا لما فيه خير العروبة والسلام عليكم ورحمة الله .

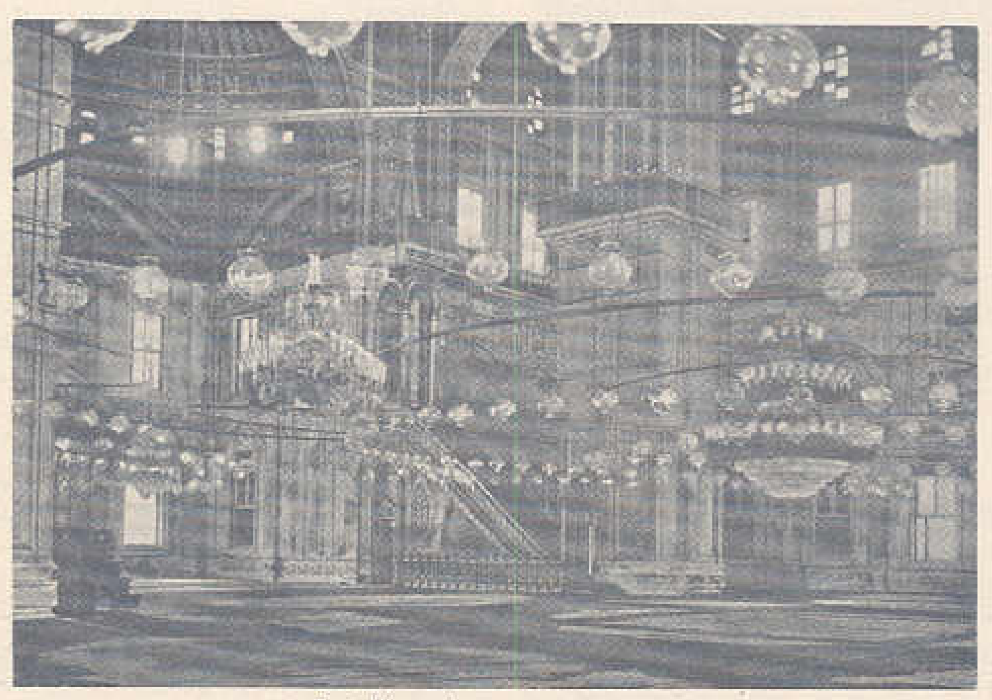
تعقيب للدكتور منصور فهمي سكرتير المجمع :

ايها الزملاء

ايها السادة

لقد حمل مولانا جلالة الملك محمد الخامس المعظم ، معالي زميلنا الاستاذ محمد الفاسي ، تحيته الكريمة للمجمع ، وهي تحية عزيزة نتقبلها بالغبطة والسرور ، لانه لا يحيي المجمع بها فحسب . ولكنه يحيي اللغة العربية ، وهي تراثنا الكبير الثمين الذي يجمع بين احاسيسنا واهدافنا في التحرر والعزة والمجد .

فباسم المجمع ، وباسم محبيه ومقدري اعماله ، تكلف زميلنا السيد الفاسي ان يرفع الى جلالة الملك العظيم اجلال المجمعيين ، ودعواتهم ان يوفقه الله لخدمة العروبة في مصالحها الغالية واهدافها في الوحدة والتحرر والعزة .



مسجد محمد علي ــ القاهرة

خواطر حول :

ابن الخطيب السلماني

للأستاذ :
عبد الكبير الفهري الفاسي
سفير المغرب في تركيا وايران

يقف الرجل على اي قبر من المقابر يترحم على اصحابها ، فلا تفوته العبرة يستجليها ولا الذكريات لآثار اولائك الذين سبقونا فى الحياة وسبقونا فى الممات ومهما طال بنا العمر فنحن بهم لاحقون ولما وردوه واردون . غير ان العبرة عند قبور دارسة اصبحت الايام لمعالمها طامسة ، تكون اعمق اثرا فى النفوس اذا كان اصحابها ولهم فى الحياة شان وقبضوا من الزمان على نواصيه ، وتصرفوا فى الحوادث قبل ان تصرفهم ، ووجهوها قبل ان تنقلب عليهم فى يوم لا مرد له .

واذا استوى الكبير والصغير لدى من لا يرحم الكبير لعظمته ، والصغير لوضاعته ، فان العبرة عند جدث العظيم تترك النفوس الحائرة ، ساكنة مطمئنة ، لمصير الاحياء الذين ينشدون المساواة ، ولا مساواة الا امام هذه السنة الكونية المطلقة الموحدة للانسانية توحيدا تتناساه طوال الحياة وما فيها من مفاتن وغرور .

تلك افكار كانت تدور بالخلد ، وتختلج فى النفس ، وانا واقف مرة اخيرة على قبر **ابن الخطيب السلماني** رحمه الله ، واذكر قوله :

ان بان منزله وشطت داره
قامت مقام عيانه اخباره

فنم زمانك عبرة او عبرة
هذا تراه وهذه آثاره

نعم بقيت لنا آثاره ، وبلغتنا اخباره ، ولا زال حملة الاقلام وقادة الفكر يمعنون فى الاشتغال به ميتا كما شغلوا به حيا . ورغما عن تاليف المقرى فيه قسطا هاما من كتابه **نفح الطيب فان** ما لم يدرس من جوانب حياته وجوانب شخصيته ودخائل نفسيته اكثر مما درسه الدارسون ... وقد وقع فى شانه ما وقع فى شان اكثرية رجالات العرب والاسلام شرقا وغربا ، اي ان مؤرخيهم ومترجميهم لم يراعوا فى الغالب فى دراساتهم الا جوانب الحياة الظاهرة ، ما بين ازدياد ونسب وتخرج على الاشياخ وتسنم متون المناصب واقتحام الاخطار فى الرحلة للعلم او الحج والجوار ثم المصير الاخير لكل حي .

وقلما نجد تعليلا للاحداث التي تزدان بها حياة الرجل ، او تحليلا لدواخل نفسه ودوافع سلوكه الحسن او السيء ، وتصرفاته كرجل قلم او سيف ، او بواعث سياسية اذا كان من رجال الحكم والسياسة . وقلما نجد كذلك دراسة للبيئة والظروف الملابسة لاعماله كل ذلك يغفل كانه لا يد له فى تكوينه او فى توجيهه فى ميادين الحياة التي خاضها ولربما طبعها بطابعه .



على اننا لا نلوم القدماء عندما يكتبون سير عظماء الرجال او يترجمون لهم ، الا « لوما نبيا » لعلمنا ان ما ندعو اليه اليوم من ضوابط وقواعد فى هذا الرهط من الكتابة ، يرتكز على النقد العلمي والتحري والتحليل النفسي ، وهو نوع من التفكير الحديث ، انما هو وليد عهدنا هذا ، ونحن المطالبون الآن بالسير فى طريقه والعمل بمقتضياته التي تتنافى مع كل تساهل فى المنطق والعقل .

واري انه من الحيف ان نحكم على الاقدمين فيما كتبوا بمقاييسنا التي نعيش عليها اليوم ، بل ينبغي ان نعلل اقوالهم وما يذهبون اليه حسب المقاييس التي عاشوا عليها ، الا فيما يخص البعض منها مما هو مشاع بين الامم التي سمت بها انوار الحضارة الى قمة البحث العلمي المجرد ، الذي لا يمكن ان ندعو غيره بحثا او دراسة الا على سبيل التجاوز والتسامح .

ولابد للواقف على قبر **لسان الدين ابن الخطيب** من الرجوع بفكره للنكبة التي لقي فيها حتفه . نعم لم يصب لسان الدين وحده بذلك ، بل يكاد يمتاز القرن الثامن الهجري بعد سقوط بغداد في منتصف القرن السابع باضطهاد العلماء ورجال الاقلام والحكم بما نكبوا فيه على يد المغول والتتر من خراسان الى البحر المتوسط . ولو اردنا ان ناتي بالامثلة على ذلك لطال بنا المقال . ولم يسلم من الاضطهاد والجبروت في هذا العهد المظلم الذي قوضت فيه معالم الحضارة الاسلامية حيث ما اجتاح الدخلاء دار السلام – الا من كانت سمته الانتهازية سواء كان من اهل العلم او من غيرهم . وكثيرا ما اريقت دماء العلماء او أوذوا او امتحنوا بالسجن والاعتقال وبغيره من قبل الرؤساء بايعاز الحسدة والمناوئين ، والذين لا ينظرون لقضايا العلم والاجتماع نظرتهم ، او ممن يحسدونهم على ما نالوه من عظيم الشهرة لحسن سلوكهم وطول باعهم في الرواية والدراية كما وقع للامام **ابن تيمية** رحمه الله .

واذا كان الاغتيال السياسي مبررا في القوانين المعمول بها اليوم، فانه في القديم لم يكن ينظر اليه كدفاع عن عقيدة او مبدا ، بل كان محمولا على انه دفاع عن النظام القائم والعقيدة الرسمية للدولة ، يتولى الاتهام فيه العلماء من نوع من افتوا باعتقال **ابن تيمية** مرارا متكررة ، وسجن **ابن الخطيب** ، على ان تتولى الحكومة القائمة تنفيذ الحكم تارة ، والعامة والرعاع والطغام من الناس تارة اخرى .

وكان مبنى اغتيال **ابن الخطيب** ، المروق من الدين ، هذا الدين الذي – علم الله – كم كان له من رحابة الصدر والتسامح في اكثر عهوده ، ولكن الدين في الواقع لم يتخذ في هذه النازلة التاريخية – ولها نظائر كثيرة – الا مطية للقضاء على منافس في السياسة ومناوىء في مناصب الحكم . وكم يسخر الدين لنيل الاغراض ، وكم يسخر لقضاء حوائج النفوس سواء في الغرب او في الشرق . وقد عرف المغاربة من هذا التسخير الشيء الكثير ،فبه تدال الدول وبه تثل العروش . وقد عشنا ذلك اخيرا في مغربنا العزيز عن كثب . . . ولا يقصر الحكام واولوا الامر والخاصة على انفسهم هذا التسخير للدين للنيل من منافسيهم ، بل يتعدى ذلك حتى صار في متناول العامة ، وذلك اننا كثيرا ما نرى منهم من يتشاجر مع صاحبه في شأن غرض من الاغراض ، فيرفع الواحد منهم عقيرته قائلا في وجه خصمه ، مستشهدا عليه من حضر من الناس على قارعة الطريق : **اسمعوا** انه يشتم الدين ! فيتبلبل صاحبه لعلمه أن ذلك الاتهام خطير ، وقد يؤدي به الى ما لا تحمد عقباه من انواع التعزير اذا ساقوه للمحاكم.

واذا كان الخاصة من رجال الحكم جعلوا قاعدتهم : **الغاية تبرر الوسائل** فما حسبك بمن لا خلاق لهم من الطغام الذين يعملون من غير تبصر او ترو ، وانما يجرون في الحياة ومع الحياة حسبما يتفق لهم من الوسائل وحسب ما توحيه الاهواء . . .

ومهما يكن من امر فان **سليمان ابن داوود** وزير السلطان **ابي العباس المريني** قد نال مبتغاه بهذا الاسلوب الفظيع الذي كان معمولا به في القرون الوسطى في غير المغرب ، في الاندلس قبل الجلاء وبعد الجلاء حين انشئت دواوين التفتيش . وليست نكبة **ابن الخطيب** الا مثالا من ذلك ، على ان ما عرفته البلاد الاسلامية من هذا النوع من التنكيل بالعلماء ورجال الفكر شيء قليل جدا بالنسبة لما عرف في العالم المسيحي في شرقه وغربه ، لان الكنيسة الرسمية لم تكن لتتسع لاكثر من نوع واحد من التفكير . وقد تجاوز الطغام الحد في حق **ابن الخطيب** حيث انهم نبشوا قبره واحرقوا جثته من غير ان يراعوا فيه الا ولا ذمة ولا سوابق خدمات في سبيل العلم والاسلام ، في دول رفعت من شان الاسلام والمسلمين في الاندلس حيث لم يبق بها من امجاد الاسلام الا الرمق . وقد حاول بعض المؤرخين ان يخففوا من مسؤولية عامة المغاربة في هذه الحادثة ، فذكروا ان من قاموا بها كانوا من زعانفة اهل غرناطة واوغادها الذين وردوا في ركاب سفراء السلطان ابن الاحمر ، عفى الله عنا وعنهم ، كأن الطغام يمكن ان يكونوا غير طغام فوق كل غبراء وتحت كل زرقاء !

واكتب هذه الخواطر وانا انظر الى صورتين اخذتا لقبر **ابن الخطيب** ، وهما اللتان زين بهما هذا المقال . انه منظر مزر والله ، وكأن **ابن الخطيب** لم يجد من يحن عليه من المخلوقات الا هاته الدوحة التي تظلله باغصانها ، وتؤويه بأفنانها كما تفعل الام بالوليد في احضانها . ابعد ما مر من قرون على حادثة ابن الخطيب تبقى له الاقدار معاكسة حتى في بناء قبر يعرف له ؟ لان الحائط الخارجي للحوش الموجود به لم يبنه من بناه وهو احد **باشوات فاس** الا لكونه يضم قبر صديق رفيق كان له ومات ، ودفن في نفس المكان ، ولو لم يكن ذلك لاندثر قبر **ابن الخطيب** بالمرة .

وحرى بالمغاربة عموما ، وبأهل فاس خصوصا ، وهم الذين وقع الحادث تحت سمائهم ، ان يقوموا بعمل من شأنه ان يكون فيه تعويض ادبي لما وقع في التاريخ ، وذلك بنقل جثمان ابن الخطيب ودفنه في مرقد أخير في ضريح ابي بكر المعافري المجاور له ، وهذا لا يكلف شيئا كثيرا لا في المال ولا في الجهود .

على ان للاحباس ان تضطلع بهذا الامر ليزداد فيما تشكر عليه من المبرات .

ولما لي من الشغف **بابن الخطيب السلماني** وبادبه الغزير ورهط تفكيره الذي هو تفكير رجل الحكم المغربي ، سأردف هذا المقال بآخر في شأنه ، لان دراسة **ابن الخطيب** متعددة الجوانب داعية للاغراء لما كان عليه الرجل من انواع المواهب ولتعدد مناحي انتاجه الفكري .

طهران 15 شعبان 1378

على هامش :

خواطر حول الخطيب السلماني

ورد في المقال الذي كتبه الاستاذ المحترم السيد عبد الكبير الفهري الفاسي سفير المملكة المغربية في الامبراطورية الايرانية والجمهورية التركية والمنشور قبل هذا الكلام ، **انه ينبغي لوزارة عموم الاوقاف ان تضطلع بمهمة نقل جثمان ابن الخطيب الى ضريح ابي بكر المعافري بالقرب منه .**

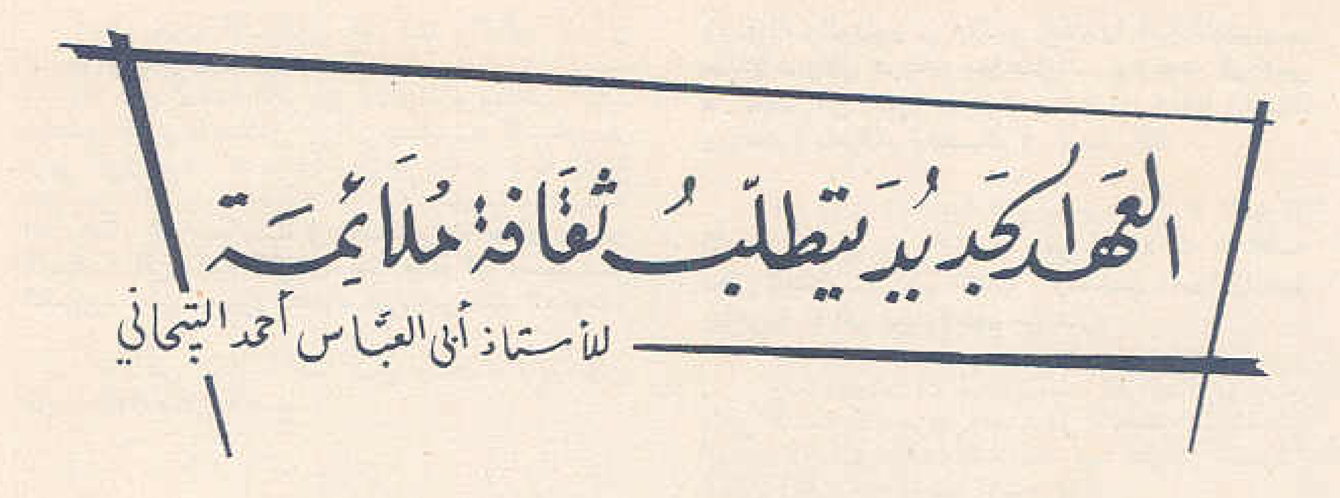
كما ورد في مقال **الدكتور صلاح الدين المنجد : انا عائد من المغرب** ، الذي نقل عن مجلة **(العربي)** في العدد الماضي من هذه المجلة ، انه اسف كثيرا اثناء تجواله في المغرب لما توجد عليه مدافن رجالات التاريخ العظماء في المغرب من اهمال ، وذلك كقبر يوسف بن تاشفين بمراكش ، والمعتمد ابن عباد باغمات ، وغيرهما . . .

ويسرني ان اخبر بهذه المناسبة ، انه بامر من جلالة الملك سيدي محمد الخامس نصره الله ، قد تقرر ان تقوم وزارة عموم الاوقاف ، باعادة بناء ضريحي يوسف بن تاشفين بمراكش ، ولسان الدين ابن الخطيب بفاس ، والاتصالات مستمرة الآن بين وزارة عموم الاوقاف وبين مصلحة الفنون والآثار التابعة لوزارة التهذيب الوطني ، من اجل تحضير التصميمات المناسبة لذلك ، وعسى الا يمر وقت طويل حتى يكون هذان المشروعان قد انجزا فعلا .

ويهمنا ان نذكر ايضا ، بان الغاية الوحيدة التي نهدف اليها من ذلك ، انما هي الاستجابة لرغبة المواطنين التي تتمثل في الرسائل التي ترد علينا في الموضوع ، ثم الاحتفاظ بمعالم التاريخ المغربي واضحة ، سواء في مظهره السياسي او الفكري .

اما ما عدا ذلك من المبالغات في تقديس الاشخاص، او التفكير في تشييد المزارات، فنحن ابعد ما نكون عن ذلك ، والله ولي التوفيق .

المكي بادو



معشر المسلمين ، اتدرون وضعية المجتمع العام الذي انتم جزء منه ؟ اتدرون الروح التي تسير الامم القابضة على زمام الزعامة بما توفر لديها من عدد وعدة في الوقت الحاضر ؟

اما وضعية المجتمع فهي ما يشاهده كل واحد من انقسام الدول العظام الى معسكرين : الكتلة الشرقية والكتلة الغربية ؛ وما تبقى من الامم الثانوية والصغيرة على حد تعبير العصر فبعضها تحيز حقيقة او حكما لاحدى الكتلتين وربط مصيره بمصيرها ، والبعض الآخر لا يزال يتردد فهو في شبه ارجوحة تطيش به تارة لجهة الشرق وتارة لجهة الغرب ، ومن هذا القسم الامم الاسلامية فان اقل ما يمكن ان يقال عنها ان موقفها يشبه موقف القائل :

ما بين معترك الاحداق والمهج .

هذا فيما يخص تصوير وضعية المجتمع بوجه عام . واما ما كان من الروح التي تسير الامم المتسنمة لذروة الزعامة ، فاننا نجدها متمثلة اظهر تمثيل في قول احد علماء الاقتصاد الانجليز اذ يقول :

اذا اتيحت لنا فرصة نرجو من ورائها ربح مائة في المائة سرقنا ، واذا كان الربح المرجو مائتين في المائة قتلنا ولا نبالي ، واذا بلغ ثلاثمائة في المائة القينا بانفسنا في المهالك ، ولو ادت الحال الى تجرع كاس المنون .

معشر ابناء الاسلام . هذه هي نفسية الامم الذين يلونكم وتجلسون معهم جنبا لجنب في المنظمات الدولية وفي مجلس الامن ، ما اكثر ما يتكلمون في هذه المنظمات على السلم ، وما اكثر ما يكررون بانه ليس هناك من المشاكل ما لا يوجد له حل سلمي ؛ هذا الذي تردده علينا صباح مساء مختلف الاذاعات وهذا ما تنشره الجرائد والمجلات . يقال لهؤلاء من اهون الهينات تعليم الابناء قراءة حروف الهجاء ، انما الصعوبة في تعليمهم قراءة ما بين السطور .

كثرة الكلام على السلم تتناول بطريق المفهوم الكلام على الحرب ، وذلك ما ادى (بزمارك) الالماني العظيم الى القول بان الاكثار في تصوير الشيطان على الحائط يوشك ان يخرج الشيطان بالفعل . تلك هي الحال فيما نحن فيه .

يقول الغربيون ان الهدف الوحيد الذي يسعى اليه العالم الحر ، انما هو اقرار السلم ، والسهر على مبادئه ، والكتلة الشرقية تجيب من جهتها :

عباراتنا شتى وحسنك واحد
وكل الى ذاك الجمال يشير

الكل يقسم ان اردنا الا الحسنى ، والله يشهد انهم الكاذبون .

بينما نراهم يشهدون العالم اجمع انهم لا يريدون الا الحسنى ، نراهم من الجهة الاخرى يعدون للصدمة المتوقعة عدتها من احلاف تبرم ، وقواعد جوية تؤسس وتجهز في طول المعمورة وعرضها ، هذا ما يمليه علينا الواقع فيما يتعلق بالكتلتين المتجابهتين ، مع العلم الذي لا مجال فيه لريب ولا احتمال ، بان الحرب واقعة لا مرد لها ، حكم بذلك من خلق الانسان ويعلم ما توسوس به نفسه في قوله جلت قدرته : **(ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) .**

ولا يعقل ان تبقى هذه العداوة مستمرة على توالي الاجيال الى يوم القيامة بدون ان تنفجر عن حرب ، لا سيما وهناك آية اخرى تؤيدها وهي قوله تعالى : **(ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد)** يضاف الى كل ما تقدم داع آخر من الدواعي التي تحمل على التشاؤم ، وهو اننا بينما نرى الدول العظمى في الحالة التي وصفت ، ودورة الفلك السياسي كما شرحت ، نرى الى جانبها ابدا هول الاستعمار جاثما يتحفز للوثوب .

وابو هول الاستعمار هو ذلك (الفالج) الذي لم يبق من يجهله ، ولمزيد التعريف به اروي لكم ما قاله عنه العلامة الامريكي (ستودار) صاحب كتاب (حاضر العالم الاسلامي) : (ان سياسة الاستعمار ترمي الى خصاء الشعوب) ويقرب منه ما قاله المؤرخ الفرنسي (اوجين كاط) في كتابه (تاريخ افريقيا الشمالية : **ان سياستنا في المستعمرات تحذو حذو السياسة الرومانية التي رسمت خطة لها تسخير الشعوب حتى يصيروا مجرد مزارعين عند الحكومة.**

تلكم هي الحال ، صدقها من صدق ، وابى من ابى . الواقع لا يرتفع .

*

فلم يبق لنا معشر المسلمين الا البحث عن الطريق الذي ينبغي سلوكه امام ما يتلبد امامنا من الغيوم في الافق السياسي .

باديء بدء ، يجب تنظيم شبه تعبئة عامة : **انفروا خفافا وثقالا تحت شعار ما قاله حكيم الشرق جمال الدين الافغاني الحسيني : « ما من احد باصغر من ان يعين ، ولا باكبر من ان يعان لانه لا حد للكمال » .**

وذلك بالتشمير على السواعد لبناء مجتمع جديد يقوم على ثقافة شهد التاريخ والواقع بصلاحيتها ومضمون مفعولها ، فلنبدأ بحفر الاساس باجتثاث العقائد والتقاليد التي لا يساندها اصل اسلامي صحيح ولا عقل ، مما تشكو ثقله وركاكته الكتب التي مثيت بحمله ، يجتث اجتثاثا لا يترك عرقا ولا ورقا الا قضى عليه ونبذ به الى العراء ، ثم الشروع في بناء مجتمع روحه العمل لبنته الاولى قوله تعالى : **(وهو الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا)** ولبنته الثانية قوله صلوات الله عليه وسلامه : **« اليوم الرهان . وغدا السباق والجائزة الجنة » .**

ركنان اساسيان عظيمان كما ترى ان هما روعيا على ما يجب ، لم يلبثا ان ينقلا الامة من الركود المتوارث الى مضمار المسابقة الذي فتحه سبحانه لاهل الكتب الثلاثة التوراة والانجيل والقرآن في قوله جل وعلا في سورة المائدة « ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون»

وفي هذا المعنى من الآيات ما يجعل الكاتب بمنزلة من يجلب الماء الى الساقية او ينقل الحطب الى الغابة من ذلك : **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون ــ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ــ ولكل درجات مما عملوا ــ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ــ انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله .**

فلو كانت السعادة تنال بمجرد قول **لا اله الا الله** كما يجري على الالسنة : **من قال لا اله الا الله دخل الجنة** لما قال الكتاب : **والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء .**

وبالاختصار ان بياض نهار القرآن اغنى عن غلس كتب الاشعري وغموض مذاهب المتكلمين كتب الاشعري الذي صار مضرب المثل في الغموض فيقال اخفى من كتب الاشعري .

ان الاسلام كما نراه في مرآة القرآن ليس بدين تواكل ولا احالة على المقادير في الجليل والحقير ، الثابت عنه عليه الصلاة والسلام : **الايمان والعمل اخوان شريكان في قرن لا يقبل الله احدهما الا مع صاحبه »**

والى حضرات القراء نماذج مما تهديه لطلابها ثقافة الاسلام :

النموذج الاول نلتمسه في سيرة المرشد الاكبر الاول صلوات عليه وسلامه يوم غزوة احد ، وشرح الحال باختصار : ان المشركين قد تقاسموا بعد انهزامهم في بدر لياخذن بالثار وليمحن ما لحقهم من عار ، فاجمعوا امرهم واستنفروا من استنفروا قاصدين المدينة معسكر الذين هزموهم في بدر ، وكان عليه السلام قبل وصول العدو راى رؤيا ان كانت تدل على شيء فعلى ما سوى الخير ، رأى في سيفه ثلمة وبقر تذبح من حوله ، وراى انه ادخل يده في كمه فتأولها هزيمة وان البعض من اصحابه يقتلون ، وانه يلجأ الى الالتجاء داخل المدينة . فلما اصبح الصباح تواردت عليه افواج الشبان ممن لم يحضروا بدرا ، جاءوا يلتهبون حماسا ، فصاحوا: **يا رسول الله لا يسرنا الا ان تلقى بنا عدونا .** فسكت عليه السلام لما في نفسه من امر الرؤيا تاركا الجواب لكبار الصحابة بما يحمل الشبان على الاناة والتدرع بالصبر ، فلما لم يجسر احد لاجابتهم ، دخل الرسول لمنزله ثم خرج لابسا لامته ومغفره عدة القتال ، وملامح نوع من الانقباض تلوح على وجهه ، فقال له ابو بكر : **يا رسول الله ، كاننا استكرهناك على الخروج فان رايت ان لا تخرج اليهم فلا خروج .** فكان الجواب منه عليه الصلاة والسلام: **ما كان لنبيء لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه المناجزة .**

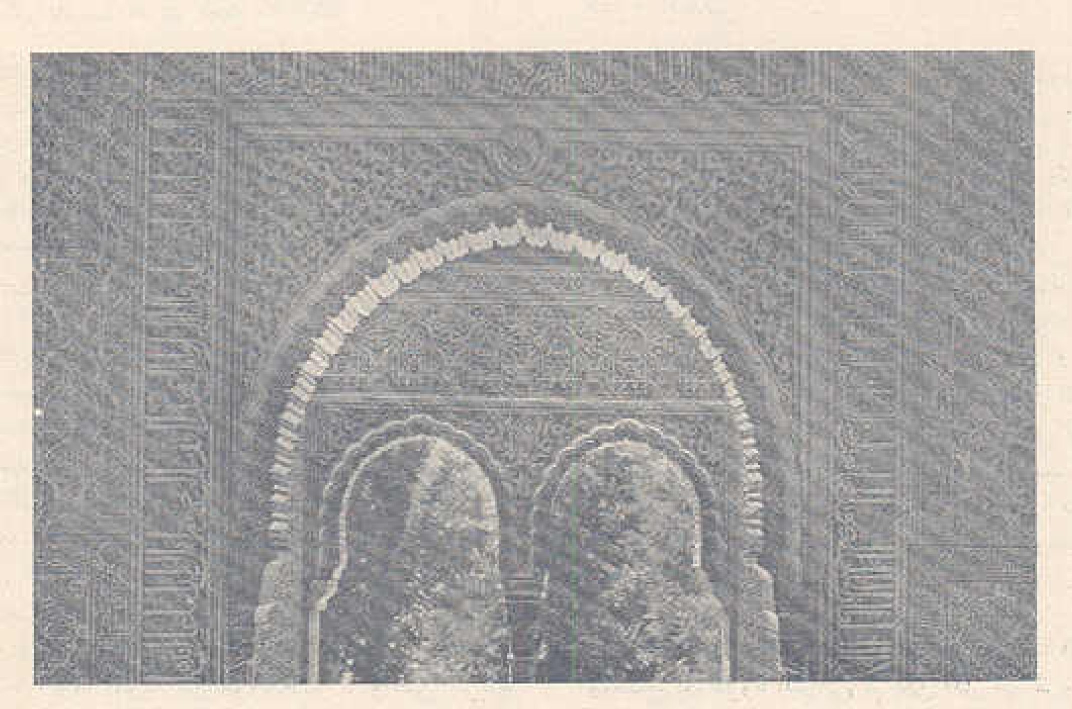
ذلكم كان هو الجواب . وهل ينتظر جواب آخر ممن نزل عليه قوله عز سلطانه : **فاذا عزمت فتوكل على الله** . ولا شك ان من لبس درعه فقد عزم . فكان ما كان من موت عدد من اصحابه منهم عمه سيدنا حمزة مما هو لا شك هزيمة ، ومع ذلك همة القائد الاعظم سيطرت على الموقف الى حد يقول فيه : **لقد كانت هزيمة احد احب الي من نصرة بدر** . وفي ذلك نزل قوله سبحانه : **((وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا))**

النموذج الثاني قضية ابي خيثمة في غزوة تبوك المشار اليها في قوله تعالى : **وقالوا لا تنفروا في الحر** . كان هذا الصحابي الجليل وجده الحال غائبا يوم خرج الرسول وبعد ان سار عليه السلام اياما دخل ابو خيثمة على اهله في يوم حار ، فوجد امرأتيه في عريشتين لهما في حائط قد رشت كل واحدة منهما عريشتها ، وهيأت طعاما وماء باردا ، فلما دخل نظر الى امرأتيه وما صنعتا ، فقال رضي الله عنه : رسول الله (صلعم) في الحر وابو خيثمة في ظل وماء بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء ، ما هذا بالنصف . ثم قال والله لا ادخل عريشة واحدة منكما حتى الحق برسول الله ، فهيئا لي زادا ، ففعلتا ، ثم قدم ناضحة (ناقة) فارتحلها بعد ان اخذ سيفه ورمحه ، ثم خرج في طلب رسول الله حتى ادركه .

النموذج الثالث استعيره من سيرة التابعي الجليل (سعيد بن المسيب) ومن خبره انه كان فقد احدى عينه في غزوة من الغزوات ، بعد ذلك بمدة تعين الخروج لغزوة اخرى ، فكان رضي الله عنه في طليعة من هبوا اليها ، فقال له بعض معارفه يا سعيد سقط عنك الفرض لانك من اولي الضرر ، **(لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله)** فقال سبحان الله ان الله استنفرنا خفافا وثقالا . اذا لم يمكني قتال اكثر السواد واحفظ المتاع .

تلك اخواني الثقافة والتربية التي ندعو اليها ، واقسم لولاها ما قام للاسلام عمود ولا اخضر للايمان عود .

والمولى سبحانه يلهم الشباب التاسي بمثل هذه المآثر والمفاخر ، فان شبابنا دخل هذا العهد السعيد تحت طالع سعد، وهو قوله عز من قائل : **(فما آمن لموسى الا ذرية من قومه)** انه سبحانه نعم المولى ونعم النصير .



نقوش وكتابة على بعض جدران (قصر الحمراء) غرناطة



لو ان المغاربة وجهوا مجهودهم الى اقامة قواعد واضحة محدودة ، لكانوا في ثورة بناءة ، فان هذا الغليان الذي نشعر به ، وفي الكثير من الاحيان قريبا يورثنا الارق، ما مثله الا كمثل نهر «سبو» عندما يفيض بالخيرات والبركات ، ثم يلقيها في لجج البحر دون ان ينتفع منها الا باقل من عشر المعشار ، ذلك لان النهر الكريم المتفضل لا يجد الاستعداد لصرف مياهه وادخارها ، واجتناء ما فيها من كهرباء ، وسقي ، وتجميل ، ولان افكارنا غير مهيأة لاقامة عمل صالح جليل ، وبدلا من ان ينصرف هذا الاندفاع فينا الى احداث مناطق تعاونية ، والى المغامرة في سبيل الاكتفاء الاقتصادي ، والى ترقية الفنون ، والى الاستكثار من المناسج والاثاثين ، والى استدرار مراقد الحديد والخدمات ، والى الانطلاق في التفكير المنتج ، نتركه يحطمنا تحطيما ، كالنار تأكل نفسها اذ لم تجد ما تأكله .

ولنا في اطفال المدارس عظة وعبرة فقد كنا نرى الاطفال عندما ينصرفون من عملهم في الكتاب ، يتضاربون ، ويفسدون ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، وكنا نعاقبهم بانواع العقوبات ، لانهم اساؤوا في تصرفاتهم ، وكلما اذنبو جلدنا جلودهم وابشارهم، فلما شممنا رائحة المعرفة ، ادركنا ان الطفولة حركة دائبة ليس في طوقها ان يقف نشاطها ولا ان يقيد مطلقا ، وادركنا ان العلاج مشروط بأن يكون مسايرا للفطرة لا يتعارض مع الطبيعة ، وحينما تأتي السيول تجرف معها الابنية والاشجار فان اتقاء اخطارها لا يكون بشتمها وذكر فظائعها ، وانما يندفع شر الفيضان باقامة سدود محكمة البنيان ، تحول التيارات الى الجهات التي تجعلها نافعة ، وتحول بينها وبين وجوه الخراب ، وان فعلنا فان خوفنا من تهاطل الامطار سيتحول الى امن ورجاء ، وتصبح نتمنى غزارتها ، لاننا سنجني منها ثمراتها ، وسنسخر تساقطها من مرتفعات في مساعدتنا على الانتاج القومي بما تحدثه من كهرباء ، وما تقربه من مواصلات . وحتى الرياح العاتية حينما تشتد سرعتها يرى فيها الذين يعرفون كيف ينظرون في ءايات الله ، ثروة طائلة لاسعاف الادمية باكملها ، ولا تهولهم شدتها ، ولا تصرفهم اعاصيرها عن التفكير في احداث الوسائل التي ترغمها على ان تكون وسيلة من وسائل البناء ، بدلا من تركها مخربة مهدمة .

لم تكن الحكومات عابثة في تخصيصها للاعتمادات الضخمة لتنظيم اوقات فراغ الاطفال والشبان ، فان الطفولة والشباب ليس الا قوة عظيمة في الامكان الاستفادة منها بمثل الصورة التي استفيد بها من قوة البخار ، وهبوب الرياح وتساقط الامطار . وكل شيء قوي في الطبيعة ، فان وراءه نتائج عظيمة في سبيل اسعاد الخليقة ، ولاشك ان طيش الشباب يكون حلقة من هذه السلسلة ولا ينفي عنها قيمتها في صلاحيتها للبناء ان يسميها الناس طيشا ، ونزقا، وما شاءوا من الالفاظ التي يلذها الغضب وضيق دائرة التفكير .

ومثلما نحن في حاجة الى بناء السدود للاستفادة من قوانا المائية ، نحن في حاجة الى موجهين ومسيرين ، والمشكلة في الاولى هي عين المشكلة في الثانية . وقد تكون لنا عن بناء السدود فكرة واضحة — وان كانت ناقصة — فنتصور ان اقامة السد تحتاج اولا الى مهندسين بارعين في مختلف الميادين المعمارية ، لكي يتم اعداد التقارير وينجز تقدير الاعتمادات، ويحال الامر على المنتجين العاملين لتحضير المواد اللازمة . واذن فان لنا فكرة عن بناء السد ، لكننا لا نتصور أو ان الكثيرين منا لا يتصورون ان النظرة الجدية التي ننظر بها الى اقامة السد هي النظرة التي نحتاج اليها في رعاية الطفولة وفي تقويم الشباب ، وليست الثمرات التي نحصل عليها من بناء السدود الا جزا بسيطا من الفوائد التي ننالها من تقويم ناشئتنا ، وحمايتها من عوامل الانهيار والشلل .

لقد بالغ الاستعمار في تخريب بنائنا القومي ، واتضح ان غزوه الترابي لم يكن اقل من غزوه للافكار ، ويوم كان المغرب في ظلمة حالكة من السيطرة الاجنبية ، لم نكن نبصر العيوب التي اصابتنا ، لاننا كنا في ظلام

حتى تبين الخيط الابيض من الخيط الاسود ، وانفلق صبح الاستقلال بعد غسق السيطرة الاجنبية ، فاخذنا نبصر ما حولنا ، مثل ما يبصره المبصر عند طلوع الفجر ، لا يكاد يتبين ، وكلما تغلغلنا فى بحبوحة الاستقلال ، وازداد الجو امامنا وضوحا ، وتبينا الاشياء اكثر ونحن اليوم فى مثل ما بعد طلوع الفجر بربع ساعة، مع العلم بان استكمال الابصار لن يتم الا فى رابعة النهار، والشمس فى كبد السماء . ومع ذلك فان هذا البصيص من النور وقف بنا على مهاوي لا قرار لها ، كانت قد اعدت لنا لنهوى فيها ويغرق فيها شبابنا الذي وقف منها على شفا جرف هار . لكن راس مال المغرب هو شبابه ، فلن يتركه متسمما ، ومن واجبه ان لا يقسو عليه فى احكامه ، فان القسوة تدفعه الى الهاوية ولا تنقذه منها .

*

من لنا بالاطباء الذين ينفرون خفافا وثقالا لمحاربة داء الياس الذي يفتك بشبابنا وزهرة مستقبلنا ؟ لكن الطبيب الذي يستطيع ان يعالج الشاب ، هو الشاب نفسه ، وليكن كل شيء لدينا جديدا ، وليتقدم الشباب للبناء وحده معتمدا على ربه .

وقد جرب ذلك طوائف من الشبان الذين نفتخر بهم فوقفت بهم التجربة القائمة على العصامية فى البحث عن القيم الحقيقية للمغرب العظيم ، على كنز من الامل والرجاء ، ليس له حد ولا نهاية وكل يوم ينقضي تهرع فيه زرافات من ابناء المغرب الى استرجاع وجودها ، بعد ان اضله الذين لا يحبون ان يبقى هذا الحصن المنيع للاسلام معقلا لا يتسوره المتسورون .

قضية التربية والتعليم في المغرب

للأستاذ : محمد العربي الخطابي

« ان الحياة العصرية لا تعرف الهوادة . والامة التي لا تقدر اعداد العقول حق قدره مقضي عليها لا محالة . ولن تجديها البطولة مهما استطالت ، ولا الدماثة الاجتماعية مهما ارتفعت ، ولا حضور البديهة مهما توقدت ، ولا انتهارات البر والبحر مهما تكاثرت .. فليس بنافعها ذلك كله في رد عادية القضاء »

الفريد نورث هوايتهيد

امتاز عهد الحماية البائد بعزلنا ، نحن المغاربة ، عن سائر شؤون الادارة والتسيير في وطننا ، فكان كل شيء يسير وفق مشيئة « الحماة » ، وتنفيذا لانظمة وخطط وبرامج تحدد مصلحة « الوجود الاستعماري » ، ويرسمها مهندسو هذا الوجود الساهرون على رعايته وتخليده .

وكان الصراع بيننا وبين رجال ادارة الحماية البائدة قائما على مسائل جوهرية يمكن تلخيصها هكذا : نحن امة لها كيان خاص بها ، ووراءها تاريخ وامامها مثل واهداف هي الطابع المميز لشخصيتها الانسانية والتاريخية والجغرافية ، فلا يمكننا ان نتخلى عن مقوماتنا وقيمنا الخاصة بنا ، ولا ان نتنازل عن اهدافنا ، او ندغم شخصيتنا في شخصية غريبة عنا تحاول ان تمسخنا وتمحو طابعنا المميز .

وكسبنا المعركة الاولى في هذا الصراع ، وهي معركة الاستقلال ، فوجدنا انفسنا وجها لوجه امام نظام سياسي واجتماعي واقتصادي قائم هو ثمرة سنين طويلة من الحكم الاستعماري المباشر ، واضطررنا ، كارهين او مختارين ، الى الابقاء على حشد كبير وثقيل من الموظفين الاجانب ، واخذنا نسير معتمدين على هذا الجهاز وعلى عدته الاساسية من الانظمة والخطط والبرامج ، نعلل النفس تارة « بنقص الاطارات » ، وتارة اخرى « بالاستفادة من تنظيمات جاهزة معدة ، فماذا كانت النتيجة ؟ وجدنا اننا نسير في اتجاه ، واهدافنا ومثلنا تسير في اتجاه آخر معاكس . وكان من حسن حظنا ان تنبه وجداننا فمضينا نستقصي الاسباب ، ونبحث عن الوسائل لنسير في الاتجاه الذي يجب علينا ان نسير فيه ، ونرمم كياننا المتداعي بما يجعله متين البنيان ، راسخ الدعائم .

وحيث انني اهتم في هذا المقال بقضية التربية والتعليم ، فانني اتساءل : ما هي اهدافنا في هذا المجال الحيوي ، وما هي الخطط والوسائل التي اعددناها او ننوي اعدادها لتحقيق تلك الاهداف ؟

ان اهدافنا في ميدان التربية والتعليم تحددها من جهة ، الغاية التي كنا نتوخاها من ذلك الصراع العنيف الذي بقي محتدما بيننا وبين الاحتلال الاجنبي زمنا طويلا قبل حصولنا على الاستقلال ، وما تلك الغاية سوى تاكيد شخصيتنا ، وتخليص كيان بلادنا من المسخ او الادغام ، ويحددها من جهة اخرى اننا جزء من العالم الاسلامي الذي تربطنا به اواصر التاريخ والهدف الروحي والانساني المشترك ، واننا امة عربية اللغة والثقافة ، ودولة تطمح الى مسايرة الحضارة البشرية ، والمشاركة بنصيبها في تحقيق التقارب والتفاهم بين العالمين لفائدة السلام والامن والحرية والاستقرار بالنسبة لجميع شعوب الارض.

لهذا اصبح لزاما علينا ان نضع اسسا وانظمة جديدة للتربية والتعليم ، تراعى فيها تلك الاهداف العامة . ومن وسائل ذلك :

اولا . — تغيير الجهاز الاداري والفني القائم فى وزارة التربية الوطنية من اساسه حيث لا يتلاءم مع امكانياتنا ووسائلنا واهدافنا فى هذه المرحلة البنائية التي تجتازها بلادنا . ومعنى هذا انه يجب التخفيف بقدر الامكان من عدد الموظفين الاجانب فى التعليم وحصر اختصاص الذين تمس اليهم الحاجة فى الاستشارة الفنية البحتة وابعادهم كل البعد عن الاشراف والادارة والتسيير ، وجعل ذلك فى يد مغاربة متيقظين ذوي استعداد وتبصر مع المعرفة الكافية ، حتى وان كانت الخبرة الفنية تنقصهم ، لان الخبرة تكتسب بالمراس والمزاولة الفعلية للامور. وليس يخاف على احد ان عددا من الموظفين الاجانب ذوي المسؤولية الادارية يحاولون عرقلة العمل البنائي الذي قد تسعى الحكومة الى انجازه وتحقيقه وهم يتسترون فى كل ذلك ، بالتمسك بالنصوص القانونية والتشريعية الموضوعة فى عهد الحماية لفائدة الاجانب

ثانيا . — الغاء التشريعات والتنظيمات الخاصة بالتعليم الموضوعة فى عهد الحماية او المعدلة فى عهد الاستقلال تعديلا لا يساير اهدافنا ومصالحنا القومية. ووضع تشريعات مغربية روحا ودما ، تستمد قوتها من رغائب البلاد الحقيقية ومثلها العليا . ويجب تجنب التعقيد الذي عرفت به الادارة الفرنسية ، وتوخي التبسيط المطلوب عند وضع التنظيمات والتشريعات الخاصة بالتعليم ، وذلك كسبا للوقت وتفاديا للاحراج والشطط .

ثالثا . — مغربة اطارات الادارة والتعليم ، بحيث يصبح حتى اساتذة الفرنسية — كلغة — او اللغات الاجنبية الاخرى التي تدرس فى المرحلة الثانوية ، مغاربة . وتحديد آجال معينة لاستكمال « المغربة » وتعريب الادارة ومناهج الدراسة والتعليم تعريبا كاملا وفقا لخطة مرسومة ومدروسة .

رابعا . — تكوين لجنة دائمة للتاليف المدرسي يعهد اليها : (أ) بوضع مناهج الدروس لمختلف المواد التي تدرس فى المرحلتين الابتدائية والثانوية . (ب) تاليف الكتب المدرسية التي تمس اليها الحاجة فى مختلف المواد .

ولا بأس من الاستعانة فى هذا المجال ببعض الخبراء من رجال التربية فى الشرق العربي وببعض خبراء اليونسكو فى التاليف المدرسي . ولا يخفى انه من المصلحة العاجلة ان تتولى الوزارة نفسها هذا العمل وتشرف عليه اشرافا فعليا ابعادا له من التلاعب والاستغلال وضمانا لاخراج مقررات مدرسية صالحة تكون فى متناول ايدي التلاميذ والطلاب بازهد الاثمان .

خامسا . — ايجاد « بكالوريا مغربية » صرفة وموحدة فى جميع اجزاء الوطن المغربي ، والسعي للاعتراف بها فى معاهد وكليات الاقطار الاجنبية التي تقتضي المصلحة ان نبعث اليها ابناءنا للتخصص فى مختلف العلوم والفنون .

سادسا . — وضع نظام ثابت قار للجامعة الوليدة ، تراعى فيه حاجة البلاد اولا وقبل كل شيء اذ انه لا معنى لوجود كلية — ككلية العلوم مثلا — كل طلبتها من الاجانب ، وتتبع فى نظامها ومناهجها جامعة اجنبية ، اذ اننا لسنا الآن فى المستوى الذي يجعلنا نفتح كلية عظمية ونرصد لها ميزانية ضخمة لنملأها بالطلبة الاجانب . لذلك يجب ان تكون حاجة البلاد وحدها داعيا لايجاد الكليات الجامعية والمعاهد التقنية وغيرها فاذا لم يكن لدينا العدد الكافي من حملة الباكلوريا الراغبين فى الالتحاق بكلية ما فيجب ان نكتفي بارسال ذلك العدد القليل الى الخارج .

سابعا . — توحيد التعليم الابتدائي والثانوي ، بحيث لا يبقى هنالك تعليم ابتدائي وثانوي (عصري). فنحن امة اسلامية عربية واحدة ، فيجب ان يكون نصيب ابنائنا فى مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي واحد ، فلا يفترقون الا فى المرحلة العليا ، فيتخصص منهم من شاء فى العلوم الاسلامية والفقهية ، او فى الآداب او الطب ، والهندسة وغير ذلك من فروع المعرفة .

ولا بأس أن تنشا فى نهاية المرحلة الثانوية اقسام توجيهية : قسم توجيهي ديني للراغبين فى التخصص فى العلوم الاسلامية (من فقه وتشريع وحديث) وقسم ادبي ، وآخر علمي .

ثامنا . — احداث مجلس اعلى لرعاية العلوم والآداب والفنون ، تكون مهمته تنشيط البحث العلمي بمناحيه المختلفة ، وحماية حركة التأليف والفنون الجميلة وتشجيع الباحثين والادباء والفنانين، وينبغي ان يكون من مهام هذا المجلس ايضا تنسيق الجهود والمحاولات التي تقوم بها مختلف مصالح الوزارة ومراكز الدراسة والابحاث والتنقيب التابعة لها ، والاشراف على ذلك من الناحية الفنية والعلمية .

*

ان المشاكل الاساسية التي يواجهها المغرب فى حقل التعليم ، والتي تتطلب الحلول الناجعة المستعجلة : اولا) اعداد المعلمين واساتذة التعليم

الثانوي ذوي القدرة على تدريس المواد الادبية والعلمية على السواء . ثانيا) ايجاد القدر الكافي من المدارس لايواء جميع الاطفال الذين يوجدون في سن التعليم وخاصة في البوادي التي يواجه فيها التعليم مشاكل متعددة ومعقدة . ثالثا) وضع البرامج والمناهج لسائر مراحل التعليم واخراج الكتب المدرسية الصالحة .

فمن التجارب التي اقدمت عليها وزارة التربية الوطنية منذ انبثاق فجر الاستقلال تجربة « الاعداد السريع للمعلمين » وقد كان ذلك خطوة ضرورية لمجابهة حاجة البلاد الى القدر الكافي من المعلمين الذين يتلقون تدريبا فنيا وبداغوجيا يؤهلهم لاداء مهمة التدريس بنجاح . الا ان لهذه التجربة ، التي لا مناص منها ، عيوبا في مقدمتها اقتصارها على اعداد وتخريج معلمين لتدريس مواد الدين واللغة العربية والجغرافية والتاريخ — وهي المواد التي تدرس في مدارسنا الابتدائية باللغة العربية — فلم توجه المناهج الموضوعة لمدارس الاعداد السريع العناية لتخريج معلمي الحساب والهندسة ومبادىء الاشياء والعلوم بالعربية ، بل عمدت الوزارة الى استخدام عدد ضخم من المعلمين الفرنسيين — ومعظمهم لا يتوفر على الاعداد الفني والخبرة الكافية — لتدريس هذه المواد في المدارس الابتدائية المغربية . وهي خطوة خطيرة لا يخفى ضررها وعدم صلاحيتها لاقرار نظام تعليمي ثابت في البلاد يرتكز على اللغة العربية . **واخطر من ذلك ان مدارس النواحي الشمالية من المغرب كانت متوفرة على المعلمين القادرين على تدريس سائر المواد باللغة العربية ، فكانت تدرس بالعربية ، مواد الحساب والعلوم والجغرافية والتاريخ وبقية المواد الاخرى الى نهاية السنة المدرسية الفارطة . وفي اوائل السنة الدراسية 58 — 59 كلف هؤلاء المعلمون بالاقتصار على تدريس مواد اللغة العربية والدين والجغرافية والتاريخ ، واسندت بقية المواد الى معلمين اسبانيين وفرنسيين مما ادى الى اضطراب وخلل كبيرين في التنظيم المدرسي الذي كان قائما ودلت التجربة على صلاحيته في اغلبية مدارس الشمال المغربي .**

ولمواجهة هذه المشكلة التي تشغل البال يجب ان يوضع لمدارس المعلمين الاقليمية مناهج تهدف الى اخراج معلمين قادرين على تدريس سائر الموادباللغة العربية ، وذلك لتعريب هذه المرحلة تعريبا كاملا بالتدريج المنطقي المعقول . كما يجب ان يبقى منوطا بالمعلمين الحاليين الذين كانوا يمارسون — عن جدارة وكفاية ، تدريس سائر المواد باللغة العربية ، وخاصة في مدارس النواحي الشمالية من المغرب — ان يبقى منوطا بهم اعطاء سائر الدروس بلغة البلاد التي يجيدونها ، ويستعاض عن المعلمين الاجانب الذين يقومون بتدريس الحساب والعلوم بلغة بلادهم ، بالمعلمين المغاربة الجدد الذين تخرجهم المدارس الاقليمية ، وذلك بكيفية تدريجية مستندة على برنامج مدروس ثابت ينجز في مدة معينة . وانا لا ارى بأسا من ان تدرس سائر المواد في عدد من المدارس المغربية باللغة العربية ، في نفس الوقت الذي تعطى — مؤقتا — مواد العلوم في المدارس الاخرى بلغة اجنبية — على ان يكون المنهاج واحدا — ما دام القدر الكافي من المعلمين القادر غير متوفر ، لكن يجب ان يكون السعي في اعدادهم متواصلا وقائما بصفة منظمة تهدف الى تعريب سائر المدارس في اجل من الزمن معين ومعقول .

وانا لا ارى صواب الراي القائل بالانتظار حتى يوجد من المعلمين القادرين على تدريس سائر المواد بالعربية ما يكفي لسائر المدارس المغربية . والراي الذي اراه صوابا هو ان تعرب كل مدرسة يوجد لها القدر الكافي من المعلمين القادرين على تدريس سائر المواد باللغة العربية فلا تكاد تمضي سنوات قليلة حتى يشمل التعريب سائر المدارس ، اذا كانت الخطة المرسومة ، هي اعداد معلمين قادرين على تادية رسالتهم باللغة العربية بالقياس لسائر المواد . وهذا ممكن وليس بالشيء الذي يصعب تحقيقه اذا اتجهت جهود المسؤولين الى اقرار نظام صالح مدروس غايته : تعريب التعليم في اجل معين معلوم . وفي هذا يجب الا نعتمد على آراء « الفنيين » الفرنسيين لانهم ابعد ما يكونون عن فهم اهدافنا وتقدير مثلنا العليا ، زيادة على ما قد تكون لبعضهم من اغراض ومصالح تتنافى مع اغراضنا ومصالحنا ، وما قد يحملون عليه من تنفيذ خطط وافكار لا تتفق في شيء مع خططنا وافكارنا .

ومن جهة اخرى يظهر لي انه في الامكان افساح المجال لطلبة معاهدنا الثانوية — الذين اجتازوا مرحلة القسم الاول وكانت دراستهم باللغة الاجنبية في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، فبقيت معلوماتهم العربية بسبب ذلك ضئيلة ، اقول يمكن افساح المجال لهؤلاء وتدريبهم تدريبا خاصا في مدارس المعلمين ، بحيث تكون المواد الرئيسية في هذا التدريب هي العربية وعلوم التربية ، وتكون غاية ذلك تهيئتهم ليصبحوا — بعدسنتين من الدراسةعلى الاقل — معلمين قادرين على تدريس المواد العلمية وغير العلمية باللغة العربية . فكما افسحنا مجال الاعداد السريع لطلاب المعاهد الدينية ، يجب ان نتيح الفرصة لطلاب المعاهد الثانوية « العصرية » — وانا اكره استعمال هذه الكلمة لنوع خاص من التعليم ، لان المفروض في ان يكون كله عصريا — خصوصا وان هؤلاء الطلبة قد تلقوا في التعليم الثانوي المعلومات الكافية . فما علينا الا ان نعلمهم كيف يلقنونها للاطفال بالعربية .

اما مسالة اعداد اساتذة التعليم الثانوي فاري حلها عن طريق انشاء معهدين للتربية العليا — على الاقل — يشتمل كل معهد على قسمين : قسم علمي

لتخريج اساتذة الرياضيات والعلوم ، وقسم ادبي لتخريج اساتذة اللغة العربية والجغرافية والتاريخ وما الى ذلك . على انه يجب ان يكون الالتحاق بهذا المعهد مباحا للمتخرجين من مدارس المعلمين المتوسطة بعد اجتياز امتحان خاص للالتحاق بمعهد التربية المذكور ، فلا يكون دخوله مقصورا على حملة البكالوريا الكاملة. فالطلبة الذين يتخرجون من مدارس المعلمين يكونون حاصلين على المعلومات الضرورية فى علوم التربية ، فينبغي أن يفتح الباب فى وجه المتفوقين منهم الراغبين فى تلقي دراسة تربوية عليا . وهذا النظام متبع فى الجامعات الاسبانية ، حيث يقبل قسم التربية الموجود فى كلية الآداب حملة اجازة المعلمين المتوسطة ، زيادة على حملة الباكالوريا .

والمشكلة الثانية ، هي مشكلة المدارس ، وهي مرتبطة ارتباطا كبيرا بمسألة اعداد المعلمين . وتبدو هذه المشكلة اكثر تعقيدا فى البوادي ، بسبب قلة المدارس ، وبعد المسافة بين المراكز التي توجد فيها مدرسة وبين المداشر والقرى . وفى رايي انه يمكن الاستفادة ولو بصفة موقتة ـ من الكتاتيب القرآنية التي لا تكاد تخلو منها جماعة من الجماعات القروية ، وذلك باصلاح هذه الكتاتيب وتجهيزها بالاثاث المدرسي والوسائل الصحية ، ومن جهة اخرى يجب تعميم نظام الاقسام الداخلية حتى يشمل جميع المراكز المدرسية او معظمها ، وبهذه الكيفية يمكن قبول المتفوقين والاذكياء الذين يصعب عليهم ارتياد المدرسة ، بسبب بعد المسافة بينها وبين مسكن عائلته . كما يجب انشاء وتعميم مدارس رياض الاطفال فى المدن لقبول الصغار الذين تتراوح اعمارهم بين الثالثة والسابعة . ولا يخفى ما لهذه الرياض من اهمية كبرى فى حقل التربية وفى اعداد أجيال صالحة نافعة .

ومشكلة وضع المناهج والكتب المدرسية لا تقل خطورة عن مشاكل التعليم الاخرى . فالمدرسون لا يكادون يجدون بين ايديهم مقررات مدرسية ملائمة ، كما انه ليست هنالك مناهج ثابتة وموحدة ، وخاصة فى المرحلة الثانوية . والمدهش ان بعض الكتب الضارة الموضوعة فى عهد الحماية والتي لا تتناسب مع روح الاستقلال لا تزال متداولة فى المدارس وخاصة ، كتب التاريخ والمطالعة الموضوعة بالفرنسية . كما أن بعض الكتب المدرسية الواردة من الشرق لا تصلح للاستعمال فى مدارسنا المغربية . لهذا فان احداث لجنة دائمة للتاليف المدرسي امر ضروري تدعو اليه مصلحة التعليم ، وتكون مهمة هذه اللجنة ـ كما سبق ان قلت ـ وضع المناهج والكتب التي تلائم بلادنا وتتفق مع الاهداف القومية والانسانية التي نتوخاها من التعليم. ولا شك ان وضع المناهج والمقررات المدرسية خطوة ضرورية لاستكمال تعريب التعليم بمرحلتيه الابتدائية والثانوية .

ومسالة اخرى يجب ان يعيد المسؤولون النظر فيها ، وهي مسالة الامتحانات التي يجب ابعادها عن « البروقراطية » ما امكن ، اذ من المعلوم ان بوزارة التربية الوطنية مكتبا مختصا بالامتحانات وانا فى هذا على راي المربي الكبير (ا . ن . هوايتهيد) الذي يقول « انه لا فلاح لنظام تعليمي ما لم يكن السؤال الموجه لاي تلميذ فى اي امتحان سوء الا صاغه او ادخل عليه التعديل الكافي استاذ المادة الذي درسها لهذا الطالب بالذات . اما الممتحن الخارجي فله ان يكتب عن المنهاج، وعن مستوى الطلاب » . ولست ارى صواب اعداد الاسئلة وتجهيز الامتحانات فى مكتب اداري .

*

ان هنالك قضية حيوية فى حقل التعليم ، وهي قضية قومية يجب مواجهتها بشجاعة وواقعية بعيدة عن العواطف التي تتبدد امام الحقائق الملموسة ، تلك هي قضية التباين الخطير فى التكوين والافكار والمقاصد والنظر الى الاشياء ، الموجود بين طبقات المتعلمين ، سواء الذين لا يزالون منهم فى المدارس أو الذين تخرجوا ودخلوا معترك الحياة . وهذا التباين ناشىء عن الوضعية التي كانت توجد عليها البلاد قبل الاستقلال وعن الخطط التي كان الاستعمار يرسمها للتفرقة وتشتيت الافكار . فالدراسة فى شمال المغرب مختلفة عنها فى الجنوب وهي فى سائر النواحي متباينة الاغراض متعددة الاشكال والانواع ، فهناك التعليم « الديني » والتعليم « الاسلامي » والتعليم الاروبي ، وهناك التعليم الحر الذي كان يتبع مناهج خاصة به . . . كل ذلك ادى الى تباين فى الافكار والاتجاهات ، ان لم نقل فى الاهداف والمثل العليا . ولن اكون مبالغا ان قلت بان هذا التباين كان من اسباب الاعراض الذي تلمسه فى كثير من شبابنا المتعلم تجاه قضية تعريب الادارة والتعليم التي كان ينبغي أن نواجهها بمعزل عن لون الثقافة التي اكتسبناها ، لانها قضية وطنية كبرى يتطلب علاجها جرأة وشجاعة وايثارا للصالح العام فليس الا الجبن عن مواجهة الواقع بنية اصلاح الحال، يحول بيننا وبين الاقدام على خطوة جبارة انقلابية . فيجب اذن ان نواجه هذا الوضع بشجاعة ورغبة صادقة فى توحيد برامج التعليم ، وتاليف الافكار ، وتقريب الاتجاهات عن طريق المدرسة والصحافة والمحاضرات والاذاعة وسائر ضروب النشاط الثقافي، لنكون الشخصية المغربية المنشودة ، التي تطبعها وحدة الهدف ، والمشاركة الوجدانية ، والتعاون المنتج المتبادل

التجاوب المغربي التونسي وآثاره في التاريخ

للاستاذ : محمد الشاذلي
عضو المجلس التأسيسي التونسي ، وأحد علماء جامعة الزيتونة



تجمع تونس والمغرب روابط منذ العصور القديمة ، وهذه الروابط تنمو في ازمان ، وتذوى في زمن ما ، ولكن وراء هذه الروابط صلة لاتعرف الذبول، ولا ينتابها الضوى .

وهذه الصلة هي الصلة الروحية التي تربط بين الساكنين في المغرب وتونس ، وهي صلة لاتقتصر على فئة واحدة ، لان التأثير الروحي ذو فاعلية محدودة في آفاقها ، ولا في مداها .

وبسبب التأثير الروحي تعددت انواع التشابه فيما بينهما ، حتى كان الامتزاج بين الداخلين الى تونس من المغرب او العكس ، وبين من يساكنونهم ، امتزاجا لايستدعي هضم شخصية ، ولا اماتة شعور خاص .

وانما قصاراه عملية بسيطة، وهي مجرد الاجتماع والتساكن ، واذا ما تمت هذه العملية البسيطة لم يكن هناك شعور ولا احساس بالتغير .

ويعزو الكثير سرعة هذا التجاوب الى وحدة الجنس والى وحدة اللغة أو غيرهما ، ولاشك في نفوذ تلك الوحدات الى الاعماق في التأثير ، والتغلغل في التكييف .

ومهما سلك ممتد يربط بين هؤلاء وهؤلاء ، فكل تأثير يجري في اية ناحية من المغرب ، او تونس أو الجزائر ، يجري مثله فيما يجاوره ، ويكون له صدى وانطباع فيه .

فحركة الفتح الاسلامي النبراس الذي اضاء الاراضي الافريقية لم تلبث الا يسيرا حتى سرا اشعاعها في اقصى نقطة في المغرب الاقصى بسرعة تفوق سرعة الصوت .

وجاءت بعد حركة الفتح الحركة الفاطمية ، وهي ليس كما يظن حركة مبعثها منحصر محدود في اجواء سياسية ، بل هي أوسع مما يظن ، وكانت في سرعة انتشارها في المغرب الكبير بالغة الحد الاقصى .

وهو ما نراه في الكثير من امورنا في المغرب او تونس ونلمسه فيما قل وكثر ، مما لايدع في نفوسنا أدنى ريبة من ان التأثير الفاطمي تجاوز بكثير المناطق المظنونة .

فالاحداث التي تقع بالجانب الشرقي من المغرب سريعة الانتشار في سيرها وعمومها المغرب كله ، اذ تنتقل من افريقية الى الجزائر فالى المغرب الاقصى ، والسبب في سرعة هذا الانتشار هو ذلك السلك وتلك الصلة التي تسري سريان القوة الكهربائية في أسلاكها .

فلا يكاد يحدث ما له تأثير من انبعاث حركة جديدة الا انتقل في اقطار المغرب العربي الكبير ،

وتجاوبت أصداؤه في ارجائه بدون استثناء ، فكـان هناك عقلا واحدا ، وكأن هناك روحا واحـدا .

واذا لم يبلغ هذا التجاوب في حدوثه المـدى البعيد ، تجد الجانب المقابل يسعى من نفسه تلقائيا طالبا لتحقيق هذا التجاوب .

والتاريخ مفعم بشدة هذا التجاوب والتعلق بـه من الجانبين ملتمسا فيسبيله كل الذرائع ، ومستسهلا من اجله كل المصاعب .

ومن امثلته ان الاندلس في القرن الخامس اشرفت على السقوط جمعاء ، ووراء ذلك السقوط سريان مثله الى المغرب .

ولكن قبل ان تهوى الاندلس ، وتستحوذ عليها ايد اخرى ، طما سيل من المغرب الاقصى وقف في وجه سيل آخر ، ورده على اعقابه في وقعة الزلاقة سنة 479 ، التي كانت موقعة فاصلة في التقاء بين امتين في عراك مستمر منذ عصور وعصور ، وفي حرب سجال بينهما منذ احقاب واحقاب .

وكان السبب في سيح هذا السيل الذي انقذ الاندلس ، تحريكة من القيروان من رجل اصله من فاس من بيت معروف ببيت بني الحاج ، وهو ابو عمران موسى بن عيسى الفاسي القيرواني ، الذي طوف في الآفاق ، وجمع في رحلاته بين المشرق والمغرب ، واختار بعد ذلك القيروان دارا لانها لم تبعد عن داره الاصلية وهي فاس ، واختارها على بلدان كثيرة تلقى فيها العلم وهي قرطبة وبغداد ، وهما هما ، والقاهرة وهي هي ، وانما آثر القيروان لانها اخت فاس فيجوها واهلها ، علاوة على انها قد توسطت بين المشرق والمغرب .

اختار القيروان وبث فيها علومه الواسعة التي طوت المسافات الشاسعة ، وقادت اليه من الصحراء يحيى بن ابراهيم اللمتوني الذي اعجب بعلمه ، وسحر ببيانه ، وتأثر بافكاره ، فسأله ان يكون هذا التجاوب الذي حصل بينهما متجاوزا لهذه المنطقة الى ما هو اوسع فاستجاب للرغبة ، وكتب الى احد تلاميذه وهو عبد الله بن ياسين الجزولي .

فبادر هذا التلميذ البار الى استجابة طلبة شيخه مبلغا أصداءه التي تجاوبت مع نفسه حين كان يتلقى عليه علومه بالقيروان ، وحاملا لها الى الصحراء ، فانتجت تلك الاصداء ذلك السيل الذي وقف في وجه ذلك الزحف الاسباني الذي يقوده الفونسو السادس ، فطما عليه سيلا مرابطيا ، وهذا الطمو لولا التشبث بالملك الهزيل الاجوف ، لعم وطم ، وانما الاثرة والحسد قد كان لهما التأثير السيء في ايقاف هذه الجحافل عن غرضها في الامتداد ، ونشر دعوة الحق .

سيـل طمـا لو لم يـذده ذائـد

* *

ويقابل هذا التجاوب الذي انقذ الاندلس من محق محقق ، والذي مصدره القيروان ، تجاوب آخر اجلى مما تقدم ، وكان هذا التجاوب على يد عبد المومن بن علي ، الذي شكله في تأثيرات متعددة من سياسية وعقلية تمتينا لتلك الصلة الروحية .

ان الاصلاح الذي صدع به عبد المومن متلقيا له من أستاذه محمد بن تومرت ، سرعان ما انتقل الى افريقية ، باستدعاء من الحسن بن علي الصنهاجي ، الذي كان في مراكش اواسط القرن السادس ليقوم بقسط في هذا التجاوب ، فاغرى عبد المومن على غزو المهدية ، وانقاذها من يد المتغلبين عليها ، ولم يتوان في انقاذ المهدية ، وسار اليها الى ان اعاد اليها الاسلام يوم عاشوراء من سنة 555 .

وبعد هذا الانقاذ أصبح التجاوب بين افريقية والمغرب اشد ما يكون ، فانتشرت الدعوة الموحدية في افريقية ودامت الى استلام الاتراك تونس من يدالاسبان سنة 981 .

ورغم انقراض دعوة الموحدين من مراكش بقيت في افريقية على يد الحفصيين ، فالتجاوب الموحدي في تونس بقي بها اكثر من اربعة قرون .

ولهذا نرى كثيرا من الآثار الموحدية باقيا الى اليوم ، في اللغة الشائعة ، وفي بعض التراتيبالحكومية رغم ان تونس مكثت مدة ليست بالقصيرة في الحكم التركي .

وسبب هذا هو ان عبد المومن حين دخل افريقية لم يدخلها دخول الفاتحين ، وانما دخلها دخول المنقذين وهو ما اطلق السنة بعض شعرائها ان يقول :

ما هز عطفيه بين البيض والاسل
مثل الخليفة عبد المومن بن علي

ولو اردنا ان نسترسل في التماس مواقع هذا التجاوب لوجدناه متصلا في العصور كلها ، وانما هو في اختلاف باختلاف العصور ، ففي عصور النهضة ساير الاتصال التقدم الفكري والعلمي ، وفي عصور الانحطاط كان صدى لذلك وصورة له ، كما هو موجود في تلك العصور التي اصيبت فيها العوالم الشرقية بعقم بسبب الانكماش ، والتعلق بسفساف الامور ، وذلك حال العالم الاسلامي اجمع في تلك الايام الحالكة .

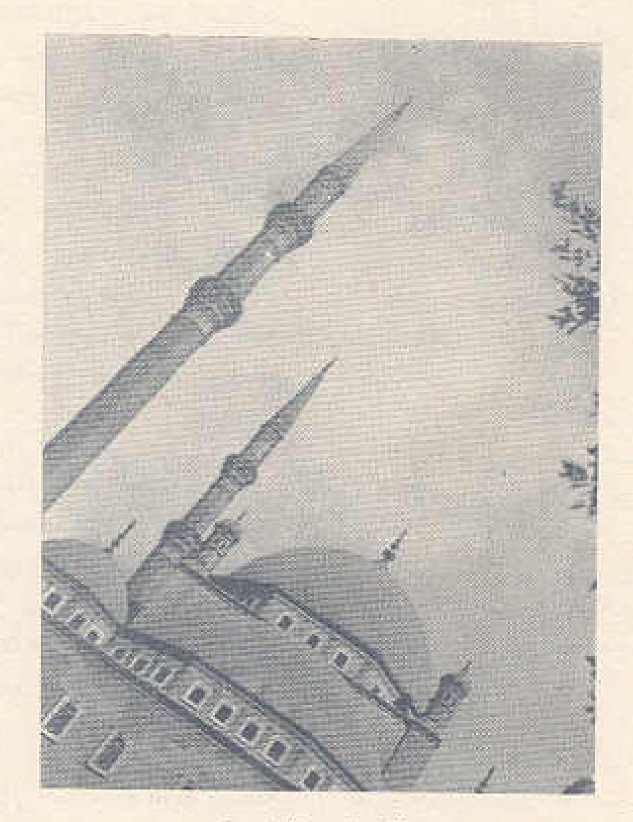
* *

ولما انبثق فجر النهضة الحديثة ، ونال القطران استقلالهما في وقت واحد ، بدا التجاوب بينهما يبرز في اشكاله المتنوعة من سياسية ، واقتصادية وثقافية.

ويزداد هذا التجاوب كلما مرت الايام وثوقا وامتدادا ، فتتلاقح الافكار والمبادىء بينهما تلاقحا سيجعل منهما ومن الجزائر — رغم الحوادث الدامية، والحرب الضروس — المغرب العربي الكبير الملتحم بافكاره، ومبادئه، وحاجياته، مما يعز أن تجد له نظائر الا في شعوب توفرت فيها اسباب كهذه الاسباب ، واخصها التجاوب التاريخي الذي لم ينقطع سلكه طوال قرون .

فوحدتنا في المغرب العربي الكبير ، وحدة عمل التاريخ لها مثل ما عملنا لها ، فبالتقاء العملين سيكون نسجها نسج داود .

ويوم تبرز في زينتها ستحقق ما كان يدور في الخيال ، وما تعاصى على الاجيال .



القلعة — القاهرة



شاهدت في تونس



اريد أن أقدم للقارىء المغربي صورا لفتت انتباهي ، واثارت اعجابي عن بعض مظاهر النهوض الاجتماعي والفكري، في مختلف الاقطار العربية الشقيقة، التي تيسرت لي زيارتها ، والوقوف على اساليب عملها في مضامير الرقي ، والتقدم ، والتشييد .

انها صور حافزة على الاعتبار ، نابضة بالروح التقدمي الذي نحتاجه لبناء نهضة مثالية راسخة .

ولكن شيئا واحدا آلمني ، وفكرت بصدده طويلا ، قبل الشروع في كتابة هذه السلسلة ، وهو اضطراري للابتداء من تونس ، تاركا الجزائر المناضلة ، التي لا تزال تصارع قوى الطغيان والعدوان .

ولكن هذا البعاد المفروض علينا مع اخوتنا في الجزائر ، لن يطول امده ، وان لنا لموعدا قريبا ، نلتقي فيه على صعيد واحد ، هو صعيد المغرب العربي الموحد ، ليبارك الواحد منا للآخر ، نضاله ، وتحرره ، وهناءه .

حطت بنا الطائرة في مطار العوينة بتونس ، وبعدها انطلقت السيارة بنا في الارض الخضراء ، ارض النسيم ، والعنف ، والرجال .

كانت عيني تمتلىء نورا ، وكان قلبي موزعا على كل وجه اسمر ، تشع منه الصرامة ، والكرامة ، وسر الجمال .

وفي الطريق الى عاصمة الخضراء قدمت لنا الحبيبة تونس ، هدية .. ساعتز بها ، ولن انسى ما حييت ذكراها ، كانت صورة بطولية نادرة ، كانت لوحة تجسم الارادة القومية الجبارة ، في التحرر من قيود الاستعمار ، ومن سلاسل الرجعية .

كان سدا منيعا : سدا من حجارة الارض الطيبة، وكن بضعة من فتيات تونس ، دعاهن الواجب القومي ليقفن بجانب شقيقهن الرجل ، يدافعن عن كيان الوطن ضد أعدائه ، فانتصبن واقفات ، يحمين السد الذي اقيم لاعاقة اية قوة للعدو ، تروم مس المقدسات القومية للشعب الابي .

ووقفت سيارتنا امام السد المنيع ، وتقدمت اليها ثلة من الفتيات المسلحات ، لتفتيشها ، وبعد عمل دقيق حازم ، صرح لنا بالمرور ، ودون ان انبس ببنت شفة، قرا كل من معي في السيارة ، آيات الاعجاب والحبور، على وجهي ، وانطلق اخ تونسي يحدثنا عن المراة في تونس ، عن مواقفها المشرقة ، ليس في ميدان الابرة، والتدبير المنزلي فقط ، بل وحتى في ساحة الدفاع جنب الرجل عن كرامة الوطن وحريته ، انها اجمل صورة ، بهرتني في تونس العزيزة .

وفي صباح الغد ، كنا نسير على مهل بمحاذاة الشاطىء ، ولم اكن اعرف الى اين يقصد صاحبي حتى كللت المسير ، والححت عليه ان يفصح عن الهدف الذي نقصده فقال :

— الى اطفال بورقيبة .

— اطفال بورقيبة .. ولكن مالي واطفال بورقيبة وامتنعت عن السير ، فاذا بالتوضيح يأتيني .

اطفال بورقيبة ، هو الاسم العام الذي اطلقوه على الاطفال المشردين في مجموع القطر التونسي ، الذين لاعائل يعولهم ، ولا مهتم يهتم بشؤونهم ، وقد خصصت لهم الحكومة التونسية قرى باكملها يتعاطون فيها مبادىء الدراسة ، والزراعة ، والرياضة البدنية ، ويشرف على هذه القرى اساتذة اخصائيون .. الخ.

وطال كلام صاحبي ، ونحن نجد في السير ، حتى بدت لنا من بعيد ، بنايات ضخمة ، تحفها اشجار الصفصاف الكثيفة ، وتحيط بها مزارع واسعة ... ودخلنا القرية على غير موعد ، فاستقبلنا بعض المكلفين فيها ، وشرحوا لنا كل التنظيمات التي تسيربمقتضاها تلك القرية ، واجتمعنا ببعض اطفالها ، فاذا هم غاية في الادب ، وفي النشاط وفي الامل .

اما بخصوص البرنامج الدراسي هناك ، فهو يستغرق الصباح كله ، ويشمل دروسا نظرية في الزراعة ، تطبق في المساء باشراف الاستاذ المختص ، وتعطى للاطفال اوقات راحة ، يباشرون فيها هواياتهم المفضلة ، من سباحة ، وكرة قدم .. الخ .

وكل من في القرية من اساتذة ، ومكلفين ، واطفال ، داخلي ؛ ولا اتصال له البتة بالمدينة ، ووزارة التعليم التونسية هي التي تقوم بتسديد كل الحاجيات باعتدال .. فقط .

وطفنا مع بعض الاساتذة ارجاء القرية ، فكانت عبارة عن عنابر للنوم ، وقد زينت جدرانها بتحف يصنعها الاطفال ، تربى فيهم الدقة ، والذوق ، والصبر وهناك مخزن للآلات الزراعية وآخر للملابس ومسبح ... الخ .

وفي ختام المطاف طوقنا اساتذة القرية بتلطف ملح ، في أن نتناول طعام الغذاء على مائدة (اطفال بورقيبة) وكان غذاء مغربيا صرفا هو «الكسكس» .

بقي ان اوضح شيئا مهما ، وهو ان بناية هذه القرية ، وكل القرى التي مثلها كانت من قبل معسكرات للجيش الفرنسي المحتل ، وبعد ان غادرها الى حيث لارجعة ، استغلت في هذا المشروع الهام .

وان أهم ما يسترعي الانتباه في تونس ، تلك الرغبة الصادقة في الشعب التونسي للارتفاع بمستواه الى الذرة اللائقة به ، كشعب مناضل ، متحرر ، كريم، وذلك في كل الميادين الحيوية ، واليك بعض الامثلة :

اعلنت وزارة الفلاحة عن استعدادها لمنح قروض كبيرة لفئات الفلاحين بشروط سهلة ، ومن جملة هذه القروض ، قسم للافران ، وقسم للآبار ، وقسم لاصلاح الاراضي البور .. الخ . والشرط الاساسي في قرض اصحاب الافران ، ان يسخروا قروضهم في تغيير وضعية الفرن ، بحيث يصبح عصريا ، ونظيفا ، ولائقا، يشتغل بالكهرباء ، وليس بالحطب ، وذلك للحفاظ على غابات الوطن التي تحفظ له الجمال والبهاء ، واستطاعت الحكومة بهذا ان تصدر قرارا ، بمنع قطع اشجار الغابات ، واستعمالها في اي غرض كان .

وكل من اظهر رغبة في حفر بئر ، فالحكومة لا تتأخر في قرضه المبلغ الكافي لحفره .

كما ان كل من يريد العمل لاصلاح ارض بور ، فان الحكومة ، مفروض فيها ان تقدم له الارض والتسهيلات المغرية لكي يجد في العمل ..

طالبت بعض القرى النائية الصغيرة — وزارة التعليم بفتح مدارس فيها — وبما ان اطفال القرية ، من هذه القرى قلائل ، فقد بنت لهم الوزارة كراسي في الهواء الطلق تحت ظل الاشجار ، وكان عملا ناجحا وظريفا .

كان المقام في تونس طيبا جدا ، وكانت احاديث اخواننا هناك ، تبعث في النفس النشوة ، بالروح الوثابة ، الحية ، الانقلابية .

وان المشروعات التي تتبناها الحكومة هناك ليست الا تعبيرا عن جانب صغير من الارادة القوية التي تختلج في صدور شباب تونس ، وما شباب تونس ، الا شعب تونس ، الكريم ، الصادق ، النبيل .

من شعر الكفاح :

بالحق صاولت

للأديب العلامة
محمد المختار السوسي

انشدت هذه القصيدة التي تنشر اليوم لاول مرة في يوم 19 نونبر سنة 1954 في معتقل **(اغبالوف ، كردوس)** بالصحراء ، وقد كان هذا المعتقل يضم جماعة من خيرة رجالات الوطنية الذين زج بهم الاستعمار الفرنسي في السجون والمعتقلات في سنة 1952 بعد ان حل الاحزاب وعطل الصحف وقام بحملة ارهاب واسعة النطاق ، وكان ذلك تمهيدا للمؤامرة الكبرى التي قام بها الاستعمار الفرنسي لنفي العاهل الكريم جلالة الملك سيدي محمد الخامس نصره الله .

والقصيدة تسجيل لحادثة وقعت بالمعتقل كان بطلها الاستاذ محمد الفاسي « عميد الجامعة المغربية حاليا » وذلك ان (الكومندان الفرنسي) حاكم كلميمة زار المعتقل ، ومر بالاستاذ ادريس المحمدي الذي كان مشغولا بالنظر في كتاب ، فلم يلتفت الى (الكومندان) ولم يهتم بتحيته . اغتاظ (الكومندان) لذلك ، وجمع المعتقلين ليلقنهم « درسا » في الطاعة والاحترام ، فانبرى له الاستاذ محمد الفاسي ، ودار بين الاثنين جدال عنيف ، وفي هذه الاثناء تنبه (الكومندان) الى صورة لجلالة الملك سيدي محمد الخامس على صدر الاستاذ الفاسي ، فامره بانتزاعها – وكان جلالته قد ابعد الى المنفى فعلا ، وقد نصب الفرنسيون على العرش صنيعتهم ابن عرفة – لكن الاستاذ امتنع من ذلك في اباء وشمم ، وكانت النهاية انهزام (الكومندان) وانسحابه مشيعا بالخزي والعار .

والقصيدة التي ننشرها اليوم مأخوذة من الجزء الاول من كتاب (معتقل الصحراء) والكتاب – وهو يقع في جزاين – عبارة عن مذكرات سجل فيها الاستاذ الشاعر محمد المختار السوسي احداث المعتقل ، وتحدث عن شخصيات المعتقلين ، كما ضمنه القصائد التي قالها في المعتقل في مختلف المناسبات ، وهو – ككل مؤلفات الاستاذ الشاعر – لم يطبع بعد .

بالحق صاولت لا بالبيض والاسل ... لله درك يا فاسي من بطل
ادريس انهل بدءا بالاباء وقد ... ثنيت انت بما صاولت بالعلل (1)
جاء الكمندار مختالا كعادته ... يظن ان ليس في (كردوس) من رجل
فجئتما انتما بالحق يخذله ... ومن تخطى سبيل الحق يتخذل
معودا امتثالا في اوامره ... فمن يشر نحوه بالامر يمتثل
يرى الجميع بعين ليس يفتحها ... فيما تراءى له ، الا على همل

1) النهل محركا : الشرب الاول ، والعلل كذلك : الشرب الثاني

يسطو على كل اهلي يراه كما / يسطو خلال الغضا ذئب على حمل(2)
لذاته في تحايا من له حشروا / وان يباغت يحيوه على عجل
فكلما مر فالايدي تبادر ان / تعلو ، ويا ويل من عن ذاك في شغل
اليس يعجب في (كردوس) حين يرى / (ادريس) عنه تولى غير مهتبل ؟
فهل يمر الكمندار الرئيس ، وما / ابدى التفاتا ولم يقم ولم يبل ؟
عيناه في دفتر ، والرجل منه على / اخرى ، سكون جماد غير منفعل
كانه ما احس الناس في وهل / فهو يطالع بالاكباب في مهل
اليس يغلي الكمندار الرئيس على / من يلتقيه وما حيا ولم يهل ؟
مجيئه باغت الاعوان فانجفلوا / وما لادريس منه غير منجفل ؟
فهل تهز بني (كردوس) بغتته / وطرف ادريس لم يطرف ولم يمل ؟
انى يطيق الكمندار الاهانة من / اسرى يعدهم من جملة السفل ؟
كانهم لم يكونوا شاعرين بأن / قد جاء من ينجز الا يعاد ان يقل
فهل يكون رئيسا ثم يحقره / من ليس يرضاهم من جملة الخول ؟
الا تفور براكين الرئيس على / اعوانه وسط هذا الحادث الجلل ؟
(هيا اجمعوهم امامي) صرخة حفزت / الى الكمندار توا كل معتقل
فاستوقفوا حوله في نصف دائرة / كما استدار هلال الشك في الطفل(3)
يريد من جمعهم ان يصبحوا ذللا / والله يعلم من يغدو من الذلل
من يستمت لا تضره ذلة عرضت / **(فهو الغريق فهل يخشى من البلل)**

*

ها هم اولاء اباة الضيم هل وقعت / عيناه فيهم على هيابة وكل ؟
هل قابلوه بغير الشمم ، او نظرت / اليه منهم سوى محمرة المقل ؟
فهل رأى من بني (كردوس) اجمعهم / الا اباء رءاه مضرب المثل ؟
فهمة الوطني الحر تعزف ان / تنماع بالعقل ، او تنصاع بالجدل(4)
اين التحيات بل اين الذي الفت / عينا الكمندار يعلو كل مقتبل ؟
وانما هي انظار محملقة / اليه حملقة الابواز للحجل
تصطف قدامه في اليوم طائفة / ما مثلها شام من ايامه الاول
تقدمت ، فأجال الطرف ثم بدا / منه التأخر خطوات على عجل
يخطو وراء ، وايديه تشير : **قفوا** / **مني هناك** . اهذا منه عن وجل ؟
ماذا عراه سوى ان شامهم شمما / فمه منهم ضرب من الخبل

---

2) الغضا : من اشجار الغابات .
3) الطفل : ما بعد العصر قرب غروب الشمس .
4) انماع الملح ونحوه : ذاب وانصاع لكذا : انقاد . والعقل جمع عقال ، وهو رباط البعير ، ويقرأ هنا باسكان القاف ، والجدل بضمتين : جمع جديل وهو ما يقاد به .

قد كان يحسبهم ظربي ذوي خور ... اذا به يبصر الآساد في الدغل (5)

فخامرت حمرة عجلي ملامحه ... من فورة الدم ، لا من حمرة الخجل

وقد تخاذلت الاطراف منه كما ... يبدو جليا . فيا للناس للرجل

فظل يرغو رغاء الفحل ان هدرت ... يوما شقا شقه في شول الابل (6)

ثم اندلقت سريعا كي تصاوله ... يافاسي الشهم عن اصحابك الصؤل(7)

هل انت الاقئول الحق من قول ... لكل حق ، على رغم العدا ، فعل

دعا : **نزال** ، لسان الحال منه فهل ... الفاك بين يديه خير مقتتل ؟

قد كان شر مثال المبطلين ، اما ... بين المحقين لا في خيرة المثل

وقفت منه وقوف الند تنظره ... وجها لوجه بطرف في السماء على

يرمي ، وترمي ، ومن تضعف نكايته ... في خصمه في الوغى يغلب فينجدل

قولا بقول وبرهانا ببرهنة ... فقيل الراي منه مقول الجدل

حتى الاشارات من كفيك مصمية ... اهداف كل الذي قد حاك من خطل

وفي الاشارات اسرار تدل على ... ما لا تدل عليه اللسن ان تقل

كذاك امطرته الاحجار هابطة ... عليه ، يا ايها الاستاذ ، من جبل

*

ما انس لا انس عمري صورة رسمت ... لصاحب العرش حازت غالب الجدل

لاحت على صدرة الاستاذ مشرقة ... اشراق بدر من الخضراء مكتمل

هي العزاء لنا فيما نكابده ... يستلهم الصبر منها كل معتقل

درى الكومندار مغزاها فاضرمه ... غيظا على اننا بالسجن لم نحل

فصاح صيحة مبهوط وقال : **ازل** ... **ما فوق صدرك حتى لا أرى ، ازل(8)**

فقلت حاشا معاذ الله انزعها ... فهاك انت اذا ما اسطعت فلتزل

وملت تعلى اليه الصدر معتدلا ... محدقا غير هياب ولا وجل

فهاله ما راى ، فما استطاع لها ... مسا ، فهل يا تراه مس بالشلل ؟

قد ود ان لو ازيلت غير ان يدا ... تطيق ذلك لم تخلق من الازل

تحديات توالت ثمت انكشفت ... عن صورة الملك المحبوب لم تزل

*

كانت محاورة هوجاء فورتها ... اجت بمشتعل في اثر مشتعل

مقالة تتراءاها مصدقة ... اذا بتكذيبة ممدودة الطيل (9)

---

5) الدغل : الشجر الكثير الملتف .
6) الشول كالركع جمع شائل وهي الناقة ترفع ذنبها تعرضا للفحل
7) الصؤل بضمتين جمع صئول كالقئول والفعل في البيت بعده جمع قئول وفعول .
8) المبهوط : من كلف ما لا يطيقه ، والمغلوب .
9) الطيل بكسر ففتح : الحبل

اخـــذا وردا وآراء مبهـرجـــة ... ومن يكن رايه وفق الهوى يفل (10)

كل يقول ولكن الحقيقة هـــل ... يخفى ضحاها؟ فليس الكحل كالكحل

*

لم ادر ما ارتطنوا وان اكن معهـــم ... وجاهل النطق يضحى شبه منعزل

لكن امارات ما قد قيل بينـــة ... وكل ما تستشف العين منه جلى

فكل احساساتي طابت لذاذتهـــا ... بما استشفت كما تمتص من عـــل

فكلما اومئوا وسط الحوار ســرت ... سراء تنقع ما بالقلب من غلــل

فهل يغادر ان تلت المنى قبـــلا ... ممن يعاديك من حزن ومن علــل

*

فيا لها ساعة تمت امانينــا ... فيها فمستنا بها فى غاية الجذل (11)

هذا الكومندار ولى بعد ان خـرت ... يداه يسحب اذيالا من الفشــل

ولى وقد غمر الاخفاق سحنتــه ... من بعد ان غمرته موجة الامــل

انى يشايعه ذاك الغرور وقــد ... شيع بالخسف خسف الخزي فى القفل 12

*

كذاك شاهد (كردوس) محـــاورة ... ما ان لها شبه فى اي معتقــل

ادريس اوقد ، والفاسي سجر مـن ... اتونها باقتحام المقدم البســل

كلاهما بطل مر النضال وهــل ... يحمى الحقيقة غير البهمة البطل (13)

من لا يفرق ما بين الرجال فهــل ... اضحى يفرق بين الصفو والزغل (14)

---

10) فال الراي : اخطا

11) الجذل : الفرح

12) القفل : الرجوع

13) البهمة بالفتح : الشجاع

14) الزغل : الغش

ذكرى يجددها التاريخ ...

للاستاذ: عبد الرحمان الدكالي

بمناسبة عودة جلالة الملك سيدي محمد الخامس نصره الله ، من الرحلة التي قام بها جلالته الى كورسيكا ومدغشقر ... تجديدا للذكرى ووفاء بالوعد الذي قطعه جلالته على نفسه لاصدقائه الذين تعرف بهم فى منفاه ايام المحنة الوطنية .

هاذا الوفاء وفاء الدين والحسب
هاذى المروءة فى الاسلام والعرب

عهد رعاه امير المومنين لمن
كانوا له اخوة فى النفي والكرب

وكان يجمعهم فى الله مسجده
ان ام جمعهم فهو ابن خير نبي

سل العيون عيون القوم دامعة
اذ كان يخرج بالحراس والرقب

وسلهم عنه فى المحراب متجها
يدعو لامته بالنصر والغلب

يتلو الكتاب وهم من حوله اذن
لله موعظة من اعظم الكتب

قد كان معجزة الايام بينهم
وصار بالنفي فوق الجاه والرتب

بل كان نادرة الدهر الذي عصفت
رياحه بصروح الدين والادب

الله اكبر نور الحق يصدع من
يبغي الضلال ومن فى مهمه الريب

قد نال ما نال من عز ومن شرف
بالله بالدين بالاخلاق بالنسب

وآثر النفي والابعاد مبتسما
للحادثات وللاهوال والنوب

منذ اعتلى العرش لم ينعم براحته
بل كل راحته فى الكد والتعب

آلى على نفسه تحرير أمته
فلم يهن لصروف الدهر والعطب

ما زال ينهضها فى كل ناحية
سيان من صعد فيها ومن صبب

كم شاد للعلم من بنيان معرفة
اعلى من الزهر فى الآفاق والشهب

ان استنارت عقول النشء فهو لها
شمس الضحى قد بدت فى حالك السحب

لو لم يكن عزمه يفرى الحديد لما
لاذ العدو من الاوطان بالهرب

له مواقف لم يظفر بها ملك
من الملوك الالى فى العجم والعرب

ابن المليك الذي ضحى بأسرته
بالعرش بالجاه بالالقاب بالنشب

لينقذ الشعب من اسر ويبدله
« بحسن عاقبة من سوء منقلب »

مولاي ذكرك باق في الورى ابدا   وآية الدهر تبقى ءاية الحقب
انا لنذكر – والذكرى لنا عظة –   لما نفيت بآل البيت والنجب
وهز نفيك شعبا كان مضطهدا   وثار ثورته للحادث الحزب
واظهر المغرب المغتاض غضبته   ونال كل شهيد منتهى الارب
لقد فديت بلادا كلها فعلى   ابنائها ان يفدوا بالدم السرب

يا ويلتاه لمن باعت سياستهم   بالخزي والعار والافلاس والكذب
الشعب بعدك لا يرضى مهازلهم   والشعب من مكرهم في شدة الغضب
يد الفدائي من ايمان مهجته   ليست من اللحم لا ولا من العصب
اعزز بها من يد في الحق ما وهنت   ترمي العدو عدو الله باللهب
يد الطهارة لن تحتاج جائزة   ولن تدنس بالاموال والسلب
« وكل سعى سيجزي الله ساعيه »   في مطلع الشمس او في فحمة القرب
لا ريب ان جهود المخلصين وما   قد قدموه لهذا الشعب لم تخب
لاكن مغربنا ، والله ، منتظر   منا الزيادة في الاعمال لا الخطب
ما زال في حالة تدعو لرحمته   داء الجهالة داء الجوع والسغب
صحراؤه وبلاد منه قد قسمت   ما بين منتقم منه ومستلب
ان الشقيقة في آلام محنتها   تحت السلاح وما قد سيق من عصب
تقاوم القوة العمياء صابرة   ولا تعيش سوى بالبقل والعشب
هي الجزائر ارض الاسد غاضبة   قد خضبت بدم كالمسك منسكب
كم من شهيد بها له اب واخ   وامه في لباس الثكل والرعب
كم من يتيم بها يبكي فراق اب   اماه اين ابي اماه اين ابي

ما دام مغربنا يشكو مصائبه   لم يستقر ولم ينعم ولم يطب
فلنتحد – اننا ابناؤه – وغدا   تاتي لمغربنا باعجب العجب
قد قال شوقي امير الشعر من زمن   مقالة الصدق في الاشعار لا الكذب
« فما المصائب اذ يرمى الرجال بها   بقاتلات اذا الاخلاق لم تصب »

يا منقذ الشعب هذا الشعب مبتهج   جذلان في يومه من نشوة الطرب
دعى لك الله ان يرعاك في سفر   وان تعود له يا منتهى الارب
الحمد لله كانت ملء كل فم   عند اللقاء لقاء العز عن كثب
ذكرى يخلدها التاريخ معجزة   لخير منتخب في الناس منتدب
اني اسجلها فخرا والحقها   بما لدى من الاشعار والادب
والشعر في نظري ان لم يكن عظة   او صرخة في اللقاء في جحفل لجب
او دعوة للهدى او نصح مجتمع   فاعدده من هفوات القول واللعب

مولاي انت الذي اوليتني شرفا   حين استمعت لشعري فيك او خطبي
اذا التفت لهذا الشعر اسأله   اجاب اقصى الاماني اشرف العتب
يا اسرة الملك شعري فيكم ابدا   وفي مآثركم والله لم يغب

في مهرجان الشعر :

لقد ثرت من أجل حريتي

بقلم
صالح جودت

من غرر القصائد التي صفق لها الجمهور بندوة الشعر بالكويت ... اثناء انعقاد مؤتمر الادباء العرب ، قصيدة الشاعر صالح جودت التائية التي نقتطف منها الابيات التالية :

أيا شمعة عند كوخي الحقير	وراء المجاهل في قريتي
أذوب من النار ، نار الشقاء	كما ذبت بالليل يا شمعتي
وعشرون مليون نفس كنفسي	يذوبون مثلي من الحسرة
همو اهل بيتي همو والدي	همو ولدي ، همو اخوتي
جلابيبنا كاحتباس الدماء	يلونها العدم بالزرقة
واقواتنا من عروق « السريس »	ومشربنا من فم الترعة ..
ولقمتنا لقمة الاشقياء	وقد لا نمتع ... باللقمة
وفينا الذي ينبش الفضلات	يفتش في الليل عن كسرة !
أيسألني احد كيف ثرت ؟	لقد ثرت من اجل حريتي !

وبعد ان حيا الشاعر شهداء بور سعيد قال :

سأكتب شعري على قبرهم	واغمس في دمهم ريشتي
سأرسو به عند شط الجميل	ارد الجميل الى اخوتي
سأرقص فوق قبور الغزاة	واجعل من دمهم خمرتي
أيسألني احد كيف ثرت ؟	لقد ثرت من اجل حريتي !

هلال رمضان في قرانا

بقلم: احمد البسقاني

تباشير شهر الصيام السعيد   على قريتي لاح عنوانها ..
فهذا (الخليع) وهذا (الثريد) ..   تقدم للناس الوانها ..

وفى قريتي حيث يبدو الهلال   الى الغرب فوق قرون الجبال
وتعشو السمانى قبيل الغروب   لاوكارها وتطول الظلال

وحيث مزارعنا فى السهول   تموج بسنبلها الذهبي ..
نخاف عليها جيوش الجراد   ونار الصواعق والشهب !

وحيث تذوب ثلوج الجبال   وتجرف بعض قرانا السيول ..
تهاجر نحو الجنوب الذئاب   وتتبع آثارهن الوعول

وقد غابت الشمس خلف التلال   مخضبة بدماء الشفق !
وجللت الافق حمر الغيو   م .. سابحة فى قتام الغسق

وقفنا على عتبات البيوت ..   تقلب اعيننا فى السماء
وقد خدرتنا طيوف الاصيل   وران على الكون حزن المساء

وعاد من السوق « سواقنا »   يجر بهيمته المتعبة ..
وحف به صبية يمرحون   فاعطى لكل صبي هبة ..

ووزع بينهمو قطعا   ملونة من حلاوى المدينة
وراحوا يمصونها معجبين   بما فوقها من رسوم وزينة

وعاد الرعاة بابقارهم   يسوقونها من مراعي السهول
ولا صوت الا النداء البعيد   ورجع الصدا وخوار العجول

وترنيم ناي يثير الشجون — ويندي العيون ويدمي القلوب
تردده الطير عبر الفضاء — وتصغي الفجاج له والدروب

وعاد النساء من الحقل ملأى — الجرار ، « يعيعن » بين الحقول
وعادت باحطابها الحاطبات — وعاد الشيوخ وعاد الكهول

وقام الفقيه على ربوة — بمفرده .. شاخصا للافق
وقد عكست عين منظاره — سواد الربى واحمرار الشفق

وفى دوحة التين ذات القرون — تعلق بعض الصغار الخفاف
لعلهم يبصرون الهلال — ويسبق اوليهم للهتاف ..

ولاح الهلال لعين غلام — فصاح .. وخف اليه الرجال
فظل يشير لهم نحوه .. — بكف اليمين وكم الشمال

فلما راوه دعوا لالـه — ومدوا اكفهموا للسماء ..
واطلقت النسوة الزغردات — مجلجلة فى رحاب الفضاء !

وشق النفير هدوء المساء — بصيحاته المرعبات الطوال
تردد اصداءها الفلوات — فتمضي تجاوب بين الجبال

واضرمت النار فوق اليفاع — ليعلم جيراننا بالخبر ...
وفى الليل باتت قرون الجبال — بنيرانها تسترق البصر !

وباتت تنانيرنا حاميات — وافراننا باللظى مفعمة
ترص الفطائر فى جوفها — فتقضي مدى ليلها متخمة !

ولما تدفق موج الدجى — واغرق آفاقنا النائية
وجاش الظلام خلال الديار — ولف النواعير والساقية ،

واظلمت الارض الا بصيص — بعيد المدى لاح ثم استتر ،
وكنا به نستشف الدياجي — ومن ومضه نستمد البصر ،

انار لاعيننا الفرقدان | وآنسنا القطب والشعريان
وساد السكون فلا انة | ولا خفقة من فؤاد الزمان

ولا صوت الا رنين رحى | مؤرقة تحت جنح الظلام
تدير دواليبها طفلة | بأغنية من اغاني الغرام

وبتنا مع الليل فى مهرجان | نغني ونرقص حتى السحر
ولذ لنا فيه لغو الحديث | وطاب لنا فيه لهو السمر

وجئنا لجامعنا بالرياحين | والعطر منها يضوع ..
وطفنا بأضرحة الاولياء | نضيء مقابرها بالشموع

وصلى الجماعة فرض العشاء | وكان التراويح مسك الختام
فلما انتهوا قعدوا للطعام | وللذكر ، والشاي ، والبعض نام

وباتوا يديرون كاس الحديث | ويذكر الشيخ منهم شبابه
ولذت لهم مترعات الكؤوس | وطاب لهم نقض « جوزات طابة »

وحان من الليل وقت السحور | فدقت طبول القرى من جديد
وجاء بها الريح من كل فج | عميق ومن كل غور بعيد ..

وفى قريتي طاف « طبالنا » | يهز « التواويل » بالنائمين ..
ومن خلفه كان جيش عظيم | عرمرم من صبية فرحين ..

هلالك يا رمضان العيد | يبشرنا بثلاثين عيد ..
فعد كل عام بوجه جديد | وعيش رغيد وعمر مديد ..

كذلك اعيادنا فى الجبال | الهية ليس فيها رياء
نحس حلاوتها فى القلوب | ونبصر اسرارها فى السماء !



كنت اما ... وكنت انت ذلك الولد الكافر ...
لم ترفع في يوم من الايام ساعديك للدفاع عن كياني
فاذا زمجرت الرياح العاتية ، ولفح البرد القارس
اعرضت – انت الابن – عن سماع أنيني ...
لكني استجيب لك وانت في غمار البؤس المتوالي
وانت في فاقتك التي ما فتئت تحتضنك في اصرار

❊ ❊ ❊

تتفتح شفتاي لتعرض عليك ، ومن غير ان يسمع لها همس :
« خذ ما هو تحت تصرفي ! »
انا الام ... ارثيك يا ولدي
ساعدني ... دافع عني ... لا تنكر امك
ساعدني ... دافع عني ... احرق جوانبي جميعها
قلب حقولي ... وسهولي ...
غدا ستنبت البذور ...
لقد هيات لك المصير ...
ومهدت لك الحياة ...
دافع عني اذن ، فاني منك استمد حياتي !
بك أنت تغرق الباخرة او تصل الى شاطىء النجاة
لا تتركني ...
كم من ظلمات تقترب منك خطاها ...
وكم من متاعب ستلحق الذين يأتون من بعدك ...
وكم من لعنة يستنزلها عليك ابناؤك القادمون
ولكني انا خالدة لن أموت ...
ساعيش وساتحمل الآلام من جديد ...
انت تستطيع ان تخون نفسك ! ولكن كيف بأبنائك الصغار
اتضع السلاح وعيونك ما تزال تبصر ؟
ما هي الموت ؟
انك اذا قضيت ستجد بين احضانك الدفء الذي تنشد
ستجد أمك ... وارضك
ما اطيبه من عناق ...
ولكن للذين يبذلون من اجلي ...

قصة تائب

بقلم:
عبد السلام الهراس

قطرت على حب السماء ونورها ... ولكن قومي دنسوا فطرة النفس

لقد صفت كاسي من ضياء محبتي ... ولكن قومي لوثوا شربة الكاس

ويا ليتهم ابقوا كؤوسي سليمة ... لقد حطموها بالكلام وبالفاس

اشاعوا حياة كالظلام وارغموا ... طهارة نفسي ان تعب من الرجس

وجاءوا الى روحي بكاس اثيمة ... وقالوا لها هذا الدواء من النحس

تجرعتها سما يعيث باضلعي ... ويضفي على قلبي رداء من البؤس

سقوني شراب الحقد والذل والخنا ... فعشت كأني والضياء على عكس

فكم صنم مجدت اتفه فعله ... ومرغت وجهي فى ثرى نعله القدسي

ولم يك لي راي سوى راي سيدي ... ولم يك لي فعل سوى ما يرى «قسي»

ولست سوى غرس وقومي تربة ... واصلهم اصلي وجنسهم جنسي

فها انذا نضو اعيش كاتم ... أفكر فى أمري وابكي على امسي

سئمت حياة لا يذوب بها رجي ... وتصفو بها نفسي ويخبو بها ياسي

تمنيت ان اغدو ملاكا وان يكن ... من الترب جسمي أو اساق الى الرمس

دعوت الهي ان يعيد الى الهدى ... فؤادي الذي ضل الطريق الى انسي



القضية الجزائرية في شهر

الوضع السياسي :

كان الشهر الماضي مرحلة هامة من مراحل تطور القضية الجزائرية في مختلف الميادين ، فقد سجل خلاله الكفاح الجزائري خطوات سياسية وانتصارات عسكرية بعيدة المدى ، كما سجل ـ في نفس الوقت ـ آثار تراجع خطير في صفوف القوات السياسية والعسكرية للخصم سواء في الميدان الدولي او في الميدان الداخلي .

وليس هناك من مجال للاستغراب من هذه الظاهرة ، فالهزائم التي يمنى بها الاستعمار الفرنسي في الجزائر ليست الا حلقة من سلسلة الهزائم التي تصيب الاوضاع التوسعية في عدن والبحرين وعمان والكونغو وكينيا وروديسيا ونياسلاند وغير ذلك من ارجاء العالم العربي والافريقي .

ان الزحف العربي الافريقي المقدس ، الذي سيفضي الى القضاء على مظاهر السيطرة والاغتصاب في آسيا وافريقيا ، ليس الا نتيجة حتمية لتطور الوعي الانساني العام ، هذا الذي لا يمكن ايقافه وليس من المنطقي محاولة ذلك .

لكن هذا اللون من المنطق لا يبدو انه يتسرب الى اذهان كثير من المسؤولين عن الاوضاع التوسعية في العالم ، ويلوح ان الفرنسيين اكثر تمثيلا لهذه الظاهرة الغريبة ، فالمنطق التوسعي الفرنسي اكثر الوان المنطق التواءا واشدها استعصاء على الفهم .

لقد قال غلاة السيطرة في الجزائر ان استمرار الثورة الجزائرية ونموها الخارق ، هو نتيجة تخاذل المسؤولين في باريس ووهن ارادتهم ، ومن ثم كان انقلاب 13 مايو 1958 والاطاحة بالهيكل المتداعي للجمهورية الرابعة ، وانتصبت الجمهورية الخامسة وهيمن « الغلاة » على الحكومة والبرلمان وغيرهما وكان ذلك كافيا عند « ديبلبيك » وغيره لانهاء الثورة الجزائرية واخماد لهيبها ، ولكن الثورة لم تزدد الا عنفا وشدة ، ومضت جبارة قوية كأعنف ما تكون الثورات واقواها ، وحينذاك فقط بدأت الآمال تخيب ، وازدادت النفقات الحربية ، وارتفع بالتالي منسوب الضرائب ، واتخذ مستوى العيش طريقه الى المزيد من الانخفاض ، وبدأ الناخبون الفرنسيون يحسون بخطورة الوضع الذي ساهموا في اقامته ، وعلى هذا فقد بدأت ترتسم في الافق ملامح الانتقاض على هذا الوضع والتنكر له ، بعد ان كان امل الاستقرار والقوة والعظمة منذ شهور فقط .

وتجتاح فرنسا الآن ازمة نفسية حادة هي اخطر ما يواجه الشعوب في اكثر فترات حياتها حرجا ودقة ، وكانت الدورة الاولى للانتخابات البلدية الفرنسية (8 مارس) مناسبة للتعبير عن وجود هذه الازمة المعقدة التي هي في نفس الوقت ازمة « اتجاه » و « نظام » .

لقد اسفرت الانتخابات عن تقدم محسوس في صفوف القوات اليسارية بما فيها الحزب الشيوعي الفرنسي ، بينما أفضت ـ من جهة اخرى ـ الى صورة معاكسة بالنسبة لبعض المنظمات اليمينية المغالية .

ولقد كان لذلك شديد الوقع في المحافل اليمينية الفرنسية ، وخاصة في اوساط « الغلاة » في فرنسا والجزائر على السواء .

والواقع ان نتائج هذه الانتخابات لا تعنينا كثيرا من حيث اللون الذي قد تضفيه على الوضع السياسي الداخلي في فرنسا ، وانما الذي يعنينا كثيرا هو ما توحيه من شواهد الانحلال الذي اخذ يتسرب الى هيكل النظام السياسي المنبثق في فرنسا عن انقلاب 13 مايو .

ويضاعف من حدة « ازمة النظام » في فرنسا ، ازدياد خطورة الوضع في الجزائر وخاصة من الناحية العسكرية ، وقد اعربت صحيفة « ريفارول » عن جانب من هذه الازمة النفسية التي تجثم على الكثيرين في باريس ، وذلك حينما تساءلت عن « الجنرال دوكول ، وهل يجديه في ايجاد حل للمشكلة ان يطهر الجزائر من عناصر الشقاق التي احاطته بعطفها منذ تسعة اشهر فقط . تقول الصحيفة : ان الامر على اكبر جانب من الخطورة ، واننا لم نفتأ نردد منذ اسابيع ، أن الحالة في الجزائر لم تكن في اي وقت على ما توجد عليه اليوم من التعفن والتدهور ، ولم تكن المعارك على هذه النسبة من الشراسة والضراوة ، ولم تكن البلبلة اكثر تخييما على القطر بالقدر الذي توجد عليه الآن ... »

وهذا التشاؤم لا ينحصر فى الاوساط الفرنسية ، بل يعدوها الى كثير من المحافل الدولية فى اوربـــا وامريكا وغيرهما .

وقد عكست جريدة « نيويورك هيرالد تريبون » بعض هذه المخاوف ، وذلك حينما اكدت فى اوائـــل الشهر الماضي على العلاقة المتينة الموجودة بين الانتخابات الفرنسية وبين قضية الجزائر . . . تلك القضية التي لم يفت الصحيفة الامريكية الواسعة الانتشار ، ان تبرز اخفاق الجنرال دوكول فى حلها . ومرد هذا الاخفاق ـ بالطبع ـ نوع التفكير الذي يسود عقلية الجنرال فى حل المشكلة ، وتتجلى بعض جوانب هذه العقلية فى عروض (السلام المشرف) واستدعاء اعضاء الحكومة الجزائرية الى باريز « لتسليم العلم الابيض » ثم اخيرا نقل الزعيم ابن بلة ورفاقه الى احدى القلاع الحصينة بجزيرة « ايكس » .

وقد تم نقل الزعماء الجزائريين « المختطفين » الى مقرهم الجديد فى يوم السبت 7 مارس الماضي ، وذلك بعد ان امضوا فى سجن الصحة زهاء ثمانيـــة وعشرين شهرا .

ولم يكن لهذا التعديل البسيـط فى وضعيـــة « ضيوف ملك المغرب » الا ان يستقبل ببعض الفتور فى الاوساط الوطنية الجزائرية ، كما لاحظت ذلـك جريدة « لوموند » الا انه ـ مع ذلك ـ كان اساسا لنقل القادة الوطنيين من وضعية المعتقلين العاديين ، الى النظام المخصص عادة لقادة الحرب .. كما لاحظت ذلك نفس الصحيفة .

وقد اثارت هذه البادرة البسيطة ضجة صاخبة فى اوساط « الغلاة » بالجزائر ولكنها ـ ككل المشاغبات التي يصطنعونها بين الفينة والاخرى ـ ليســت الا مظاهر مفتعلة تندرج ضمـــن اساليـــب الحـــرب السيكولوجية التي تمرسوا عليها كثيرا ، فليس هناك ـ فى الواقع ـ من تباين جوهري فى وجهة النظر بين الجنرال دوكول والاوساط الاحتكارية التوسعية بفرنسا والجزائر ، بل انه يبدو ان الرئيس قد اخذ يجنح الى اعتناق مبدأ الادماج الذي تتبناه هذه الاوساط ، وذلك بعد ما كان يلوح عليه من فتور نحو الفكرة ، وهكذا لم يعد لديه مجال للتحدث عن « الشخصية الجزائرية » التي كان يعنى بابراز ادراكه لها فى كثير من احاديثه السابقة .

وعلى هذا النحو تتضاعف عناصر الغمــوض السياسي فى باريس بعد ان اضحى المجلس الوطني الفرنسي مرتعا لنفوذ المتطرفين اليمينيين من صنف « اتحاد الجمهورية الجديدة » ومن يحالفه من اساطين الرجعية التوسعية الفرنسية .

وقد تحدث الكاتب التقدمي الكبير «كلود بوردي» عن هذا الوضع القائم ، وذلك فى مقال له بصحيفـــة (فرانس اوبسيرفاتور) اشار فيه الى انه من الضروري ان يتذكر الجميع (ان الظهير الاساسي للجنـــرال دوكول هو الجيش ، وان الجنرال لا يستطيع الاستقلال عن الاطارات العسكرية التي تسير هذا الجيش ، ولهذا فان السياسة الفرنسية الحقيقية ستبقى طويـــلا موضوع مساومات دقيقة بين رئيس الدولة وبيـــن العسكريين . ويعني هذا انهاستحتفظ بصبغتهاالحالية وبالتالي فان المصاعب المختلفة التي تثيرها هـــذه السياسة ستزداد خطورة وتعقدا . . .)

*

وبينما تتعقد الاحوال السياسية فى فرنســا وتتلبد سماء النظام العالي فيها بهذه الغيوم القاتمة ، تتبلور الشخصية الدولية للحكومة الجزائرية وتتضاعف امكانياتها السياسية والديبلوماسية على الصعيــد الدولي ، وقد اجرت الحكومة فى غضون الشهر الماضي كثيرا من الاتصالات السياسية الهامة ، وكان من ابرزها زيارة الرئيس فرحات عباس برفقة ثلة من الـــوزراء الجزائريين للمملكة العربية السعودية .

هذا وقد ترددت بعض الاصداء ـ فى اوائـــل الشهر المنصرم ـ حول امكان قيام الرئيس الجزائري برحلة لاقطار منطقة جنوب شرقي آسيا .

ويبدو ان سلسلة الاجتماعات التي كان علـــى الحكومة ان تعقدها خلال الاسابيع الاخيرة ، كانت من بين الاسباب التي حالت دون تحقيق هذا المشروع فى الوقت الحاضر ، ولعل الاسابيع القادمة ستمكـــن الحكومة الجزائرية ـ ممثلة فى الرئيس فرحات ـ من اجراء مثل هذه الاتصالات الدولية الهامـــة ، اذ ان المفروض ان ذلك يساعد على تركيز مكانة الحكومـــة الجزائرية وتوسيع الآفاق الدولية التي تنفتح لهـــا باستمرار ، فالدول التي يتشكل منها قطاع جنـــوب آسيا وأواسطها تنتسب فى مجموعهـــا الى دول « باندونغ » والى الكتلة الافريقية الاسيوية ، وهـــي بهذا الاعتبار ادنى ما يمكن ان تكون الى تفهم عدالـــة القضية الجزائرية ومشروعيتها ، واذا كان البعض منها لم يعلن الى الآن عن الاعتراف الشرعي بالحكومـــة الجزائرية ، فمأتى ذلك ـ فى بعض الاعتبارات ـ ترقب الكثيرين لامكانية جنوح الفرنسيين للسلم ، وتقبلهم مبدأ الاعتراف باستقلال الجزائر الناجز ، ولا ريب ان اتصالات جزائرية آسيوية من صنف تلك التي يمكن ان يقوم بها الرئيس فرحات ، قد تفضي الى مفاجآت ديبلوماسية هامة ، نتيجة لما عسى ان تسفر عنه من اقتناع بعض حكومات الشرق الاقصى ، بضـــرورة الاعتراف العاجل بالحكومة المؤقتة للشعب الجزائري المناضل .

وقد سجلت الحكومة الجزائرية في غضون الشهر المنصرم ، نصرا هاما آخر على صعيد الحرب السيكولوجية، فقد نشطت اجهزة الدعاية الاستعمارية اوائل الشهر الماضي في اقناع الراي العام العالمي بوجود ما راقها ان تدعوه « شقاقا خطيرا » في حظيرة الحكومة الجزائرية ، ولم تات هذه الدعاية الاستعمارية بما كان يتوقع لها من مفعول ، فان اساليب الحرب السيكولوجية الفرنسية قد اخذت تفقد بالفعل قدرتها على التضليل ، ولهذا فان « اكتشافات » المراسلين الفرنسيين في الشرق الاوسط ، لم تات باية نتيجة ، سواء داخل الجزائر او خارجها ؛ وكانت مناسبة فقط ، لتاكد الراي العام العالمي من تفاهة المدعيات الفرنسية ، وذلك حينما اعلنت الحكومة الجزائرية في بلاغ رسمي عما امكن اعتباره نقضا صارخا لهذه المدعيات الخيالية .

*

وبينما تسير حكومة الرئيس فرحات هكذا في طريق مكانتها الدولية وضمانة وحدتها العضوية الكاملة ، وبينما تنطلق الثورة اكثر فاكثر صاعقة جبارة لتجتث اصول النظام الشاذ الذي يجثم على الجزائر ، ولتقضي على وجوده ، تتضاعف اسباب الازمة العامة التي تاخذ بتلابيب فرنسا ، والتي هي نتيجة منطقية لحالة الحرب التي يشنها التوسعيون لحسابهم الخاص .

وتبدو هذه الازمة في صورتها الاقتصادية اكثر حدة واعمق تاثيرا ، وقد صورت بعض مظاهرها جريدة (التايمس) الامريكية في تعليق لها على الانتخابات البلدية الاخيرة في فرنسا ، فقد اشارت الجريدة النيويوركية الى ان « الفرنسي المتوسط كان يعيش في السنة الماضية عيشة رغد ورفاهية ، لانه كان لا يستطيع ان يدرك ان قيمة الفرنك حينذاك لم تكن تستند على اساس متين ، وان الميزانية توجد دائما في حالة ارتباك ، وان الانتاج المحلي مرتفع التكاليف ، ولكن عدم الادراك هذا لم يكن ليحول دون تفاحش التضخم المالي ، وانخفاض الصادرات وتسلل العملات الاجنبية ، واخيرا ... البطالة ... »

على ان كل هذا ليس من شانه ان يثير الاستغراب ، ففرنسا تنفق على المجهود الحربي في الجزائر ثمانمائة مليار من الفرنكات سنويا ..

الوضع العسكري :

لم يعرف الشهر الماضي فتورا في ميادين العراك بمجموع القطر الجزائري ، فقد سجلت الاسابيع الاربعة الماضية تطورات عسكرية هامة كان لجيش التحرير الجزائري فيها تاثير فعال وحاسم .

وقد انتزعت الانتصارات العسكرية الوطنية كثيرا من الاعترافات الفرنسية المتتابعة ، ولم يكن ذلك بالطبع ، الا ليبرهن على مدى فعالية الهجمات المظفرة التي تشنها وحدات الجيش الجزائري ، ونجاح الخطط الحربية التي تنسق تحركات هذه الوحدات ؟ ففي بلاغ حربي صادر عن القيادة الفرنسية بتاريخ 11 مارس اعلن ان بعض كتائب جيش التحرير تمكنت في مدى الفترة المتراوحة بين 2 و8 مارس من قتل 59 من جنود القوات الفرنسية المقاتلة ، وذلك بعدما اعترفت بلاغات فرنسية سابقة بكثير من الخسائر الاخرى في الارواح والبنايات .

ومن جانب آخر فقد راع السلطات العسكرية الفرنسية ما تتوفر عليه التحركات الوطنية من دقة متناهية وما تصيبه من نجاح في مختلف ميادين العمليات ، ولهذا فقد عمد الجنرال « شال » الى انتهاج خطط جديدة في نشاط القوات الفرنسية المقاتلة بعد ما لاحظته من اخفاق مبدا الاعتماد على التفوق العددي في الجنود والعتاد كما كان الشان سابقا ، وعلى هذا فقد دابت القيادة الفرنسية — في الاسابيع الاخيرة — على توزيع القوات المحاربة في شكل كتائب صغيرة ، حتى تكون اكثر قدرة على حرب العصابات والقيام « بالعمل المستمر » على حد تعبير البلاغ الفرنسي الصادر اوائل الشهر الماضي .

وقد ظنت اركان الحربية الفرنسية ، ان هذه الخطة ستكون اكثر فعالية في مقاومة الضغط المتزايد عليها من طرف جيش التحرير في مجموع القطر .

لكن سير العمليات قد برهن على تفاهة هذه الخطة من الوجهة التقنية العسكرية الصرفة ، بل انها اضحت تساعد القوات الوطنية على القيام بنشاطها المعتاد في ظروف احسن ، فقد كانت هذه الخطة الفرنسية في الواقع متلائمة « وستراتيجية الكمائن » التي تركز حولها في غضون الشهر الماضي ، قسط هام من نشاط القوات الوطنية الجزائرية ! وقد نجحت قيادة جيش التحرير في احكام «كمائن» متعددة ، كان الكثير منها يسفر في الغالب عن نتائج عسكرية لامعة ، ومن ذلك كمين « عين بسام » و « تيبسس » حيث تمكن الجنود الجزائريون من قتل 64 من الفرنسيين، طبقا لما اعترف بهالبلاغ الفرنسي الصادر في العاشر من مارس الماضي .

ومن جانب آخر فقد تركزت هجمات وحدات القوات الوطنية في الاسابيع الاخيرة على الخط المكهرب الذي يمتد على طول الحدود الجزائرية التونسية ، وقد تمكن الجيش الجزائري بالفعل من احداث كثير من الثغرات في الخط ، رغم احجام القيادة الفرنسية عن الاعتراف بذلك .

وقد شرعت السلطات العسكرية الفرنسية بالفعل في تجديد الخط وبناء اقسام جديدة فيه ، الامر الذي يبرهن عما اصابه من اتلاف خلال الهجمات الوطنية الاخيرة .

وقد كان من شان هذا النشاط المتزايد الذي يبديه الجيش الجزائري ان يثير مخاوف السلطات العسكرية الفرنسية ، وقد دلت الشواهد على ان هذه المخاوف تتضاعف باستمرار ، ومن البينات على ذلك ما اعلنه وزير الجيوش الفرنسي في خامس مارس الماضي اثناء رحلته في الجزائر ، من ان القادة العسكريين الفرنسيين قد اعربوا له عن حاجتهم الملحة الى المزيد من النجدات ، وذلك نظرا لاشتداد الهجمات الوطنية ، «وتناقص» عدد الجنود الفرنسيين وازدياد الاعباء التي يقتضيها كل ذلك .

على ان هذا الوضع العسكري الذي يحرج العسكريين الفرنسيين ، لا يجوز ان يبقى دائما محدودا بحدود الامكانيات الحربية الحالية ، ان هناك من الارهاصات ما يوحي بأن آفاقا عسكرية جديدة قد تتفتح في ميادين العراك بالجزائر ، وقد المعت الى ذلك جريدة « الاوبسيرفاتور » حيث اشارت في احد اعدادها الاخيرة الى امكانية اقدام الحكومة الجزائرية على توسيع نطاق الحرب واستيراد الاسلحة لهذه الغاية من الصين الشعبية .

فاذا تم ذلك فان وجه الحرب في الجزائر قد يتغير ليأخذ صورة اخرى شبيهة بما كان عليه الحال في المراحل الاخيرة لحرب الهند الصينية .

واذا ما وضعنا في الاعتبار الى جانب كل ذلك ما اشارت اليه بعض اليوميات الباريسية ، من احتمال تدرب فريق من الشبان الجزائريين على الطيران الحربي في بعض الدول الصديقة ، وذلك لحساب الجيش الوطني الجزائري ، امكننا ان ندرك مدى سعة الاحتمالات التي ينطوي عليها الصراع الحالي في الجزائر والمفاجآت التي قد ينبثق عنها الصراع .

ولعل خشية المسؤولين الفرنسيين من مثل هذه الاحتمالات هو الذي حدا بحكومة باريس الى مطالبة الحلف الاطلسي بتخويلها حق الاشراف على اسطولها العامل في مياه البحر الابيض المتوسط ، ولعل ذلك ايضا كان من ضمن ما اوحي للمسؤولين الفرنسيين بايثار صحراء المغرب العربي كمجال لاجراء التجارب الصاروخية والذرية المتتابعة ، فهل كان ذلك بدافع الرغبة في التهديد ؟ او كان مجرد تظاهر بالقوة والمنعة ؟ ام انه كان استعدادا لتنفيذ خطط استعمارية شاذة ؟

تلك اسئلة قد تجيب عنها الايام .

آراء أجنبية :

برنار لافيرن : هناك حقيقة واقعية : ذلك انه اذا انقضى عام 1959 ولم يتم التوصل الى السلام بالتفاوض مع ممثلي الثورة ، فان الاحوال ستسير في فرنسا لغير صالح الحكومة ؛ فقد كان للتدابير المالية الاخيرة من التاثير ، ان افضت الى اقناع الفرنسيين بأن حرب الجزائر غدت تكلفهم اعباء باهظة لا تحتمل فالنظام الجبائي يلتهم الآن النصف من مجموع الموارد الوطنية ، وذلك بنسبة 35 في المائة مما تصادره الدولة و15 في المائة مما تستولي عليه السلطات العمومية المحلية .

ولهذا فقد كان من الطبيعي ان تشعر الامة ، بأنه اصبح من غير الممكن ان تتحمل كل هذا الضغط الجبائي العالي ، خاصة وانه لا يوجه توجيها يعود بنفع آجل للبلاد .

لقد كانت الجمهورية الرابعة تعاني الكثير من الادواء عند ما نشبت الحرب في الجزائر ، ثم قضت نحبها نتيجة قصورها عن حل هذا المشكل العضال ؛ والجمهورية الخامسة لا يمكن ان تتخلف عن القاعدة ولهذا فانها ستواجه نفس المصير ، وستكون نهايتها اكثر سرعة اذا لم تتوفر لها — لسوء حظها — القدرة على وضع حد عاجل لهذه الحرب .

ان السلام في الجزائر سوف لا تتوفر اسبابه — سواء احببنا ام كرهنا — الا عن طريق المفاوضات بالرغم عن ضيقه وصعوبته .

استمرار او فناء ، تلك هي القضية الاساسية بالنسبة للنظام الحالي في فرنسا ، ولكن كل ذلك يرتبط بموضوع واحد : الحرب او السلم في الجزائر.

موريس ديفرجي : يميل كثير من الاوربيين في الجزائر الى ايثار الارهاب كوسيلة مثلى لحل المشكلة الجزائرية ، ولكنه يعزب عن اذهانهم انه سيصبح من غير الجائز اقامة نظام تحكمي في الجزائر (! ؟) في نفس الوقت الذي يمكن فيه الحفاظ على سلامة النظام الديموقراطي في فرنسا .

على ان كثيرا من «الغلاة» سوف لا يتورعون عن اللجوء الى ذلك في حالة ما اذا احسوا بالحاجة اليه ، لكن اذا ما تم ذلك فسيكون معناه افول نجم فرنسا ، وليس هناك ما قد ينتج عن ذلك الا التحطيم السريع للحظوظ التي تتوفر للامة الفرنسية في النصف الثاني من القرن العشرين ، وقد كان في وسع السيد «دبري» وهو يلقي خطابه عن انبعاث الوعي القومي ، ان يخلص من ذلك الى التعرض للحقائق (التي من هذا الصنف) والتي لا يمكن الا ان يكون ملما بها .

ومن جهة اخرى فان الجيش اذا ما بقي مصـرا على التدخل فى الشؤون السياسية للجزائر ، فانـه سيصبح من العسير على السياسيين ان يمارسـوا تنفيذ برامجهم فى ظل الجمهورية الخامسة كما كان عليه الامر تحت نظام الجمهورية الرابعة .

ان الابقاء على المشاكل دون حل ، والاعتماد على الزمان فى نسيان تلك المشاكل ، واختلاق حالات من الغموض اللازم لتاخير بوادر الانفراج ، ولكي تبقى الابواب موصدة دون هذا الانفراج : تلك هي الطريقة التي كان ينهجها « لاكوسط » بشكل فظيع ، ويتبعها الآن النظام الحالي بصورة أقل فظاعة (! ؟) .

ان الضباط يدركون الآن بصورة متفاوتة فى الوعي ، أن العمل العسكري البحت لم يعد ذا غناء . وان الاساليب البوليسية لا يمكن ان تفضي الا الى التحام رهيب ؛ ولهذا فهم يشعرون الآن ان الساعة قد ازفت لمباشرة العمل السياسي ..

جاك آرنو : ان الجديد فى الوضع الحاضر ، هو الرغبة العامة التي يحسها فريق هام من كبار الراسماليين الفرنسيين فى وضع حد للحرب المستعرة فى الجزائر ، لان استمرار هذه الحرب يكاد يؤدي بالمستقبل الباهر الذي كانوا يتهيأون له .

حقا ان المنافع التي يمكن الحصول عليها عن طريق استغلال اليد العاملة الجزائرية ليست مما يجوز اغفاله ، ولكن هل يمكن اجتناء هذه المنافع فى استغلال الثروات المعدنية فى الصحراء ؟

كيف يمكن اذن حماية الآبار والطرق التي يمر عبرها البترول ؟ كيف يمكن ذلك ولو مقابل التنازل عن بعض الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ؟

ان هذه الحماية هي المشكلة التي تستبد الآن كثيرا باهتمام الراسماليين الفرنسيين ، وقد وكلوا امر تحقيقها الى الجنرال دوكول ... ؟

المهـدي

العروبة والألم

بقلم : ميشيل عفلق

قد تخرج من الجزائر الصورة المثالية لعروبة المستقبل . ذلك لان شعب الجزائر قد عرف الالم الانساني كما لم يعرفه شعب فى العالم . ونضال الجزائر هو مقياس حيوية الامة العربية وقدرتها على التجدد والابداع . فلقد ظهرت فى هذا العصر حركات وثورات كانت بالنسبة الى العالم مفاجأة ومثار دهشة . اما ثورة الجزائر فكانت مفاجأة العروبة لنفسها .

لقد اعتدنا فى اقطار الشرق العربي منذ مطلع هذا القرن أن نرى الحركات القومية متمثلة فى الطبقات الوجيهة المترعمة ، فخالط قوميتنا من جراء ذلك الشيء الكثير من معاني الترف المادي والعاطفي والفكري . وبدت هذه القومية ، وهي بعد ناشئة فى المهد ، مقلوبة مضطهدة ، كأنها تتكلم لغة ليست لغتها الطبيعية ، دخلها الاصطناع والتزييف والغرور والتبجح منذ تمتماتها الاولى . وهذا ما جعلها ، ردحا طويلا من الزمن ، معزولة عن الشعب وحياته الصادقة كما جعل صوتها عاجزا عن ان يتجاوز نطاق ارضنا ، ويتجاوب مع مشاعر الشعوب الاخرى ويكسب عطفها وتاييدها .

كانت جماهير شعبنا العربي فى جميع اقطارها وما تزال تعيش فى الالم ، الم الحرمان والظلم والتاخر . لكن صوت الشعب المتالم كان يضيع فى جلبة المعركة القائمة بين البلاد والمستعمر الاجنبي .

اما فى الجزائر فقد عمل الاستعمار الافرنسي طوال اكثر من قرن ، بحرب منظمة للافقار والابادة ، على تحقيق المساواة بين افراد الشعب العربي ، فى الفقر والظلم . فتحققت بذلك للشعب وحدة الشعور ووحدة القضية ، ولاول مرة فى تاريخ النضال العربي ضد الاستعمار اتحد المعنى القومي بالمعنى الانساني اتحادا تاما ، لان الاستعمار اوصل الشعب فى الجزائر الى هذا الحد المتطرف الذي يدافع فيه الانسان عن مجرد البقاء وعن مجرد الكرامة التي لا يستطيع مخلوق بشري أن يحيا بدونها .

وهكذا قدر للعروبة فى الجزائر ان تبلغ جذور انسانيتها ، وان تتعرى من كل تزييف ، وتمتلىء بالمعنى الايجابي ، لانها عانت وقاست كل مراحل السلبية والحرمان لتصبح عروبة الحق والحرية والعدالة ، ولتستطيع ان تولد هذا النضال الشامل الجبار الذي بلغ الغاية فى الرجولة والرصانة والعمق .

ان النقص الذي كنا نشعر بوجوده فى نضالنا القومي يسده اليوم نضال شعبنا فى الجزائر ، لانه منبعث من الم كبير ، وهو الم اكبر من أن يستنفده العقل ويتوقف عند الهدم ويستسلم للغرور والاهواء او للضعف والاستكانة .

فبمقدار ما يتضامن الشعب العربي فى اقطاره الاخرى مع نضال اخوانه فى الجزائر ، وبمقدار ما يؤازر هذا النضال ويضحي فى سبيله ، بمقدار ما يتحقق التفاعل بين اجزاء شعبنا الواحد ، وتتوحد تجربته ، وتعجل فى تحرير قوميتنا العربية مما علق بها ودخل عليها من سطحية الطبقات المترفة ونفعيتها ، لتغمس هذه القومية فى معين الم الشعب وصدقه وانسانيته .

تحية الجزائر

بقلم: صالح الخرفي

من القصائد الرائعة التي القيت فى مهرجان الشعر بمناسبة انعقاد الدورة الرابعة لمؤتمر الادباء العرب بالكويت ، القصيدة التي نقتطف منها الابيات التالية ، **وقد القيت باسم الجزائر، كتحية من الشقيقة المجاهدة للمؤتمر ، وهي للشاعر الجزائري : صالح الخرفي .**

من منبر (الاوراس) حي المجمعـا
« فالضاد والرشاش قد نطقا معا »

فانظر هنا تجـد البطولـة منبــرا
وتر البطولة فى الجزائـر مدنعـا

لم تـرو غلتنا المنابـر ، فارتقيـ
ـنا للخطابة (اطلسـا) متمنعـا

تلك الذرى كم زمجرت برصاصهـا
فأرت لنا منه الخطيب المصقعـا

قمـم موطـأة المتـون لثائـر
روى صنوبرهـا دمـا فتفرعـا

فاذا امتطاها غاصـب مـادت بـه
وعلـى جلامدهـا تلقى المصرعـا

اللـه ورث قلبنـا حـب الـردى
ويقينه بيـن الجوانـح اودعـا

فلـو ابتغينـا عنهمـا بدلا ، نعـا
نا امنـا ومصيرنا فيمن نعـى

فلـذات اكبـاد لنا ، دسنا عليـ
ـها فى الثرى ، وبها الفؤاد تطوعـا

ان يفن جيل شب فى حجـر المظـا
لم ، فارتقب جيلا اعز وامنعـا

فى ساحة الهيجاء مسقـط راسـه
وعلى حجور الطاعنات ترعرعـا

فلـرب ام ارضعـت طفـلا لهـا
بعد الفطام دماءهـا والادمعـا

فنما ابي النفـس يشكـر حـرة
عرفت بألبان البطولـة مرضعـا

لـم نـات بدعـا انمـا اسبابنـا
ببطولـة الاجـداد لـن تتقطعـا

ثرتـا ، ولكـن لا لقطـر واحـد
ثرنا لاقطـار العروبـة اجمعـا

من قـال عنـا فى العروبـة قالـة
فقد افترى عنا خبـالا وادعـى

هي بعض ما ينساب بين عروقنا   هي بعض دقات تهز الاضلعا

هي طرفنا ان مسه يوما قذى   متطاول فلقد اقض المضجعا

ولو ارتضينا بالمذلة عيشة   لثنى الطغاة بها الينا ركعا

لكن حرف الضاد في لهواتنا   يابى لغير العز أن يتضرعا

وحشاشة انفت ـ ولو ادى بها   الاجهاد ـ ان تستجدي المستنقعا

وعلى الجزائر بنت يعرب ، كم يعـ   ـز قفا العروبة ان يهان ويصفعا

ولقد نعفر في الثرى منا الخدو   د ، فدا له في ان يعيش ممنعا

كف الجزائر وهي تقطر بالدما   كف الجزائر وهي تحضن مدفعا

لو قيل : من اين الضماد او السلا   ح ، لوجهت نحو العروبة اصبعا

ولرب اقراص فرنسية ، سقت   سما ، به قلب الجريح تقطعا

قرنا الى جيرانه طرف له   فاغاثه حر الدواء فانجعا

لا زال يحمده ، ويهدي اهله   عبرات شكر لا يفارقها الدعا

بالنصر تشكر من غداة الروع في   اسعافنا ضرب المثال الاروعا

يا عرب ليس بمامن سور العرو   بة ان تداعى عندنا وتصدعا

لا تهنأوا او تجعلوا لرسالة   الادباء من ارض الجزائر مجمعا

بشر عروبتنا بفجر باسم   وعلى ليالي الظلم كبر اربعا





ميخائيل نعيمة في الترجمة الاسبانية لديوانه

همس الجفون

بقلم: محمد الصباغ

هذه مقدمة للترجمة الاسبانية لديوان « همس الجفون » للمفكر اللبناني الكبير ميخائيل نعيمة الذي قامت بترجمته المستشرقة الاسبانية المعروفة الدكتورة ليونور مرتينث مرتين ، استاذة العربية وآدابها بجامعة برشلونة تحت اشراف الاستاذ محمد الصباغ ، وصدرت في مجموعة « ادنايس ADDNAIS » الشعرية بمدريد.

كان ذلك عندما ظهر هذا الديوان في بيروت ، فكان فتحا جديدا ، وخطوة جريئة في الشعر العربي المعاصر ، باتجاهه الجديد ، وسمو رسالته ، وحرارة كلمته . للفظ حلاوة ، وللخيال اجنحة من حس ، وللجمال مرابع من صور والوان ، وللفكر قبس وهاج .

تلك هي الرسالة التي آمن بها مؤلف هذا الكتاب ميخائيل نعيمة ، ايمانه بالحياة والجمال والحق . فنادى بها ، ودعا قومه الى ان يؤمنوا بها ، ويخلصوا لها ، ويعملوا على تحقيق اهدافها ومراميها في عهد « الاستعمار التقليدي » ، واعني به الاستعمار الادبي ، الذي سيطر مدة طويلة على الاقلام العربية فكبلها ، وتحكم بقوة وراثته فيها فسجن اخيلتها ، واطفأ وهجها ، وعمل على شل عاطفتها ، ووأد عذاري افكارها .

في هذا الظرف من الخمول والجمود والتقليد ، الذي مني به الادب العربي ، تلاقت عصبة من الادباء اللبنانيين المهاجرين في نيويورك على غير موعد . فاتفقوا فيها على تأسيس رابطة ادبية مهمتها : انتشال الادب العربي من هذه الوهدة السحيقة ببث روح جديد في عروقه وانعتاقه من عقاله ، والاخذ بيده الى طريق النور ، والجمال ، والحياة ، والحرية .

فتأسست « الرابطة القلمية » سنة 1920 وكان من بين اعضائها البارزين : جبران خليل جبران — عميد ميخائيل نعيمة — سكرتير . ايليا ابو ماضي ، ونسيب عريضة ، وندره حداد اعضاء .

ومن ثم اخذ انتاج هؤلاء يظهر في اعداد مجلة « السائح » التي كانت تطلع على الادب العربي كحادث جليل جديد . فتنوه بها الصحف ، وتنقل عنها ، وتعلق عليها باعجاب ، وتدرس فصولها في المدارس . ولم يصبر انصار التقليد على هذه العاصفة الهوجاء التي تهب على الاقطار العربية فتستأصل جذور وجذوع ادبها الرث . فشرعوا ينقمون على اصحابها ، وينعتونهم بالخروج عن حرمة الادب العربي ، واستهتارهم باصول لغته .

بهذه الحرارة وهذا الحماس ، شق الادب الرابطي بعنف طريق مجده، وادى رسالته خير الاداء، بتحريره للادب العربي من « استعماره التقليدي » . فاعجب برسالته المعجبون ، وتتلمذ في مدرسته طلاب الادب المتحررون .

قصدت الحديث عن الادب الرابطي ، لاعطي فكرة خاطفة للقارىء الاسباني عن هذه الحلقة الرئيسية المركزية التي تعد بحق نقطة انطلاق في ادبنا العربي الحديث .

اما الفضل في تأسيس هذه الرابطة فيرجع الى ميخائيل الذي كتب اليه رفيقه جبران يلح عليه بالحضور الى نيويورك ، للسعي في انجاز هذا المشروع ، وغيره من المشاريع الادبية.

ومعرفته بجبران تبدأ في سنة 1912 عندما التحق ميخائيل في خريفها بجامعة واشنطون التي تخرج منها بعد اربع سنوات بشهادتي : بكالوريوس في العلوم ، وليسانس في الحقوق .

واثناء دراسته في هذه الجامعة ، كان ينشر من حين الى حين في مجلة « الفنون » التي كان يصدرها في نيويورك رفيق صباه نسيب عريضه . واول مقال كتبه في حياته هو مقال تعرض فيه لنقد قصة « الاجنحة المتكسرة » لجبران . فكان لهذا المقال صدى بعيد في نفس مؤلفه ، وكان السبب المباشر في تعارفهما فيما بعد . ثم تلا هذا المقال بمقالات اخرى في النقد بجرأة نادرة ، وصلابة حديدية ، وتهكم لاذع . فندد بالكوينتبين

ذوي الوراثات الادبية ، وحمل حملة عاصفية على الشعراء الذين ليس لهم من فن الشعر الا القوافي والاوزان ، ورصف الالفاظ ، وترقيع الافكار ، واجترار المعاني، فنكل بهم اشد التنكيل، دون رحمة او شفقة. وجمع هذه المقالات في كتاب اسماه « الغربال » وصدر في مصر سنة 1923 . وكان لصدوره ثورة ضد اقلامنا الرجعية . حيث اضطلع بموازين ، واراء جديدة في مفهوم رسالة الادب الحي . وكررت طبعاته . وما زال لحد الآن منارة يهتدي بنورها طلاب الفكر الجديد ، والحرف الوضيء . وقبل ان يصدر هذا الكتاب ، صدرت له مسرحية « الاباء والابناء » التي كتبها سنة 1917 على اثر تخرجه من جامعة واشنطن ، وهي مكتوبة باللغة العربية ، واللهجة اللبنانية العامة . الا انها عندي لم تلق النجاح الذي تستحقه ، لان قسما مكتوب باللهجة العامية اللبنانية الصميمة التي تجهلها البلدان العربية ، ما عدا لبنان بالطبع . وحبذا لو عاد اليها مؤلفها من جديد ، وكتب قسمها العامي بالفصيح. لان فيها من جمال الحوار ، وقوة المشاهد وغناها الشيء الكثير ، زيادة على معالجتها لموضوع حيوي له قيمته ووزنه في المجتمع العربي ، وغير العربي .

والى جانب الشعر والنقد والمسرح ، عالج نعيمة القصة والسيرة . وقد صدرت له مجموعته القصصية « كان ما كان » سنة 1936 ببيروت . وتكررت طبعاتها ، مما يدلنا على نجاحها ، ومسايرتها للاذواق الادبية . وهذه الكتب جميعها مع كتابيه « المراحل » و « همس الجفون » صدرت له وهو في مهجره الاميركي

و « جبران خليل جبران » هو كتاب ارخ فيه لرفيقه . ويعتبر تحفة فنية ، ومن احسن الكتب التي القت في الادب العربي . تلاقت فيه الفلسفة ، والفن ، والموعظة ، والحكمة ، والشعر ، والتوجيه ، والنقد باسلوب محكم مشرق ، واكسية انيقة جديدة .

وقد عرف في هذا الكتاب كيف يعطي للادب حقه، ولعاطفة الصداقة « بعض » حقها الا انه قد بالغ في نقد « جبران » من حيث انه انسان ، لا من حيث انه اديب. فاظهر للناس بعض هفواته الشخصية ومباذله التي لا تمت الى الادب والفن في شيء . وقد نقل هذا الكتاب مع اخيه « مذكرات الارقش » الى الانجليزية ، ونشرتهما المكتبة الفلسفية بنيويورك . فاستقبلتهما الصحافة الاميركية والانجليزية استقبالا ممتازا . اما بالعربية فقد صدر الاول سنة 1934 والثاني سنة 1948 .

وميخائيل نظم الشعر بالانجليزية والروسية . هذه اللغة التي بدا يتعلمها منذ حداثته في مدرسته الابتدائية التي انشأتها الجمعية الروسية الامبراطورية في قريته بسكنتا التي شهدت ولادته سنة 1889 . وبعد ان اتم دراسته فيها سنة 1902 انتقل من دار المعلمين الروسية الى مدرسة « الناصرة » بفلسطين ، وفيها تضلع في العربية والروسية . ومكافأة على جده وحزمه ، اوفدته الجمعية الروسية سنة 1906 الى معهد السيمنار بمدينة بولتافا من اعمال اوكرانيا . واقام في المعهد مدة خمس سنوات ، درس فيها الادب الروسي والآداب العالمية .

وقد ترجم بعد ذلك كل اشعاره المكتوبة بالانجليزية والروسية ، وضمها الى اشعاره العربية ، وصدرت في ديوان « همس الجفون » . ولم يعد الى كتابة الشعر الى يومنا هذا ، اي منذ عشرين سنة ، كما جاء في رسالة بعث بها الي في السنة الماضية .

ونعيمة اتخذ مذهبا فلسفيا سلكه بايمان واخلاص ، ودعا الناس الى سلوكه . واذا تصفحنا كتبه « البيادر » 1945 « زاد المعاد » 1936 « صوت العالم » 1948 « الاوثان » 1946 وسواها من كتبه ، نجدها تبشر بهذا المذهب داعية الى وجود انسان واحد ، تحت علم واحد ، في بقعة واحدة ، تحت قانون واحد هو : المحبة ، التي لا تدين باي دين ، ولا تتعصب لاي جنس ، او امة ، او اقليم ، ولا تتلون باي لون من الالوان ، او ترتدي بشرة من البشر . فعواطفها تطوي الابعاد ، وتهزأ بالحدود، وتسخر بالخصومات والنعرات والاحقاد والاختلافات والعصبيات . وهو القائل في « البيادر » ص 44 « احر به ان يمحو التخوم والحدود التي يقيمها بينه وبين اخيه الانسان اذ لا تخوم في الله ولا حدود . احر به ان يجعل من قلبه مائدة لكل ما في الكون ، مثلما كل ما في الكون مائدة لقلبه . احر به ان يعانق بفكره كل المخلوقات مثلما تعانق كل المخلوقات فكره . احر به ان يغسل بدمه وزر جاره ، من ان يلبس من جاره وزرا فوق اوزاره » .

ومن هنا يطل علينا مذهبه الفلسفي «الحلولية» ، هذا المذهب الذي يستهوي عادة الشعراء المثاليين السماويين ، الحالمين ابدا بالجمال ، المبشرين دائما بالمحبة والخير في صعيد الحق والنور . وليس ميخائيل وحده من اتباع هذا المذهب . فبين شعراء الغرب اليوم ، كثير ممن تمذهبوا بهذا المذهب الذي يقول : « بالوحدة الجوهرية بين الله والعالم . فالله هو كل شيء . وما كونه الفسيح الا مظاهر متعددة لالوهيته »

وتغلغل فيلسوف العرب ميخائيل بفكره النشيط العميق في الكون ، وما فيه من نبات ، وجماد ، وحيوان وما يحويه من ملموس وغير ملموس من منظور وغير منظور . فراى الكون قوة هائلة تنفصل عن بعضها ، لتمتزج بغيرها لتادية الغاية التي انبثقت من اجلها : « تتصل الخليقة كلها ببعضها فانتم في ارتباط سرمدي مع كل ما في الكون « البيادر » ص 50 .

وليس في الكون شيء ولد عبثا حتى الاشياء التافهة في نظر نعيمة ازلية ، لا لون لها ولا آخر . لانها متحدرة من الله . والله ازلي خالد . « فالوجود بكل ما فيه من محسوس ، وغير محسوس هو جسد الله الحي . وانتم منه . وانا » البيادر ص 49

ويمكننا من هنا ان نستخلص الا فرق عند نعيمة بين الانسان ، والجمادات ، والنباتات . الا من حيث الادارك ، والوعي ، والحساسية . اما الغاية التي وجدوا جميعا من اجلها فواحدة . فلا موت ولا حياة . ولا حساب ولا عقاب ، لهذا الانسان . لان الكون عند صاحبنا فوارة الهية ازلية خالدة بخلود الله . والله هو المحبة . لذلك كان الانسان الصادر عن الله صورة لمصدره ، فكان اوليا بازليته ، ابديا بابديته « البيادر » ص 62 .

وليس من قصدي ان اتوسع في هذه الدراسة الخاطفة عن نعيمه وفلسفته في الحياة وما في الحياة من آلام ، وافراح ، واشواق ، واحلام ، وشكوك ، وغيرها ، وحسبي اني فتحت كوة تجاه القارىء البعيد عن نعيمه ، وحسب هذا القارىء ان يطل منها على هذا الفيلسوف المثالي الذي جاء مبشرا برسالة الخير والمحبة ، والجمال ، الى ابناء العالم العربي ، في ذلك الشرق ، مهبط الوحي ، ومنبع الروح . وليطلع ايضا على بعض اتجاهاته الفلسفية . وحسبه كذلك ان يرجع الى هذا الديوان الذي ستطلع عليه صفحاته مشرقة فواحة بنور وعبير هذا الشاعر المفكر .

ويظهر لي ان نعيمة تأثر بمواعظ الانجيل من جهة ، وبروح الاشتراكية لا قشورها من جهة اخرى . وان هو لم يتأثر بالانجيل كثيرا ، فقد اثرت فيه قوالبه اللفظية دون شك ولا ريب . كقوله مثلا : « جردوا قلوبكم من مدافع الطمع ، وحراب البغض ، وقنابل الحسد » « لا تبغضوا احدا من الناس ... ابغضوا كل ما في الناس من ضعف واثم » « لا تكرهوا الظالم ، اكرهوا الظلم » « لا تهربوا من الجاهل اهربوا من الجهل » « ان شئتم ان يكون عالمكم الخارجي طاهرا ... اغسلوا ايديكم بماء الغفران ، وعطروها بشذى المحبة » « زاد المعاد » .

ولا اجرؤ ان اقول رايي في كتابه « مرداد » لاني لم اطلع عليه بعد . رغم ان مؤلفه بعثبه الي . الا انه ضاع في البريد مع الاسف . هذا الكتاب الذي الفه اولا بالانجليزية ، وصدر في نيويورك عن دار المكتبة الفلسفية ثم نقله بعد ذلك الى العربية . وفي مطلع هذه السنة صدرت بالهند — بومباي طبعة خاصة منه بالانجليزية . وكان له نجاح كبير بين الكتاب والمفكرين الهنود . فمنهم من اطلق عليه كتاب الساعة ، ومنهم من اطلق عليه كتاب الجيل . واذكر اني قرات في احدى الصحف العربية الصادرة بالبرازيل مقالا مضمنه : ان افكار « مرداد » قد اخذت تشق طريقها في نفوس الناس ، حتى ان بعضهم قد تمسك بارائه واصبح يطبق حياته على حسب افكاره ومعتقداته ، ذاكرة ان هذا الكتاب احسن كتب نعيمة « ناسك الشخروب » . وهذا اللقب اطلقه عليه ادباء العرب لتوهمهم بتنسك صاحبه في شخروبة . والشخروب هو عبارة عن مزرعة ورثها هو واشقاؤه . وتقع في شرقي بسكنتا ، وترتفع عن سطح البحر بنحو 6000 قدم . ويوجد في هذه المزرعة كهف رهيب يركن اليه نعيمه وقت تنزلاته . وفيه كتب بعض مؤلفاته منها كتابه عن « جبران » .

وقد اشتهرت هذه القرية — التي تبعد عن بيروت بنحو 45 كلم — بجمال طبيعتها ، وغزارة مياهها . اما سكانها فقد عرفوا من قديم بحصافة رايهم ، وسداد فكرهم ، وطول نفسهم في المناقشة والمناظرة والحكاية .

ولبسكنتا اليوم مكانة عظيمة في نفوس ادباء العرب الذين يقصدونها لزيارة فيلسوفهم من معجبين ومستفسرين وسائلين .

ونعيمة وجد سعادته وراحته في هذه القرية التي عاد اليها من اميركا سنة 1932 . وبهذه المناسبة اقيمت على شرفه ببيروت حفلة تكريم كبرى . ومنذ ذلك الحين وهو قابع فيها بين المطالعة والتاليف وتحضير المحاضرات للمنابر والمذايع . ولم يعرف عليه يوما ما انه سخر قلمه لهرج السياسة ، او عفر ادبه لمدح احد كان من كان ، او خاض في جدال ادبي عقيم . ومن شانه الصراحة في القول ، والصرامة في العدل . وللادب عنده حرمته وقدسيته . وهو القائل في احدى محاضراته : بعبادة الادب . لم يتأثر باي كاتب من الكتاب رغم اعجابه الشديد بالادب الروسي ، وبالخصوص دوستويفسكي . لاسلوبه شخصية قوية ، وطابع انساني . ويمتاز بغناه اللفظي وموسيقيته ، واستعاراته المبتكرة ، وحرارة كلمته . وما زال لحد الآن في نشاطه الادبي ، ينتج باستمرار

هذا هو ميخائيل نعيمه ، رائد الادب العربي المعاصر وهاديه . وهو الان يتمتع بشهرة عريضة في اميركا وانجلترا وفرنسا والهند ، بعد ما نقلت كتبه الى لغات هذه الاقطار .

ولا اريد ان اقول شيئا في هذه الترجمة بعدما خبرت اصلها . ولاترك الحكم للقارىء الاسباني نفسه ، فهو حري بها . على اني اريد ان اشكر المستشرقة الدكتورة ليئور مرتينث مرتين نيابة عن ادباء العرب ، على قيامها بترجمة آثارنا العربية الى لغتها ، وعلى ما ستقوم به من ترجمات مقدرا كل التقدير جرأتها واقدامها على ترجمة هذا الديوان ، رغم الصعاب التي توجد في ترجمة الشعر من لغة الى لغة ، خصوصا اذا كان بين اللغتين تنافر كما هو موجود بين العربية والاسبانية .

*

وهكذا انفجرت همسات هذا الديوان ، بعد ما ضاقت في جفونها . فسمعت الى آفاق جديدة باكسية اسبانية ، كما تنفجر الدوحة بعد ما تضيق في بذرتها ، منشدة ملاعب النور والنسيم والطيب .

مخطوط ابن الأبار:

السمط في خبر السبط

بقلم: الحسن السائح

يعتبر ابن الابار من الكتاب الاندلسيين ذوي الاسلوب الرائع المحكم، سيما حين يطلق عنان شجيته فتنساب فياضة في تعابير رقيقة ومفردات منتقاة وقالب جميل الصوغ، وليس الموضوع في هذا الحديث الا التعريف بمخطوط صغير من كتب هذا العالم الاندلسي التي كتب لها ان تنجو من الحريق الذي شب في كل كتبه بعد اعدامه حرقا في تونس، وهذا المؤلف ليس مجهولا عند المؤرخين بل ان كثيرا منهم ذكروه واقتطفوا منه وانما عثرت عليه كاملا فاردت ان اقدمه للقارىء الكريم مؤملا ان يقدر له الطبع فيتملى الادباء باسلوبه الرائع وتعابيره الرقيقة.

وقد سمى ابن الابار كتابه (**بالسمط في خبر السبط**) وقبل ان اقدم الكتاب تقدم ترجمة لمؤلفه اذ ربما نلقي بهذه الترجمة ضوءا على الاسباب التي حدت بالمؤلف الى ان يكتب كتابه هذا، لنصل الى تثمين هذا الكتاب ذي الاسلوب الشعري والتعبير الانساني البليغ:

ابو عبد الله محمد بن عبد الله ابن الابار القضاعي ولد في بلنسية سنة (595) خمسمائة وخمسة وتسعين وتوفي في تونس سنة 658 ستمائة وثمانية وخمسين الموافقة لسنة 1259 ميلادية واخذ العلم بمسقط راسه بلنسية وهي مشهورة بالعلماء والادباء والكتاب والشعراء، لذلك كانت بلنسية عظيمة الاثر في تكوين عقليته وتكييف ذكائه. ولذلك ايضا اصبح اماما في العربية وعلومها، كما قال مترجموه القدماء، واصبح مالكا لناصية البيان عظيم الاطلاع على اسرار البلاغة، بارعا في الحديث واسانيده واسع الثقافة.

حتى قال الغبريني عنه في كتابه القيم (عنوان الدراية) انه لا يكاد كتاب من الكتب الموضوعة في الاسلام الا وله فيه رواية اما بعموم او بخصوص، وكان هذا الاطلاع عظيم الاثر في فكره العلمي حيث يعتبره المترجمون مؤرخا واديبا وكاتبا وشاعرا ومحدثا وفقيها ومؤلفا ايضا وقد كانت نهاية هذا الاديب بتونس حيث مات بها قتيلا سنة 658 ثمانية وخمسين وستمائة وما اشبه مصيره بابن الخطيب في فاس فقد تشابهت نهايتها فسجنا ثم قتلا واحرقا وكانت ماساة ابن الابار اعظم من ماساة مواطنه ابن الخطيب حيث احرق ابن الابار مع كتبه واوراقه ودواوينه الشعرية فلم يمت وحده بل ماتت بجانبه آثاره الفذة...

وبلغ الينا من تآليفه كتابه المشهور تكملة الصلة اي (صلة ابن بشكوال) الذي وضعه لابي الربيع ابن سالم الكلاعي، وقد دامت صحبتهما بضعا وعشرين سنة، والف معجم اصحاب ابن العربي المعافري ومعجم اصحاب الصدفي ومعجما لروايته الحديثية، كما الف في الحديث اربعين حديثا متنوعة سماها بالاربعينيات والف اللجين في مراثي الحسين الذي قال عنه الغبريني في عنوان الدراية (ولو لم يكن له الا كتاب اللجين في مراثي الحسين لكفاه في ارتفاع درجته وعلو منصبه وسمو رتبته) والف في تاريخ الاندلس. الحلة السيارة تبتدىء بموسى بن نصير، والف في الشيعة كتاب (السمط باخبار السبط) وهو من انفس كتبه ويروى عنه صاحب النصح كثيرا.. وقد اكبر جل المترجمين ابن الابار فوصفه ابن خلدون في تاريخه بحافظ عصره العلامة في الحديث ولسان العرب البليغ في الترسيل والشعر اما عن سبب دخوله الى تونس فذلك ان الاسبان لما تغلبوا على بلنسية انتقل باهله الى تونس ونزل على سلطانها ابي زكرياء يحيى بن عبد الواحد ابن ابي حفص وقد قدره الامير التونسي فقلده وظيفة كتب العلامة في صدور مكاتبته ثم عزله وولى مكانه ابا العباس الغساني لكونه يحسن كتابتها بالخط الشرقي فكان هذا سبب سخط ابن الابار ومن هنا وعلاقته تسوء مع الامير الحفصي الى ان طرده نهائيا من قصره ولكن ابن الابار استشفع بابنه المستنصر فسامحه وعاد الى وظيفته، ولما مات ابو زكرياء خلفه المستنصر فرفع من شأن ابن الابار وجعله يحضر مجلسه ولكن علاقته ساءت من جديد مع المستنصر، ولعل ابن الابار كان يصيب المستنصر بسهام نقده وتهكمه سيما وقد اتهم بقصيده فيه مطلعها:

طغى بتونس خلف ❊ سموه ظلما خليفة

وكان هذا بداية محنته بل بداية مصيره المفزع الذي انتهى بقتله ومن محاسن الصدف ان عثرت على كتابه القيم « السمط باخبار السبط » وهو مخطوط عزيز الوجود، يشرح مذهبه العقيدي وايمانه الشيعي

وساقتطف منه للقارىء بعض الفصول الممتعة مؤملا ان يطبع عما قريب.

يقول في السبط:

اي بني الطلقا ـ ما اقعدكم عن الابقا، واقامكم الى العنقا، كرت ان تصاد، فعليكم الاقتصاد، ولا تقيموا الارصاد، اياكم والشماتة فلن تدركوا ذلك الاحياء ولا تلك الاماتة.

فيم الشماتة اعلانا باسد وغى
افناهم الصبر اذ ابقاكم الجزع
لا غرو ان قتلوا صبرا ولا عجب
فالقتل للصبر في حكم الفنا تبع

الحق ابلج ، والباطل لجلج ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ربما ارتاب ناظر فى هلكة العلوية وملكة الاموية وشفاء ما به قريب ، ان كان له من الفهم نصيب ، الانبياء اشد الناس بلاء ، ثم الذين يلونهم فضلا ، ما كانت خديجة لتاتي لخداج ، ولا الزهراء ان تلد الا الازهر كالسراج مثل النحلة لا تأكل ولا تلد الا طيبا ، خلدت بنت خويلد ليذكو عقبها من الحاشر العاقب ويسمو مرقبها عن النجم الثاقب ،،، (ويقول فى الامام علي) : لما رجع علي فعلا ، صلح لفاطمة بعلا ، الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فازت بعصمتها قداحه ، واورى فى خطبتها اقتداحه ، فلم تكن تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها ، لا جرم ان من تصدى لها صد ، أو تردد فى شانها رد ، حتى حده صنفه ، ذلك الفحل لا يقرع انفه ، ولو رامها احد غيره لزلزلت الارض زلزالها ، ما ادل نقد الحمراء الدلاص على الثقة بالاخلاص ، دفع اليها جنة الحرب وعرض نحره للطعن والضرب .

تهون علينا فى المعالي نفوسنا
ومن خطب الحسناء لم يغله المهر

اقرضته النبوة ما اقرضها ناجله ، وزند المصاهرة فاقصر ماجله .

وفى تعب من يحسد الشمس نورها
ويجهد ان يأتي لها بضريب

ويقول فى السبطين :

اقتحم ، (كذا بالاصل والصواب اقتسم) السبطان ، على رغم انف الشيطان خلق جدهما النبي ، وخلق ابيهما الوصي ، فؤدي اكبرهما بما اذى (الصواب اوذي) به الاكبر ، ولقي اصغرهما الموت الاحمر .

وانا لقوم ما نرى الموت سبة
اذا ما راته عامر وسلول

تبع الاول فى ذلك الاخر ، وخاضا بحر السهول وهو زاخر .

كانت مآتم بالعراق تعدها
اموية بالشام من اعيادها

فكيف توسي الكلام ، او يتاسى الاسلام ، وعلى الدهر من دم الشهيدين علي ونجله شاهدان ، فهما فى اواخر الليل فجران ، وفى اوليته شفقان ، ثبتا فى قميصه ليجيء الحشر مستعديا الى الرحمن ، وا اسفاه ألب على الرسول ابو سفيان ، ولاكت كبد حمزة هند ، ونازع حق علي معاوية ، واحتز هامة الحسين يزيد ، لقد علقوها بالنبي خصومة الى الله تغني عن يمين وشاهد ، (ويقول فى فتنة كربلاء)

وكان ابن سرجون اشار على يزيد بتقديم يزيد عبيد الله وهو اذ ذاك عنه شاحط ، وعليه فيما ذكر ساخط ، فكتب اليه برضاه وجمع له ادنى العراق واقصاه ، فامضى الركايب من مهلها ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها ، لا يمر بمجلس من مجالس القوم مسلما وقد قدم من البصرة متلثما الا قالوا وعليك السلام يابن بنت الرسول يحسبون انه الحسين ، وهيهات لا يشبه الشبه اللجين ، عاشت سمية ما عاشت وعلمت ان ابنها فى قريش فى الجماهير ، وقبل قتل مسلم حرص على ملمع بخبيره معلم ، فاسر الى ابن سعد بن ابي وقاص ، مقدم الحسين فى الخيول والقلاص ، رجاء ان يرجع ادراجه ويدع الى موبقة استدراجه فباح لعبيد الله بذلك وارتاح لاشعاره ما هنالك وقد امره بالكتمان وحذره خون الائتمان ، فمن اجلها اخرجه لقتاله وجهزه فى اربعة آلاف من رجاله . (ويقول فى قتل الحسين) :

فى عاشر محرم ابيحت المحرمات ، وافيضت على النور الظلمات ، فتفاقم الحادث ، وحمل على الطيبين الخبايث (صوابه الاخابث) وضرب السبط على عاتقه ويسراه ، وما اجرأ من اسال دمه واجراه ، ثم قتل بعقب ذلك ذبحا ، وغودر يبكي حتى العاديات ضبحا ، اجزاء حاملة الحلي ، واشلاء كرمن على البلى ،

عن كتاب : الظاهرة القرآنية - لمالك بن نبي :

مضمون الرسالة

ان رحابة الموضوعات القرآنية وتنوعها لشيء فريد ، طبقا لتعبير القرآن نفسه (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) ، فهو يبدأ حديثه من « ذرة الوجود المستودعة فى باطن الصخر والمستقرة فى اعماق البحار» (1) الى النجم الذي يسبح فى فلكه نحو مستقره المعلوم (2) ، وهو يقتضي ابعد الجوانب المظلمة فى القلب الانساني ، فيتغلغل فى نفس المؤمن والكافر بنظرة تلمس ادق الانفعالات فى هذه النفس . وهو يتجه نحو ماضي الانسانية البعيد ، ونحو مستقبلها ، كيما يعلمها واجبات الحياة ، وهو يرسم لوحة اخاذة لمشهد الحضارات المتتابع ، ثم يدعونا الى ان نتأمله لنفيد من عواقبه عظة واعتبارا .

(1) يشير المؤلف بذلك الى قوله تعالى « يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض يأتي بها الله » .
(2) يشير بذلك الى قوله تعالى « وكل فى فلك يسبحون » .

وان درسه الاخلاق لهو ثمرة نظرة نفسية متعمقة في الطبيعة البشرية ، تصف لنا النقائص التي ينهى عنها وينفر منها . والفضائل التي يدعونا الى التأسي بها ، من خلال حياة الانبياء ، اولائك الابطال والشهداء في سجل ملحمة السماء ، وعلى هذا الاساس يدفع القرآن المؤمن الى الندم الصادق حين يعده بالغفران اساس التربية الجنائية في الاديان السماوية .

امام هذا المشهد العظيم وقف الفيلسوف « توماس كارليل » فما تمالك عنه ، بل انبعثت من اعماقه صرخة اعجاب بالقرآن فقال : (هذا صدى متفجر من قلب الكون نفسه) وفي هذه الصرخة الفلسفية ، تجد اكثر من فكرة جافة لمؤرخ ، تجد بعض ما يشبه الاعتراف التلقائي لضمير انساني سام بهت امام عظمة الظاهرة القرآنية . وان العقل الانساني ليقف حائرا امام رحابة القرآن وعمقه ، انه اثر فريد ذو هندسة ، ونسب فنية تتحدى المقدرة المبدعة لدى الانسان .

ان عبقرية الانسان تحمل بالضرورة طابع الارض ، حيث يخضع كل شيء لقانون المكان والزمان ، بينما يتخطى القرآن دائما نطاق هذا القانون ، وما كان لكتاب بهذا السمو ان يتصور في حدود الابعاد الضيقة للعبقرية الانسانية ، ومن المقطوع به انه لو اتيح لاحد من الناس ان يقرأ القرآن قراءة واعية ، يدرك خلالها رحابة موضوعه فلن يمكنه ان يتصور الذات المحمدية الا مجرد واسطة لعالم ، غيبي مطلق .

وفضلا عن ذلك ، فان هذه الذات تشغل فيه مكانا ضئيلا ، اذ نادرا ما يتحدث عن تاريخ « محمد » الانسان ، وعن آلامه العظمى ، او مسراته التي لم ترد فيه قط ، ولو تخيلنا النازلة التي اصابته في اوج دعوته بفقد عمه وزوجته لادركنا مدى الدوي الرهيب لحدث كهذا ، في حياة « رجل » كان حتى آخر لحظاته يبكي خديجة وابا طالب ، عند ما كان اسماهما يذكران امامه ، وبرغم هذا لا تجد اي صدى لموتهما في القرآن ، بل ولا اسم الزوجة الحانية ، الزوجة التي تقبلت في حجرها انبثاق الاسلام الوليد .

هذه النقطة ضرورية في رأينا لاية دراسة نفسية تحليلية لموضوع القرآن ، الذي شغل منذ بعيد اهتمام المستشرقين لغايات مختلفة ، وبدوافع جد متخالفة .

عن كتاب « الظاهرة القرآنية » للاستاذ مالك بن نبي



مسجد عمر ، قبة الصخرة — القدس



في شعرنا المعاصر

بقلم محمد الادريسي العلمي

- 3 -

فترة الحماية : كان تاريخ 30 مارس 1912 بالنسبة للمغرب الحد الفاصل بين عهدين . عهد من الحرية والمجد يمتد احقابا بعيدة عرف فيها من القوة والمنعة ما يشهد به التاريخ المغربي المجيد ، وبين عهد من الاستعمار الذي فتح له في بلادنا واجهات ثلاثا ، واجهة ستراتيجية اقتصادية ، وواجهة دينية واخرى ثقافية ، وكان يجند لكل واجهة رعيلا من خبرائه وفنييه .

ويسجل التاريخ ان رد الفعل من جانب المغاربة الاحرار كان عنيفا في كل واحدة منها ، فكانت هذه المقاومة المسلحة من مختلف جهات البلاد ضد خبراء الواجهة الستراتيجية الاقتصادية ; وكانت الحركة السلفية بالمغرب ـ وليست الا امتدادا لها بالشرق ـ ضد حركات التبشير ومهزلة الظهير البربري ; وكانت عناية العرش بالمعاهد الدينية والسهر عليها ، وتشجيعه لانشاء المدارس الوطنية الحرة لتكون حصن اللغة العربية المنيع ، واهتمام الحركة الوطنية بانشاء كثير من هذه المدارس في مختلف المدن والقرى المغربية ، كل ذلك كان ضد الواجهة الثقافية التي جند لها الاستعمار اخطر فنييه للقضاء على اللغة العربية ، وعدم تدريسها في المدارس الرسمية والاكتفاء بساعة او ساعتين في الاسبوع للقرآن الكريم أول الامر ، ثم تعيين ساعات قلائل لتدريسها على انها لغة اجنبية ثانوية ، وتشجيع اللهجات البربرية وتدارسها كل ذلك للقضاء على لغة الضاد بهذه الديار .

وامام كارثة الحماية وواجهاتها رأينا شيئا جديدا يظهر في الانتاج الشعري للطائفة التي وسمناها بفلول المدرسة الاندلسية ، رأيناهم يحسون بالمأساة التي عاشها زملاؤهم بالشرق ، وصوروها في شعر وطني ملتهب ، احسوا بها لانهم اصبحوا يعيشونها في وطن يكتوي بنارها . انهم الآن فقط يعون آهات وصيحات شعراء كشوقي وحافظ في مصر ، والكاظمي والزهاوي والرصافي في العراق ، وليس من شك في ان هذه الطائفة من شعرائنا قد اطلعت على غير قليل من الانتاج الادبي والشعري بالخصوص لادباء الشرق وشعرائه ، بواسطة الحجاج المغاربة الذين كانوا يعودون الى بلادهم محملين بكثير من المطبوعات الشرقية من كتب ومجلات ، او ما ورد منها بالطريقة التجارية ، فكان ان تفتحت العيون واستيقظت القرائح للخروج عن الاغراض القديمة للقريض . وبدانا نرى شعرا وطنيا يتناول بالدرجة الاولى اسباب المأساة لا المأساة نفسها ، وهي لا تخرج في نظرهم عن الجهل ، والتشبث بالبدع الضالة ، والخرافات البالية ، ومن ثم كانت قصائدهم الوطنية تنصب على الدعوة لطلب العلم ، وترك البدع والخرافات ، والتمسك بالدين الخالص الطاهر .

فهذا المرحوم محمد غريط يقول في قصيدة « شبيبة العصر » (1) :

شبيبة العصر اين العلم والادب
واين منا خصال سنها العرب

اين الثقافة ويحي والحصافة بل
اين الشهامة مقرونا بها الارب

ردوا كما ورد الاجداد قبلكم
بحر الخطوب والا انتم نكب

على البلاد على الاسلام قاطبة
فموتكم وعيشكم عطب

ويحي على الثروة العظمى تبددها
يد العداة كما شاءت لها الرتب

ونحن نلهو كما شاء الجمود لنا
وهمنا درهم والمجد ينتهب

وهذا المرحوم الشيخ عبد الله الفاسي يقول في قصيدة « المدنية الحق » (2) :

---

1) مجلة السلام العدد الثامن السنة الاولى ص 43 ـ . 2) الادب العربي في المغرب الاقصى ج 1 ص 37 ـ .

سكر الشباب وحب اللهو مفسدة
بالعلم قاومه الحذاق فانكرا

دع التنطع وارع الدين وازعه
يميز التبر من ترب لمن نظرا

دع التعصب فالاشياء ظاهرة
والقوم قد صنفوا ودونوا العبرا

ان قلت جئت بما لم ياته سلف
قلنا الاباطيل او تحريف ما صدرا

وهذا محمد السليماني في قصيدة « حماة الدين » (3) وهي قصيدة نلمس فيها حرارة الصدق وحدة الايمان كما نلمس فيها تماسكا وقوة من حيث البناء ، وهو تماسك نكاد نفقده في اكثر ما لدينا من انتاج هذه الطبقة .

دعيني من مراشفة الرضاب
وعدي عن ثنايك العذاب

وعاطيني صريح النصح صرفا
فعز الدين آذن بانسحاب

وخلي عنك ايام التصابي
فتلك خديعة الغض الشباب

فلا مدح يصيخ اليه سمعي
ولا غزل لدي بمستطاب

الى ان يقول :

اليست امتي فقدت حجاها
وهذا عزها وشك الذهاب

وهذا صبحها يحكي مساء
غزالتها توارت بالحجاب

حماة الدين هبوا من سبات
تمركزنا يؤول الى الخراب

تركنا الدين خلفا لا نبالي
ولم تترك لنا غير التباب

يقول الشامتون هم اضاعوا
كتابهم ويا حسن الكتاب

كتاب جاءنا للحق يدعو
ويخدرنا مفاجاة العذاب

اما ترك الرسول لنا وصايا
تقود المسلمين الى الصواب

قطال العهد واخرنا سواها
ويا لخيانتنا يوم الحساب

فوا اسفا على حال حدتنا
الى ان اوقعتنا في الخراب

وهذا يا حماة الدين منكم
فكيف جوابكم يوم المآب

بني العلم الرعاة الا افيقوا
فان الشاة في وسط الذئاب ! !

واذا نظرنا الى هذا الانتاج من حيث الشكل فاننا نستطيع ان نسجل ان حدة المحسنات اللفظية بدات تخف ، وان الطابع الاندلسي بدا يختفي عندهم ليطغى عليه طابع المدرسة التقليدية في مصر والعراق.

واذا كان هناك من ينتظر مني أن أشجب هذه الطائفة لاعتمادها على الطريقة الخطابية والاسلوب التقريري او عدم الاعتماد على اسلوب الظلال والالوان على حد تعبير الاستاذ ((سيد قطب)) فاني لن احقق له هذا القصد لسبب بسيط هو أني لا أستسيغ ابدا ان افرض على انتاج عربي في مثل هذه الفترة قواعد النقد الغربي ، هذه القواعد التي نشأت عن تعدد المذاهب الادبية التي نشأت بدورها عن احداث اجتماعية وسياسية وحضارية في نفس الوقت ، شانها في ذلك شأن المذاهب الفلسفية التي خضعت هي الاخرى أو كانت بالاحرى نتيجة لنفس الاعتبارات . على اننا يجب الا نتناسى المخطط النفسي لهذه الامم التي نشأت فيها هذه المذاهب التي تمخضت عنها تلك القواعد ، وهو يناقض المخطط النفسي للامة العربية جمعاء ومن ثم كان انتاج شعرائها يخضع لمخططها العام في بيئتها ، في اسلوب معيشتها في نوع حكمها ، في عقائدها ، في لغتها في لونها الحضاري الخاص .

ثم ان الاوربي يخضع في انتاجه لمخطط امته بصفة تلقائية من جهة ، وبصفة اعدادية من جهة أخرى ، فهلا يكون الشاعر المغربي مظلوما اذا نحن أصررنا على أن ننظر الى انتاجه على ضوء تلك القوعد رغم ان تلقائيته تتجه بالبداهة الى مخطط أمته الكبرى ، ورغم أنه لم يطلع على المذاهب الادبية وقواعد النقد الغربية او انه لم يهضمها ولم يستطع التشبع او التاثر بها بعد لكي يستطيع ان يطعم شعر بلاده بعناصر جديدة عليه .

واذا كانت عملية الهضم والتذوق والتأثر هذه كانت في مهدها بالشرق فمن الشطط أن نحاول اخضاع هذه الطائفة لتلك القواعد التي لن اجافي الحقيقة اذا قلت انها لم تسمح بها الى ذلك العهد . والذي تقضي به البداهة ان تخضع الطائفة المذكورة — بصفة تلقائية — الى المخطط العام للامة العربية

3) الادب العربي بالمغرب الاقصى ص 43 ج 1 .

واليه كما اعتقد ترجع هذه الصبغة التي نراهـا صاحبت الشعر العربي في مختلف اطواره بل لا اغالي اذا نسبت اليه طريقة الاداء في لغة الضاد نفسهـا من حيث نسق الجمل والاعراب ، ولعل هذه السماجة التي تحس بها عند ترجمة انتاج غربي ترجمـة حرفية تعود اليه اولا واخيرا .

وعلى اي فقد سجل التاريخ الادبي لهذه الطائفة انها لم تتخلف عـن النـزول الى الميـدان في نطـاق امكانياتها مهما كانت محدودة ، ومهما كانت قاصرة عن الابداع : على انا لذي لا ينبغـي ان نشك فيه ، هو اننا لو ظفرنا بالانتاج الكامل لهذه الطبقة لما عدمنا نماذج اكثر تدليلا على ما ذهبنا اليه .

وقد علمت منذ سنين ان الشاعر الرقيـق المرحوم احمد لحلو كان يعني باعداد ديوان المرحوم احمد غريط للطبع ، واتسـاءل الآن عمن آل اليـه هذا الديوان بعد وفاة الشاعر الشاب ، كما اتسـاءل عن ديوان هذا الشاعر نفسـه ، اما كـان جديرا ان يخرج الى النور لا سيما ومن بين اصدقائه من يملك دارا للنشر ! ! كما اسأل ابناء الشيخ المرحوم عبد الله الفاسي عن ديوان ابيهم ، ومن بينهم الاستاذ العابد الفاسي الذي سرنا لنزوله اخيرا الى الحلبة ، بعد ان كنا نأسف لصمت هذا البحاثة القدير . كما اسأل كل من كانت له صلة بشعراء هذه الطبقة ممن ذكرت ولم اذكر عن انتاجهم ودواوينهم جميعا . وهل لـي ان اكرر الدعوة لاختيار لجنة تشرف على اخـراج هذه الدواوين وامثالها الى النور ؟ ! وهل لي ايضا ان القي بسؤال طالما لاحقني ولم اظفر له بجـواب ما مهمة القسم الثقافي بوزارة التهذيب الوطني اذا لم يكن من اوكد مهامه السهر على طبع الانتاج المغربي قديمه وحديثه بعد التنقيب عنه ؟ !

ولم يكد الربع الاول من هذا القرن يشرف على نهايته حتى ظهر في الميدان شباب يفيـض ثـورة وحماسة وغيرة على الوطن والدين ، شـباب لقـن دروسه الوطنية عن مفكرين ومصلحين مغاربة كـان من بينهم من زار الشرق واتصل بابطـال الحركـة السلفية ، والوطنيـة العربية هناك ثم عاد الى بلاده حاملا تلك الرسالة المقدسة امثال الشيخ ابي شعيب الدكالي رحمه الله ، وشيخ الاسلام محمد بن العربي العلوي ، يضاف الى هذا ما ابدته هذه الطائفة مـن الشباب من داب على دراسة الانتاج الشرقي نثره وشعره ، مما ساعد على تفتح قرائحها عـن شعر نضالي واع يمتاز عن سابقه بعمق ادراك المأساة ، وسرعة الاستجابة للاحداث ، واتساع افقه الـذي شمل جانبا لم تكن تخفى خطورته آنـذاك ، ولـم نعلم ان هناك احدا من الطائفـة الاولى تجرا علـى اقتحامه اوالاشارة اليه، هذا الجانب هو الدعوة الى تعليم الفتاة المغربية وتحريرها من قيود الجهل والخمول ، وسيكون بوسعنا ان نرى ان هذه الطائفة لـم تهتـم فقط باسباب المأساة بل بالمأساة ذاتها ، كما سترى قصائد صيغت للتغني بالوطن ، والدعوة الى التفاني في خدمته ، وكان من حسـن حظ هذه الطائفة وعلى راسها الاستاذ علال الفاسي وفريق قليل من الطبقة الاولى ان وجد شعراؤها مجالات لنشر انتاجهـم الشعري في صحافةوطنية مغربية كتبلها ان تخرج الى الوجود في بداية العقد الثالث من القرن الحالي بعد كفاح مرير ، كمجلة السلام التي كان يصدرها بتطوان الاستاذ محمد داود ، ولعلها اول مجلة عربية صدرت بالمغرب ، وكجريدة الاطلس وجريدة الحياة للاستاذ محمد الطنجي ، والمغرب للمرحوم الاديب سعيـد حجي الذي اصدر فيما بعد مجلة الثقافة المغربية . وانت اذا تصفحت احد اعداد مجلة السلام الثمانية فانك لا تجده يخلو من قصائد وطنية من النسق العالي ومن الادب الملتزم قبـل ان تحفل صحف الشـرق بالحديث عن الالتزام ؛ على انك لا تعدم من بينهـا قصائد وجدانية رقيقة سوف تكتشف معا ان مـن بينها نموذجا جديدا بالنسبة للشعر المغربي ، جديدا ليس في معانيه وروحه فحسب بل حتى في شكلـه وبنائه ؛ وقبل ان نقف على هـذا النموذج نخـف للتدليل على ما قلنا من ان هذه الطائفة تمتاز بتناول المأساة ذاتها فنسوق ابياتا من قصيدة الشاعر علال الفاسي « نموت ويحيا الوطن » (4) :

لـــذة المــوت حيـــاة الــوطــن
وفــداه مـــن صـــروف الــزمــن

هـــو بغيـــاي الـتــي اطلبـهـــا
وهــو لــي كــل فـخــار ابتـنــي

انــا لــم اخلــق لنفســي انمــا
انـــا مخلــوق لاجــل الوطـــن

وفي نفس القصيدة يقـول :

ان يكـن غيـري يهـوى احـــدا
فـهـواه العــذب قـــد تيمنـــي

انـــا اهــواه واهـــوى قــومــه
وارى ذلـــك احـلـــى المـنـــن

انـــا مـــا عشـت عليـه واقــف
قــوة الــروح وشغــل البـــدن

---

4) مجلة السلام العدد 2 (1933) — .

ومضــح كــل مــا املكـــه
في هـــواه لـســت في ذاك انـي

واذا مـــت عــلـيــه فــانــا
مطمئـــن لــرضــــاه المثمـــن

فاغسلـوا بالمـاء منـــه بدنــي
واجعلـوا نسـج بنيــه كفنــي

وادفنـونــي في ثـراه وضعــوا
فوق قبـري منه زهـر السوسـن

واكتبـوا فـوق ضريحـي بدمـي
هـا هنـا قبـر شهيـد الوطـن

ولنسق هذا المقطع من قصيدته « الفتـاة المغربية» (5) وفيها دعوة صريحة الى تحريرها من قيود الجهل والخرافات ، ولعلها اول دعوة يسمعها المغرب من هذا القبيل ، ومن لدن احد مواطنيـه :

يا قـوم مـا هاتـي الجهالـة منكم
انـي أرى سيـل التعصـب مفعمـا

البنـت مثـل الطفـل ان اصلحتهـا
صلحـت والا كنـت انـت المجرمـا

ربـوا الفتـاة علـى المعالـي انهـا
ان هـذبت تلـج السبـل الاقومـا

وتزيـد في هــدى الحيـاة لـذاذة
تكسو مباهجهـا الشبـاب المسلمـا

انـا سئمنــا عيشــة مبتــورة
مـا ان نطيـق بهـا نظامـا محكمـا

البيـت عمدتـه الفتـاة فـان تـدم
في الجهل اضحى ذا العمـاد مهدمـا

وهذا المقطع لنفس الشاعـر مـن قصيـدة «الفتاة العربية» (6) وهي تنضح حنانا ورحمة ورقة :

يا مطلع الرحمات يا نبع المحبة والوداد
يا بلسم النفس الحزينة يا مؤاسية الفؤاد
يا مشرقا للنور منه يشع في روح العباد
يا مظهر البسمات في عهد العبوسة والحداد
يا باعث الآمال في قلب به التأميل بـاد
يا مهبط الوحي الذي ما ان يسطر بالمداد
منك استمد الوحي ذو القول البديع المستجاد
هل انت الاجنة من جاء روضتها أفـاد

على اننا سوف لا نستطيع ان نتغاضى عن تلك الاناشيد الحماسية التي اعتقد ان لها كثيرا من الفضل في بث الروح الوطنية في النشء المغربي . وقد كان نتغنى بها في حماس فائر مما يدل اوضح دلالة على ان الشعر المغربي لم يخل منه الميدان في تهييء الثورة على الاوضاع الفاسدة التي فرضها الاستعمار على البلاد ، وانا اذا أثبت هذه الحقيقة لا اعتمد في ذلك على حدس او تخمين ، انما اسجل فقط ما كنت احس به وانا في المدرسة اتغنى مع زملائي باحد الاناشيد الوطنية في حماس كنت اعتقد معه انني سائر الى ميدان الكفاح منشدا :

في سبيـل النجــاح
وبلـــوغ المـــرام

لا تـمــل الكـفــاح
او تـــذوق الحمـــام

سعينـــا لازم
ليـــس فيـــه انقطـــاع

امـــرنـــا عـــازم
كيـف نخشـى الضبـــاع

هـــكـذا المـغـرب
بـبـنـيـه يـســود

شعبنـــا نعليـــه

والنشيد (7) للاستاذ عبد الله كنون احد شعراء الطائفة الثانية ، وصاحب قصيدة «آلام واصلاح» (8) التي يقول فيهـا :

ويلـي وويـل جماعـة الاحـرار
ماذا يلاقـي الشعب من اضـرار

رباه مـا هـذا الـذي اودى بنـا
واقتـادنـا لمواطـن الاعصـار

حتـى بقينـا لا نحرك ساكنـا
نـأوى الى الاجداث والاحجار

آه وليــس تـأوهـي بملطـف
من وجـد قلبـي السيء التذكار

يوم النهـوض متـى اراك بافقنـا
متبلجــا كتبلـج الاقـمـار

انـي اليـك لشـائـق متطلـع
ارجـوك بـالاصـال والابكـار

وقد احيى الله الاستاذ كنون حتى رأى بـأم عينيه يوم النهوض متبلجا كتبلج الاقمار ، فهل ترى ذكر بيته هذا الخالد لان اطل يوم النهوض ؟

---

5) نفس المجلة العدد 5 السنة الاولى ص 35
6) نفس المجلة العدد الرابع السنة الاولى يناير 1934 ص 43 ـ . 7) العدد الرابع من مجلة السلام
8) العدد الثاني من مجلة السلام .

ويتأتى لنا الآن ان نقف على النموذج الذي اشرنا اليه سابقا ، والذي قلنا انه جديد على الشعر المغربي في معناه وروحه وبنائه . وهو للشاعر علال الفاسي الذي تدعونا الامانة والانصاف الادبيين الى ان نؤكد انه شاعر الوطنية المغربية الصامد في الميدان. وقصائده الوطنية المنشورة في مختلف الجرائد والمجلات الجزائرية والمغربية « كالشهاب » الجزائري ومجلة السلام وغيرهما شاهدة على ذلك ، وسوف تتدعم هذه الشهادة عند ما يتم صدور ديوان الاستاذ الكبير وقد سمعنا انه قريب الصدور . فهل سنظفر فيه بنماذج اخرى للنموذج الذي سنسوقه فيسوغ لنا أن تدعم ما سنذهب اليه من ان علالا كان الشاعر المجدد الاول للشعر المغربي الحديث ؟ والى ان يصدر الديوان نسوق قصيدة « اغرودة مشتاق »(9)

لا ترقبيني في الحديقة
تحت سقف الياسمين

في مجلس كنا به
نلتذ بالقرب المكين

لا ترتجيني انني
لا استطيع زيارتك

«فابقين» وحدك واسمحي
لي ان اسيب وحدتك

بيني وبينك اربع
ومفاوز تنئي اللقاء

ما بين بحر مائج
وبعيد صحراء خلاء

يا ليتني لو استطيع
تكيف الجني الصغير
فاعود مثل حمامة
ولدي اجنحة تطير

او اغتدي كهباءة
تسري اليك مع النسيم

وأمس خدك خلسة
واكون عندك كالمقيم

لكنني اواه ما ان استطيع تكيفا
اني اكاد لاجل بينك أن اموت تلهفا
لا ترقبيني في الحديقة تحت سقف الياسمين

واراهن على ان القصيدة لو نشرت غفلا من اسم صاحبها في هذه الاونة ، وبعد مرور ما يقرب من ثلاثين سنة على نظمها لصفق هواة التجديد وقالوا انها احدى رائعات صاحب « طفولة نهد » شاعر المراة في الشعر العربي الحديث نزار قباني .

انها لشاعر مغربي يعيش في بلد لا يحفل اهله بالشعراء ، ولا يحفل ادباؤه بابراز قيمة هؤلاء الشعراء.

والذي يطلع على القصيدة بكاملها يشعر بشيء جديد على الشعر المغربي ، هذه الوحدة المتماسكة في ابياتها فلا تكاد تحذف بيتا واحد منها حتى تحس بانك افسدتها كما يطربك هذا الترجيع الجميل للبيت .

لا ترقبيني في الحديقة تحت سقف الياسمين

وهو ترجيع يجسم هذه الحسرة التي تعتمل في نفس الشاعر لكونه لا يستطيع زيارة الحبيبة لكنه مع ذلك يلتمس له لقاء معها لقاء صوفيا .

فهناك قومي وانظري للبدر في خطواته
فانا سانظره هنا واراك في مرآته

يتبع

(9) تطالع القصيدة كاملة في العدد الثالث من مجلة السلام السنة الاولى دجنبر 1933

العدد الماضي في الميزان

تكرم رئيس التحرير بدعوتي للتعليق على العدد السادس من مجلة (دعوة الحق) فلم يسعني الا الامتثال لما للاستاذ الصحراوي في نفسي من مكانة وتقدير لانتاجه الادبي القيم، وجهوده المباركة في سبيل احياء الحركة الادبية والفكرية في هذه البلاد، ولما لمجلة (دعوة الحق) في نفس كل من يغار على الحركة الفكرية في هذه الديار من مكانة رفيعة عزيزة، لانها المجلة التي ترفع راس المغرب في الاوساط الادبية في الداخل والخارج، والتي تعمل دائبة على بعث الحرارة والحركة والحياة في وسطنا الادبي الذي يشكو الركود والجمود، وقد لمست بنفسي المكانة الممتازة التي تتمتع بها دعوة الحق في الاوساط الادبية في العالم العربي، بمناسبة مشاركتي في الدورة الرابعة لمؤتمر الادباء العرب بالكويت ورحلتي في البلاد العربية، وسمعت من جميع الذين عرفوا (دعوة الحق) اطيب التنويه، وتمنيت لو كان انتشارها وتوزيعها اوسع مما هو عليه الآن لانها خير سفارة روحية للمغرب الجديد، واجمل مظهر من مظاهر الحركة الفكرية والادبية في هذه البلاد.

وبعد فانني اجد في نفسي الحيرة التي تحدث عنها الذين تقدوا الاعداد السابقة من مجلة (دعوة الحق) فامامي تسع وثمانون صفحة حافلة بشتى الموضوعات والابحاث، فيها الشعر، والنثر، وفيها البحث الادبي، والقصة، والمقالة، والنقد، وفيها موضوعات اشبعها اصحابها درسا وبحثا، ولذلك فان التعليق في هذه الحالة وفي بضع صفحات لا يمكن ان يكون الا خواطر يثيرها الموضوع المقروء، او ملحوظات تسترعي انتباه القارىء الناقد عند قراءته للموضوع او للاثر الادبي الذي اشتمل عليه العدد السادس.

وقد افتتح العدد السادس بكلمة العدد ((دور المثقفين)) وهذه الكلمة تحدد اهداف المجلة بوضوح كامل، فهي تهيب بالمثقف باعتباره مواطنا قبل كل شيء، مسؤولا عن ان يضع خبرته كلها وعلمه ومواهبه رهن اشارة وطنه، ومسؤولا عن ان يساهم بكل ذلك في تفتيق الوعي الوطني بلاده وتثقيفه وتقويمه وفي تقدم وطنه وازدهاره ورفاهيته، وتبدي المجلة استعدادها للترحيب بكل انتاج يعالج قضايانا ومشاكلنا الوطنية والقومية بتجرد ونزاهة.

فالمجلة ليست مجلة سياسية لمناصرة فريق على فريق، وليست مجلة فنية شعارها الفن للفن، **ولكنها مجلة ادبية وطنية**، تريد ان تكون مظهرا للانتاج الفكري الرفيع الذي يخدم الاهداف القومية ويعالج القضايا والمشاكل الوطنية والقومية، وبالاخص في الميدان الفكري والروحي بكل تجرد ونزاهة.

وهذه خطة رشيدة نسأل الله تعالى ان توفق مجلتنا في انتهاجها، كما انها اهابة بالمثقفين والادباء لينزلوا عن ابراجهم العاجية، ويواجهوا مشاكل البلاد، ويعالجوا القضايا الروحية والفكرية والاجتماعية، ويوجهوا اليها الانظار ويحاولوا ان يبحثوا لها عن الحلول الصالحة.

الاستاذ: محمد عزيمان

والواقع ان المغرب الجديد يعاني أزمات روحية متعددة نتيجة للتربية الاستعمارية التي فرضت عليه ايام الحماية، والتي لم يتخلص من رواسبها الى الآن.

فالروح الدينية ضعيفة وبالاخص بين الشباب، والقيم المعنوية والروحية الاسلامية مجهولة او شبه مجهولة بين الاجيال التي نشأت في احضان الثقافات الاجنبية، سواء اكانت من طبقة المتعلمين او من طبقة العمال الذين تأثروا بافكار ومذاهب مستوردة وجدت نفوسهم فارغة من تعاليم الاسلام ومبادئه فعششت فيها وأفسدتها.

واللغة العربية غريبة منزوية منكمشة على نفسها.

وضعف الثقافة القومية وجهل اللغة العربية والتأثر بالثقافات الاجنبية، كل ذلك انشا جيلا ينظر الى تراثه القومي والى دينه ولغته وثقافته وقوميته بنفس النظرة التي ينظر بها الذين علموه. الثقافة

المسيطرة اجنبية ، ولغتنا الادارية اجنبية ، وعطلنا الرسمية والمدرسية اجنبية ، واسماء شوارعنا اجنبية ، واخلاق بعض شبابنا وفتياتنا تقليد للرذائل الأجنبية . تعليمنا حائر مضطرب يعاني كثيرا من الفوضى والارتجال .

صلاتنا بالعالم العربي وبالحركة الفكرية في العالم العربي محاطة بكثير من التحفظ والارتياب بينما عقولنا واداراتنا ومرافقنا مفتوحة على مصراعيها امام الغزو الاجنبي بدون حيطة ولا حذر .

علماء الدين ورجال الثقافة الاسلامية في عزلتهم وانكماشهم على انفسهم يتألمون ويشتكون ، ولكنهم لا يدرون ما يفعلون ، تعوزهم أساليب الجهود وحماس الايمان لاداء رسالتهم في توجيه الامة وتثقيفها وتعريفها بالقيم الاسلامية وبتراثها الروحي والفكري حتى تسترد أيمانها بنفسه وبثقافتها وبشخصيتها .

الحماس الوطني ـ الذي بهر العالم وحرر المغرب من الاستعمار وصان العرش وبعث الرعب والهيبة في نفوس الاعداء ـ في فتور مستمر ، لان المهاترات السياسية والمنافسات الشخصية شغلتنا عن اذكاء ذلك الحماس الرائع والمثالية النبيلة الذين كنا نكافح بهما الاستعمار وعن توجيههما في طريق البناء والانشاء ، فخبت الشعلة وتسرب اليأس والفتور وعدم المبالاة الى النفوس .

بلادنا غنية ونحن فقراء ، تقتلنا البطالة والحاجة والجوع والمرض .

هذا نموذج من مشاكلنا التي ينبغي ان يواجهها رجال العلم والفكر فينا ، وان يعالجوها بالدرس والبحث عن الحلول ، وذلك ما تدعو المجلة المثقفين الى القيام به وما تعرض عليهم صفحاتها لنشره والصدع به .

وقد اعطتنا خير مثال في نفس العدد السادس لمعالجة هذه المشاكل بالمقال القيم الذي كتبه **الاستاذ ادريس الكتاني** تحت عنوان « **لغتنا المحتلة هل سنحررها** »

وقد تعرض **الاستاذ الكتاني** في هذا المقال لموضوع نستغرب لكوننا لا نزال في حاجة الى طرقه بعد ثلاث سنوات من الاستقلال ، وهو موضوع الاسماء الاجنبية للشوارع المغربية . لقد ماتت كرامتنا وشعورنا القومي بحكم الالف والعادة حتى لم نعد نشمئز من هذه الاسماء الاستعمارية التي تسمى بها شوارعنا .

في تطوان مثلا شارع الجنرال (الفاو) وهو المقيم العام الاسباني الاول، وشارع (الكردينال سيسنيروس) وهو الذي نكل بالمسلمين في الاندلس والحق بهم انواع المهانة والاذى ، وشارع (باديا العباسي) و(المورويسكاينو) ، وهما جاسوسان عاشا في المغرب قبل الحماية للتجسس على عورات البلاد وتقديم المعلومات اللازمة لتسهيل فتحها واحتلالها ، الى امثال ذلك من هذه الاسماء التي يعتبر من قلة الذوق ان تطلق على شوارع مغربية حتى في ايام الحماية ، فكيف نقرها ونقبلها ونعتبرها شيئا عاديا بعد الاستقلال .

اننا لا نعادي الاسماء الاجنبية من باب التعصب والانكماش على انفسنا ، فنحن نرحب باسماء العلماء ورجال الفن الذين خدموا الانسانية من اي جنس كانوا ونقبل اسم (باستور) و(فلمنج) و(امنويل فايا) و(اليونيسكو) وشارع (الامم المتحدة) ، كما نقبل ان نسمي بعض شوارعنا باسماء غرناطة وقرطبة واشبيلية ، ولكن الشيء الذي لا يقبله ذوق ولا ترضاه كرامة ان تطلق على شوارعنا اسماء الذين حاربونا واذلونا واعتدوا على بلادنا وحاربوا وطننا ومقدساتنا كما لا نقبل ان تهمل اسماء ملوكنا وابطالنا وعلمائنا وادبائنا لتحل محلها اسماء اجنبية غريبة .

وتعرض الاستاذ الكتاني لموضوع التعريب في الادارة والتعليم . والمؤلم ان تعريب الادارة ايام الحماية كان احسن مما هو عليه ايام الاستقلال ، لقد كان في امكان ارباب المصالح من المغاربة ان يوجهوا بعض اوراقهم الى الادارات بالعربية لانه كان في تلك الادارات تراجمة يحولونها الى الفرنسية والاسبانية ، فلما اعلن الاستقلال الغي التراجمة واصبحت الادارات المغربية ترد الى المواطنين في بعض الاحيان بعض اوراقهم الرسمية المكتوبة بالعربية وتفرض عليهم ان يوجهوها بالفرنسية .

لقد اخبرني احد اساتذة التعليم الثانوي ان الطلبة ايام الحماية كانوا اشد اقبالا على تعلم اللغة العربية بدافع الروح الوطنية اولا ، ولايمانهم بان المستقبل للغة العربية ، فلما جاء الاستقلال وراى التلاميذ ان العربية لم تزدد الا غربة وانعزالا قل اهتمامهم بها واقبالهم على دروسها .

ان هذه الظاهرة تجرح الشعور الوطني وتجعل الشعب حائرا لا يفهم كيف يتفق هذا مع الاستقلال ، وتوقفنا موقفا مخجلا امام اخواننا في البلاد العربية .

انك لا تجد في البلاد العربية الا اسماء ابطال العرب وعباقرتهم وذكريات امجادهم تطلق على الشوارع والفنادق والمطاعم والمسارح .

لقد لفتت نظرنا في دمشق سيارة كبيرة من سيارات المدارس تحمل اسم (جميلة بوحيرد) فذكر لنا مرافقنا ان هذه سيارة مدرسة من المدارس الفرنسية المؤممة ، كانت تسمى مدرسة (جان دارك) فقاطعها التلاميذ حتى غيرت اسمها وأصبحت مدرسة جميلة بوحيرد .

ان مشكلة تعريب التعليم وتعريب الادارة من مشاكلنا الوطنية الكبرى المستعجلة ، واني اقترح ان تؤلف لجنة وطنية تضع برنامجا رسميا سريعا مدروسا دراسة دقيقة لتعريب الادارة ولتعريب التعليم في مراحل محدودة ، ولازالة مظاهر الاستعمار الروحي من حياتنا العامة في اسماء الشوارع وفي ايام العطل الرسمية في الادارات والمدارس وغير ذلك من نواحي الحياة .

*

واذا كان مقال الاستاذ ادريس الكتاني نموذجا لمعالجة المشاكل القومية ، فان بحث **الاستاذ محمد الفاسي عن ابن عبد الملك المراكشي** نموذج لاحياء تراثنا الفكري والتعريف بعلمائنا وادبائنا واظهار الشخصية المغربية داخل نطاق التراث الفكري العربي الاسلامي ، وهي ناحية من أهم النواحي التي تتوقف عليها نهضتنا الفكرية الحديثة . **وكثيرا ما نعيب على الشرقيين جهلهم ببلادنا وبتراثنا الفكري والادبي ، وبما كان لنا من نصيب في خدمة الثقافة العربية المشتركة ، غير انه يجب الا ننسى ان نصيبا كبيرا من اللوم في ذلك يقع علينا لتقصيرنا في التعريف ببلادنا وبتراثنا . وان بحث سيدي العابد الفاسي ، وابحاث الاساتذة سيدي عبد الله كنون وسيدي محمد الفاسي ، والسيد عبد العزيز بن عبد الله ، من خير النماذج في هذا الباب .**

ومقال **الدكتور صلاح المنجد « البلاد المباركة »** يبين الاثر الذي تتركه بلادنا في نفس زوارنا من اخواننا العرب ، انهم يكتشفون عالما مجهولا يفتنهم بجمال طبيعته وبمحافظته على حضارة عريقة لها طابعها الخاص في فن البناء والعمارة وفي فن الموسيقى وفي الصناعات الشعبية ، وفي الوان الطهي ومظاهر الحضارة المنزلية ، وفيما يحتفظ به من التراث العلمي والمخطوطات النادرة . **وكل هذه نواحي من واجبنا ان نعنى بدرسها واحيائها والتعريف بها لانها تكون جزءا من شخصيتنا القومية . ولاننا نستطيع ان نبعث فيها الحياة من جديد ، فنطبع مدننا ضمن شروط الحياة العصرية بطابع الفن المغربي في البناء ، ونولد من الموسيقى الاندلسية موسيقى مغربية جديدة تكون لنا شخصيتنا في ميدان الموسيقى العالمية ، ونجعل من فننا الشعبي بعد صقله وتهذيبه عنصرا من عناصر ثقافتنا ودعاية واسعة لبلادنا في الخارج .**

وقد لاحظ الاستاذ (المنجد) شبها بين الموسيقى الاندلسية وبين الموسيقى الكنسية وظن ان ذلك من تأثير نصارى الاندلس ، ولكن من الباحثين من يجعل الموسيقى الكنسية هي التي تأثرت بالموسيقى الاندلسية وهذا موضوع جدير بعناية الباحثين والمؤرخين .

*

اما البحث القيم الذي القاه **(الدكتور شكري فيصل)** في مؤتمر ادباء العرب بالكويت عن البطولة في الادب العربي منذ سقوط بغداد حتى فجر النهضة الحديثة ، فهو بحث استحق بكل جدارة اعجاب المؤتمرين وثناءهم ، لما امتاز به من الدقة والاصالة وبراعة العرض وجمال الاسلوب .

*

واما مقال الاستاذ المهدي البرجالي «الاوضاع الاسلامية في افريقية » فهو بحث قيم ومن واجبنا اليوم ان نهتم بالقارة الافريقية التي تتأهب للتحرر الكامل ، وان المغرب الجديد ليستطيع ان يقوم في الحاضر بدور هام في ميدان التعاون مع شقيقاته من الدول الافريقية كما فعل في الماضي في نشر الاسلام والثقافة العربية والتعاون في ميادين السياسة والاقتصاد ، ولذلك كانت الموضوعات الافريقية من موضوعات الساعة وكان بحث الاستاذ البرجالي من الابحاث النافعة في هذا الموضوع .

غير اني كنت افضل ان يتجنب الاستاذ بعض الالفاظ التي تبدو غريبة على الذوق العربي مثل **«العقائدية»** في قوله : **(الاتجاه الذي تتخذه العقائدية الدينية)** وكان يكفي ان يقول **العقيدة الدينية** . ومثل ذلك **«الطقوسية»** في قوله : **(لما يسود التفكير الوثني الافريقي من روح الطقوسية الدينية)** وكان يكفي ان يقول **الطقوس** . ومثل ذلك ترجمته لكلمة **Sectarisme بالتحزبية** ، ولعل **«الطرقية»** اقرب ومثل **«الانتشارية التلقائية»** في **الانتشار التلقائي** . ومثل **الحؤول** في الحيلولة . كما انني لا استسيغ كلمة **المعطيات** ترجمة لكلمة **Domees** الفرنسية التي كثر استعمالها في الايام الاخيرة : **(وان دراسة تفصيلية للمعطيات النظرية)** والتي نستطيع ان نستعمل بدلها في هذا المقام **(المبادىء النظرية)** او **(الاسس النظرية)** .

*

ونتنقل الى بحث الصديق **عبد السلام الهراس (المقياس الديني والخلقي في النقد عند العرب)** ولا يسعني الا ان اكبر المجهود الذي بذله الباحث في جمع مادة موضوعه المبعثرة في شتى المراجع ؛ **واذا كان الاستاذ الهراس يريد ان يقرر ان كتب**

النقد الادبي عند العرب لم تعتبر المقياس الديني والخلقي اساسا للحكم على قيمة الاثر الادبي ، متأثرة في ذلك بروح الادب الجاهلي اكثر مما تأثرت بروح الاسلام ، فهو رأي قد يقبل في دائرة تقرير واقع تاريخي ، ولكن هذا لا يعني اننا نقبل المبدأ ونؤيده» فالادب الحق نزوع نحو الكمال وشوق روحي الى الخير والجمال في صورة فنية رائعة ، وقيمة الاثر الادبي تزداد بمقدار ما يسمو بالانسانية نحو المثل الاعلى ، وبمقدار ما يكون تعبيرا صادقا عن انبل المشاعر واسمى المطامح ، كما انني لا اتفق مع الاستاذ الهراس فيما ذهب اليه « من اننا اذا اردنا ان نجعل من الشعر وسيلة لاعلاء العواطف وتهذيبها ... فيجب علينا ان نكون قبل كل شيء المجتمع الصالح» بل انني اعتبر الاديب او الشاعر رائدا وهاديا للمجتمع الصالح فنحن في حاجة الى ادباء وشعراء يسمون بروح المجتمع الى مراتب الخير والكمال .

*

ويثير الاستاذ محمد محمود مقلد موضوع القوالب الشعرية وهو موضوع كثر فيه الجدل بين انصار القالب الشعري العربي الاصيل باوزانه وتفاعيله وقوافيه ، وبين المجددين المتحررين الذين لا يتقيدون بقيد . ولا ارى ان نضيف الى قوالبنا الشعرية الاصيلة قوالب جديدة يخرج فيها الشعر عن البحور المألوفة ، فقد فعل العرب ذلك قديما في الموشحات ، ويتحرر من التزام القافية الواحدة في مجموع القصيدة ، ويحرص على وحدة القصيدة لا على وحدة البيت ، ويخرج عن حدود الاغراض المألوفة الى ميدان الحياة الواسع ليعبر عن خلجات النفوس واشواق الارواح ويتجاوب مع الحياة تجاوبا كاملا . على أن ذلك كله في حدود الاسلوب العربي السليم ، وعلى ان يحتفظ الشعر بنوع من الموسيقى لا يمكن ان يكون الشعر بدونها شعرا وانما هو نثر مفكك وهذيان لا يستسيغه فن ولا ذوق .

*

وفي العدد السادس نماذج من الشعر المغربي المحافظ على القوالب الشعرية العربية ، كقصيدة العلامة الاديب السيد محمد المختار السوسي « كانك من كل القلوب مكون » وكم نتمنى ان ينشر عالمنا الاديب مكنونات شعره التي لا يطلع عليها الا الخواص. وكقصيدة الاستاذ عبد القادر حسن التي القاها في مهرجان الشعر الذي نظم بمناسبة انعقاد الدورة الرابعة لمؤتمر ادباء العرب في الكويت ، والشاعر عبد القادر حسن له قصائد ومقطوعات عامرة بالحياة، وكنت افضل لو ان شاعرنا اختار لهذه القصيدة التي حيا بها المؤتمر بحرا آخر ، فقد أحسست وانا اصغي الى القائها ان موسيقاها لم تكن منسجمة مع جو الحفل الذي القيت فيه .

وفي العدد السادس كذلك نماذج من الشعر الجديد ، فقصيدة البقالي جميلة بموسيقاها عميقة بروحها وفلسفتها . وقصيدة (طيف) للمعداوي جميلة باطياف اخيلتها .

وفي العدد السادس قصتان قصيرتان «محاولة» لمحمد برادة و (بطاقة توصية) لعبد الجبار السحيمي، وهي قطعة فنية مليئة بالصدق والحياة في اسلوب جميل رصين .

ويظهر ان القصة المغربية قد اخذت تشق طريقها ، وكم امامها من ميادين واسعة في تصوير الطبيعة المغربية والمجتمع المغربي وسبر اغوار الروح المغربية وتبليغ رسالة الاديب الى مختلف الاوساط .

اما (الصباغ) فقد غمره (الضباب) في نوع من الصوفية الشعرية ، واراد ان يدخل بنا في تجربة نفسية طريفة ، واعترف بانني لم استطع مجاراته فيها .

واريد ان اختم هذا التعليق بالاشارة لمحاولة الاستاذ محمد الامري المصمودي لدراسة (شعرنا المعاصر) وهي دراسة واجبة لتسجيل نهضتنا الشعرية وتقويمها والتعريف بها في الداخل والخارج . وبما انني لم اقرأ من هذا البحث القيم الا الجزء المنشور في العدد السادس فانني لا استطيع ان اعلق عليه باكثر من ان اتمنى ان يوفق الله صاحبه للقيام به على احسن وجه .



❊ سيصدر معهد مولاي الحسن للابحاث بتطوان الجزء الاول من كتاب «تاريخ تطوان» المطول للمؤرخ المعروف الاستاذ محمد داود الذي سبق ان نشر مختصرا لتاريخ تطوان وفاز بجائزة المعهد .

❊ يشتغل الاستاذ السيد عبد الهادي المنوني فى كتاب عن « مظاهر يقظة المغرب الحديث » . وستنشر مجلة « تطوان » فى عددها الثاني المائل للطبع فصلا من هذا الكتاب .

❊ اهدت الجمهورية العربية المتحدة الى كلية الحقوق ، ومحكمة الاستيناف المغربيتين هدية قيمة تتضمن مجموعة من المراجع القانونية العربية تبلغ قيمتها مليون ونصف فرنك .

❊ وجهت اخيرا ادارة الشبيبة والرياضة بعثة فنية الى تافراوت ونواحيها لتسجيل بعض الاغاني البدوية والقروية ، واصدار فلم يمثل الوانا من الفلكور الى جانب طرق الحياة الاقليمية الخاصة بتلك النواحي . وقد كان ضمن البعثة اخصائيون فى فى التنقيب عن الآثار . وخلال اقامتهم استطاعوا ان يعثروا على آثار قديمة جدا سيكون لاكتشافها صدى بعيد فى توضيح معالم فترة من تاريخ المغرب القديم ترجع الى ما قبل الميلاد بعدة آلاف من السنين . ومن بينها كتابات منقوشة على الاحجار قد تفيد فى الكشف عن تاريخ وتطور الكتابة بالمغرب . وستقيم ادارة الشبيبة والرياضة معرضا لنتائج ابحاث واعمال هذه البعثة بعد ان يتم تحميض واخراج افلامها ودراسة مكتشفاتها .

❊ وقع العثور فى افريقيا السوداء فى التوغو وغينيا ونيجيريا على مجموع تماثيل يرجع عهدها الى القرن الثالث عشر للميلاد وهي من صنع شعب « اليوروا » الافريقي . وتوجد هذه المكتشفات حاليا معروضة فى متحف « الانسان » بباريس .

❊ ذكر الدكتور عبد الرحمن بدوي انه توجد 3500 غلطة لغوية ونحوية ومطبعية وعلمية فى كتاب « تخليص الابريز فى تلخيص باريس » للمرحوم رفاعه الطهطاوي الذي نشره مهدي علام واحمد بدوي وانور لوقا .

❊ تعود للظهور من جديد فى القاهرة مجلة « الغد » لرئيس تحريرها الاستاذ حسن فؤاد .

❊ احتفل اخيرا بالاقليم المصري بالذكرى الثالثة لوفاة المرحوم سليمان نجيب .

❊ تفكر وزارة الارشاد القومي فى الاقليم المصري فى تكوين فرقة مسرحية جديدة تضم العناصر الممتازة فى فرقة المسرح الشعبي ، وتخلق جوا من المنافسة مع الفرقة القومية .

❊ لاول مرة فى تاريخ الجامعات الشرقية تناقش رسالة لنيل الدكتوراه فى موضوع « بنات الليل » وقد قدمها البكباشي محمد نيازي حناتة بعد ما قضى اثنى عشر عاما فى تحضيرها ، وجمع المعلومات عنها بعد ما عاش موضوعها فى اعشاش الليل .

❊ تستعد دار العلوم بالقاهرة للانتقال من مكانها الحالي الى مكان آخر يكون اقرب الى جامعة القاهرة وقد ظلت دار العلوم فى مكانها الذي ستتركه اكثر من نصف قرن .

❊ اهدت مكتبة لينين السوفياتية خمسين مجلدا علميا الى جامعة القاهرة وسترد الجامعة الهدية بخمسين مجلدا عربيا .

❊ قدم المسرح القومي بالقاهرة مسرحية فى هذا الموسم بعنوان « قهوة الملوك » .

❊ كتب الشاعر عبد الفتاح مصطفى قصة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فى ثلاثين حلقة لتذاع فى شهر رمضان المعظم .

❊ منح رئيس الجمهورية العربية المتحدة وسام الجمهورية من الطبقة الثانية للاديب المعروف محمد فريد ابو حديد تقديرا لخدماته . وبهذه المناسبة اقام له وزير التربية المصري حفلا استدعى اليه كبار رجال القلم فى مصر .

❊ صدر قرار عن حكومة الجمهورية العربية المتحدة بانشاء وتنظيم كراسي الاستاذية فى جامعات

الجمهورية العربية المتحدة . ويقضي هذا القرار بانشاء 18 كرسيا جديدا في جامعة القاهرة و97 في في جامعة دمشق و26 في جامعة الاسكندرية و23 في في جامعة عين شمس و3 في جامعة اسيوط .

* نظم المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة مسابقة ادبية عن القصة خصص لها ثلاث جوائز . الاولى قيمتها 1.600.000 ، وقيمة الثانية 600.000 فرنك ، وقيمة الثالثة 300 الف فرنك . وموضوع المسابقة هو اكمال قصة « في سبيل الحرية » التي بدأها الرئيس جمال في ماي 1935

* اصدر وزير الثقافة والارشاد بالاقليم الجنوبي قرارا بانشاء معهد للسينما في اول العام الدراسي المقبل . وتشمل برامج دراسته جميع الفنون السينمائية مثل التمثيل والاخراج والديكور والصوت وغيرها .

* صدرت في مصر الكتب الآتية : « اصول الرياضيات » للفيلسوف المعاصر برتراند وترجمة الدكتورين محمد مرسي احمد واحمد فؤاد الاهواني « الرادار » بقلم احمد كمال « الهندسة الكهربائية » للمهندس عبد العزيز جودت « اسلوب جديد في الزراعة » بقلم ت. س. مالتسيف وترجمة احمد شكري سالم « شعاع الامل » وهو ديوان شعر لصالح الاحمد العثيمين « الاحرار » مسرحية كتبها سدني كنجزلي وترجمها عبد الحليم الشلاوي « يوميات مطلقة » لمنصور جنينة المحامي « مقدمة الاقتصاد في الدولة التعاونية » للمهندس محمد مصطفى منير « الاجنحة البيضاء » لجليلة رضا « حادث شرف » للدكتور يوسف ادريس « الاسلام والفلسفات المعاصرة » للدكتور محمد البهي « اللزوميات للمعري » تحقيق ابراهيم الابياري « تاريخ الطباعة في الشرق العربي » للدكتور خليل صابات « المسيح عيسى بن مريم » لعبد الحميد جودة السحار « الخوارج والشيعة » للمستشرق الالماني فلهاوز وترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي « الجبل الملتهب » ملحمة شعرية لجورجي كامل « فهرس الجبرتي » للدكتور جاستون منيب والقائمقام عبد الرحمن زكي « مكبث » لشكسبير ، طبعة جديدة ترجمة المرحوم خليل مطران «رفاعه رافع الطهطاوي» للدكتور جمال الدين الشيال « ماركوبولو » لابراهيم اسعد « تراث فارس » الفه لجنة من العلماء المختصين باشراف المستشرق ابري « عمر بن الخطاب » لابي بكر زكري « من امثال العرب » لعبد الغني حسن وعبد السلام العشري « المذاهب الاسلامية » للشيخ محمد ابو زهرة تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية » للدكتور احمد محمود الساداتي « لعبة الموت » لتوفيق الحكيم « النبي الانسان ومقالات اخرى » لمحمود تيمور « الحياة الشعبية في رسوم ناجي » لسعد الخادم .

* تصدر في سوريا قريبا مجموعة شعرية لعلي الزيبق بعنوان « النبعة اليتيمة » .

* توفي في دمشق الصحافي المشهور مفيد الحسيني الذي كان من اركان الصحافة السورية ، وكان مديرا لوكالة الانباء العربية بدمشق .

* عرب الشاعر السوري الدكتور بديع حقي مسرحية « شيترا » لشاعر الهند رابندرانات طاغور وصدرت حديثا .

* القومية ليست مرحلة » اسم كتاب صدر اخيرا في بيروت للدكتور كمال يوسف الحاج .

* توفي في لبنان علم من اعلام الادب فيه وهو ميشال ابو شهلا صاحب مجلة « الجمهور »

* سيصدر في لبنان الشاعر الكبير بشارة الخوري المعروف بالاخطل الصغير جريدته « البرق » التي توقفت عن الصدور منذ عشرين سنة .

* اصدر الشاعر محمد كامل شعيب كتابا جديدا بعنوان « الدهرية والاسلام » يتضمن فصولا في علم الحديث .

* تصدر مجلة « شربل » اللبنانية سلسلة مؤلفات بالفرنسية باقلام كتاب لبنانيين تحت عنوان « لبنان الروحي » مزينة بالرسوم الملونة .

* مثل للطبع في لبنان ديوان للشاعر امين تقي الدين يشمل مختارات من شعره . وسيصدر بمقدمة دراسية شعرية للشاعرين امين نخلة ، وسعيد عقل بالاضافة الى لمحة تاريخية عن حياة صاحب الديوان بقلم الصحافي المعروف اسعد عقل .

* قدم للطبع شقيق فيلسوف الفريكة الاستاذ البرت الريحاني مجموعة رسائل شقيقه امين .

* نقل الى العربية الاستاذ انيس زكي حسن كتاب « الانسان الصرصار » لدوستويفسكي وصدر عن دار العلم للملايين ، كما صدر عن نفس الدار كتاب « دفاع عن الاسلام » للمستشرقة الايطالية لورا فاغليري الذي نقله الى العربية منير البعلبكي .

* صدر اخيرا في بيروت للناقد ابي محمد الاستاذ مارون عبود كتاب بعنوان « قبل انفجار البركان » .

* « الشلال » هو اسم لديوان جديد سيصدر للشاعر الكبير الصافي النجفي .

* تم تعيين الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي مديرا للتاليف والترجمة والنشر فى وزارة التربية العراقية .

* يشير التقرير السنوي لوزارة المعارف العراقية ان عدد طالبات المدارس الثانوية والمهنية ودور المعلمات والدورات التربوية والكليات والمعاهد العالية قد بلغ 13015 طالبة : 10558 طالبة فى المدارس الثانوية . 944 طالبة فى المدارس المهنية . 382 طالبة فى مدارس المعلمات . 1031 طالبة فى المدارس العالية .

* اصدر الشاعر المعروف الاستاذ ابراهيم العريض من البحرين كتابا بعنوان « من الشعر الحديث » جمع فيه قصائد عديدة لشعراء البلاد العربية المعروفين .

* اعلنت السفارة البولونية بدلهي الجديدة ان سكان « وارسا » قد اطلقوا على احد شوارعهم اسم رابندرانات طاغور .

* وضع رئيس حزب المؤتمر الوطني الهندي السيد دهبير الحجر الاساسي بقاعة تذكارية اسست تخليدا لذكرى غاندي .

* تفتح جامعة دلهي كلية للموسيقى فى يوليو من العام القادم . وقد صرح عميد الجامعة للصحفيين بان كلية الموسيقيين ستعنى بتدريب الموسيقى الهندية والغربية .

* من المتوقع ان ينشا مركز ثقافي دولي فى دلهي الجديدة على طراز الخطوط التي انشيء عليها المركز الدولي فى طوكيو . والهدف الرئيسي من انشاء هذا المركز هو انعاش التفاهم والوئام بين مختلف الطوائف .

* تبدا الدراسات بلغتي تامل وتلجو فى جامعة علي كرهة بالهند ابتداء من العام القادم . وقد صرح نائب عميد الجامعة الاستاذ بشير حسن زيدي بان حكومة الهند ولجنة المنح الجامعية قد وافقتا على الاقتراح . واضاف قائلا : ان الجامعة تنوي دعوة الاساتذة الادباء لالقاء محاضرات بلغتي تامل وتلجو حول الثقافة اللغوية .

* اصدرت حكومة الصين الشعبية امرا عاما لجميع مواطنيها يلزمهم بان يكتب كل واحد منهم شيئا على قدر استطاعته واستعداده وبحسب ميوله الفطرية ، ويشمل هذا القرار حتى النساء والاطفال منهم وينتهي اجل تقديم انتاجهم فى اول اكتوبر المقبل الذي هو يوم الاحتفال بالذكرى الوطنية . وقد اعلنت حكومة الصين ان انتاج المواطنين للذكرى الماضية كان زاخرا ، كما يعتبر تقدما عظيما فى الحقل الادبي والفني بحيث ان سكان مقاطعة كيانكسو وحدهم قدموا مائة مليون قصيدة من بينها توجد قصائد شعبية . وكل هذه القصائد صدرت فى كتاب مطبوع .

* ذكر خبراء الفنون اليابانية ان احدا التماثيل البرونزية النصفية الذي عثر عليه اخيرا فى قرية يابانية جبلية دون ان يعرف صاحبه هو من صنع النحات الفرنسي رودان . وقد عثر على التمثال بقال .

* ستسافر المغنية ماريان اندرسون عضو الوفد الامريكي الى الجمعية العامة للامم المتحدة الى الاتحاد السوفياتي لتقوم بجولة موسيقية فى شهر ماي المقبل

* جاء من موسكو ان مجموعة مؤلفات مارك توين المترجمة الى اللغة الروسية قد نفذت كلها فى يوم واحد فى موسكو ولنتفراد ومدن اخرى روسية .

* اعلن مجلس السوفيات الاعلى ان مشروع التعليم الثانوي الجديد الذي يتحتم بموجبه على التلاميذ العمل فى مؤسسات الدولة انما يهدف مصلحة الصغار وتنشئتهم تنشئة حسنة . وقال العلامة ايفان كايروف رئيس اكاديمية العلوم اثناء تقديمه تقريرا عن الاصلاحات المقترحة ان التعليم الثانوي سيكون على مرحلتين الاولى اجبارية ومدتها ثماني سنوات : والثانية لمواصلة الدراسة فى مختلف المدارس والعمل فى الوقت نفسه فى مؤسسات الدولة وقال ان الغاية من ذلك هي ربط المدرسة بالحياة العامة . وتنص خطة اصلاح التعليم على وجوب قضاء الطالبات والطلاب ثلاثة ايام من كل اسبوع فى الصناعة والزراعة ، وثلاثة ايام فى المدرسة .

* ذكرت وكالة طاس ان علماء السوفييت قد اخترعوا آلة تطبع الكتب بدون اشرطة . وبهذه الطريقة يمكن طبع الكتب والمجلات بكميات عديدة فى لحظات وجيزة بواسطة محول تلفزيوني .

* اعلن مجمع العلوم بموسكو اخيرا ان بعض خبرائه قد عثروا على نباتات يرجع عهدها الى ابعد العصور الغابرة ذلك انها وجدت منذ ما يقرب من ثلاثمائة مليون سنة . وهذا ابعد ما يعرف عن التاريخ الغابر .

* جاء من موسكو انه اكتشف فى آسيا الوسطى بحر تحت الارض تبلغ مساحته خمسمائة متر مربع .

* حكمت محكمة العدل اليوغسلافية على مواطنها الكاتب البيني هافيث بخمسة اعوام سجنا ، وذلك لقيامه بالجاسوسية ضد بلاده ولمصلحة ايطاليا

* بيعت في فيينا 300 الف نسخة من كتاب « الدكتور تشيفاكو » لبوريس باسترناك في مدة وجيزة .

* تستعد المانيا للاحتفال بشاعرها شيلر . وسيقام هذا الاحتفال في هذه السنة . وقد سبق لها ان احتفلت بذكراه في سنة 1955 .

* توجد بمونيخ احدى مدن المانيا الكبيرة صحيفة محلية صباحية تطبع على طبقة سميكة من البسكويت حتى يتسنى للقارىء بعد ان يطلع على اهم الانباء ان يستغلها للافطار الصباحي .

* صرح مدير كلية العلوم الطبيعية والكيماوية في جامعة مونيخ بالمانيا الغربية بان عدد خريجي الجامعات الالمانية في تناقص مستمر بسبب مغادرتهم لبلادهم للعمل في الخارج بمرتبات مغرية . وقال ان 30 في المائة من مجموع فيزيائي وكيمالي الولايات المتحدة هم من الالمان .

* في فصل الربيع المقبل سيشرع العمل في باريس في بناء المدينة الدولية للفن .

* هذه هي نتيجة استفتاء بعض المشتغلين بالمسرح فيما بينهم بباريس عن احسن المؤلفين المسرحيين بالنسبة اليهم : 1) موليير ـ 2) شكسبير 3) راسين ـ 4) أنويله ـ 5) شيخوف ـ 6) خيرود ـ 7) لوركا 8) كاموس ـ 9) سارتر ـ 10) كيتري .

* علم ان المهرجان السينمائي الثاني عشر الذي يقام كل عام في مدينة « كان » سيحتفل به في هذا العام بين الاول والخامس من شهر ماي .

* اصدرت منظمة اليونيسكو منذ مدة قريبة كتابا بعنوان « جميع الرجال اخوان » مشتملا على حكم وافكار فلسفية وانسانية للمهاتما غاندي .

* اعلن عالم الآثار الفرنسي كلود شيفير انه اكتشف وثيقة من شانها تصحيح الاعتقاد التاريخي السائد عن اصل فكرة التوحيد في العالم . وقال العالم الشهير البالغ من العمر 60 سنة أنه وجد في انقاض المدينة الكنعانية ـ اوغاريت ـ قطعة فخارية تثبت أن سكان اوغاريت كانوا يؤمنون باله ازلي اعلى منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد على الاقل . واضاف : ان هذه الوثيقة تصحح ما لدينا من معلومات تاريخية فيما يتعلق باصل التوحيد اذ انها تثبت ان الديانة الاوغاريتية حملت نواة هذه الفكرة العظمى قبل الديانة اليهودية . وقد سجل الدكتور شيفير هذا الكشف العظيم على الشاطىء السوري الشمالي في نفس المدينة الاثرية التي اكتشفت فيها عام 1949 الابجدية الاوغاريتية المؤلفة من 30 حرفا والتي ثبت فيما بعد انها اقدم الابجدية المعروفة في التاريخ . وقد اذاع العالم الفرنسي ذلك في محاضرة القاها قبل سفره الى باريس عن نتائج حفرياته الموسمية لعام 1958 في آثار اوغاريت عاصمة المملكة الكنعانية التي حملت هذا الاسم والتي حكمت وازدهرت في سوريا في القرن الخامس عشر قبل الميلاد . ومما يذكر ان الدكتور شيفير ما زال يواصل تنقيباته السنوية في آثار اوغاريت منذ ان تم الكشف على المدينة لثلاثين عاما خلت . وقد اوضح شيفير انه وجد الوثيقة الجديدة في مكتبة كان يملكها احد المثقفين الاوغاريتيين . وقد تضمنت هذه القطعة الفخارية مقارنات بين الديانة المحلية التي كانت سائدة في الشرق القديم وهي تبين ان الاوغاريتيين كانوا الوحيدين الذين آمنوا باله ازلي اسمه ـ بعل ـ وكان الاوغاريتيون يسمونه سيد الالهة وابا الزمن مما يدل على ترعرع فكرة التوحيد وازلية الاله لديهم وذلك منذ 3500 سنة أي ان الاوغاريتيون كانوا اول من آمن بالتوحيد في التاريخ المعروف ويبلغ حجم الوثيقة حوالي 26 سم طولا و18 سم عرضا . وقال الدكتور شيفير : ان كتاباتها المسمارية تثبت ايمان الاوغاريتيين بأن بعل يمسك بمقاليد القوة المطلقة كما انها تضمنت اسماء 17 الها مساعدا يعينهم بعل ويصرفهم حسب قيامهم بواجباتهم في مساعدته على تصريف شؤون الرعية . وقال ايضا : ان الديانة الاوغاريتية جمعت الخصائص المميزة لديانات الوحدانية . وقد صرح الدكتور شيفير قبل سفره بانه وجد الى جانب هذا الاكتشاف وثائق تاريخية تثبت قيام تعاون عسكري واقتصادي وتجاري بين مصر الفرعونية وسوريا الكنعانية منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وقال ان هذا التعاون شمل شتى نواحي الحياة حتى ان نساء اوغريت كم يستخدمن ادوات التجميل المصنوعة في مصر ـ عن مجلة « الاديب » يناير 1959 .

* سافر الكاتب الاسباني خوسي لويس فيالونكا ـ المقيم منذ مدة طويلة في فرنسا ـ الى موسكو ليطلب من وزارة الثقافة للاتحاد السوفياتي بان تسمح للروائي والشاعر باسترناك بان يقوم بالقاء محاضرات في الولايات المتحدة تستغرق عشرة اسابيع ابتداء من شهر ابريل . وقد قال الكاتب الاسباني : انا مقتنع بان باسترناك سيحبذ هذه الدعوة وسيتجه الى الولايات المتحدة التي له فيها شهرة كبيرة قبل ان يفوز بجائزة نوبل ، كما ارجو ان تقتنع الحكومة السوفياتية بهذا المشروع الادبي الهام . وباسترناك لا يستطيع الخروج من بلاده الا اذا كان جازما بانه سيعود اليه بدون صعوبات .

※ احرزت الكاتبة دومنيك اوري على جائزة النقد الفرنسية . ودومنيك عضو فى جمعية المطالعة فى منشورات « جاليمار » منذ 1953 وسكرتيرة عامة لمجلة نوفيل ريفيو فرنسيز .

※ اقامت المكتبة الوطنية بباريس معرضا خاصا بالشاعر الفرنسي المعروف « فرنسيس جام » بمناسبة مرور عشرين سنة على وفاته عرضت فيه مؤلفات الشاعر ومخطوطاته وكل ما يتعلق بظروف حياته الادبية .

※ صدر فى باريس كتاب جديد عن غاندي وتولستوي بقلم مارك سمونوف الذي درس فيه علاقة الكاتب الروسي بمحرر الهند .

※ تمثل فى هذه الايام على خشبات المسرح الفرنسي بباريس مسرحيتان لبول كلوديل وهما : « الحذاء الحريري » و « الرهينة » .

※ احتفلت باريس بمرور خمسين عاما على ولادة الموسيقي الفرنسي « دانيال لاسور » فى سهرة موسيقية احياها اصدقاؤه من الموسيقيين وقدموا فيها مختارات من موسيقاه .

※ تعرض الآن فى باريس فى متحف جاكمارت اندري لوحات وآثار فنية للمصور الفرنسي تولوز لوترك

※ لقد ظهرت اخيرا نتائج المسابقات الادبية والفنية لمدينة برشلونة هكذا :

جائزة الرواية أحرز عليها كارلوس روخا .

جائزة المسرح منحت لادواردو كريادو .

جائزة الشعر احرز عليها خيسوس طوماس .

جائزة الشعر باللغة الكاتلانية فاز بها كارلوس فاخيس دي كليمنط .

جائزة الصحافة احرز عليها لويس مارسيلاس

جائزة الموسيقى فاز بها ا. بيريث اوليا .

جائزة الصور فاز بها خوسي كلوسا وخوان راميريث .

جائزة السينما منحت لخوسي انطونيو اسمندي .

※ بمناسبة الاحتفال بعيد الكتاب الاسباني فى يوم 23 ابريل المقبل فان وزارة التعليم الاسبانية أعلنت عن مسابقات عديدة فى الميدان الثقافي خصصت لها جوائز ممتازة .

※ تستعد قرطبة استعدادا عظيما للاحتفال بالذكرى الالفية لقيام الخلافة الاموية بالاندلس . ولم يعلن بعد عن التاريخ المحدد لهذا المهرجان العظيم الذي سيستدعى اليه وفود من جميع أنحاء العالم ، وخصوصا من البلدان العربية والاسلامية كما أنه لم يعلن عن برامج هذا الاحتفال .

※ بتاريخ 11 فبراير الماضي توفى العالم الاسباني ارتورو دبريير . وقد ولد هذا العالم فى ابيلا من اعمال اسبانيا فى 12 نوفمبر 1896 .

※ بيعت فى لندن نسخة من كتاب « المهزلة الالهية » لشاعر ايطاليا الكبير دانتي بمبلغ أربعة آلاف ومائتي جنيه انجليزي . وهذه النسخة طبعت فى 1381 اي بعد وفاة المؤلف بمائة وستين سنة . وهي اول طبعة للكاتب الشهير .

※ فى لندن بيعت فى المزاد العلني النسخ الاصلية لاربع روايات لشكسبير بمبلغ 7500 جنيه استرليني وكان يملكها جايمس فورد الاستاذ بجامعة فيسوتا .

※ نشرت مجلة انجليزية قصة صغيرة كتبتها الاديبة الاسترالية « ايتيل تورنر » وهي فى العاشرة من عمرها . واتضح ان برناردشو سرق موضوع هذه القصة بعد نشرها فى ذلك الوقت ، وجعله موضوعا لروايته المشهورة « بجماليون » .

※ اقيم مؤخرا اول معرض روسي فى لندن واستقبله الانجليز استقبالا باردا ، وهو اول معرض روسي يقام فى الغرب . ويقول النقاد الانجليز ان مدرسة الرسم الانجليزي مدرسة محافظة متأخرة بالنسبة لمدارس الرسم الاوربية الاخرى . وقد احتوى المعرض على معروضات روسية من القرن الثالث عشر حتى القرن العشرين بيد ان النقاد الانجليز اجمعوا على ان فن الرسم فى روسيا متاخر عنه فى الغرب بما لا يقل عن نصف قرن . حتى أن الفن الحديث للقرن العشرين فى روسيا يعتبر «موضة» قديمة بالنسبة للفن الاوربي المعاصر . ومما هو معروف عن تشرشل انه من عشاق المدارس المحافظة على تقاليد الفنون الجميلة حيث انه قال عن المعرض الفني الروسي « انه متاخرا جدا » وكان من ابرز المعروضات فى هذا المعرض لوحة تمثل هتلر وقد جحظت عيناه ووقف على مائدة مليئة بزجاجات الخمر وجلس حول المائدة ضباط يراقبونه بينما قبض على حلقة بيده كمن يلفظ انفاسه .

※ دشن حاكم لندن معرضا من الالات الالكترونية وقد قال فى تلك المناسبة ان الادمغة الالكترونية قادرة على تاليف قطع موسيقية وقطع شعرية وحتى تحرير رسائل الغرام .

❊ ذكرت صحيفة الديلي اكسبريس ان احد اساتذة جامعة لندن المشهورين قد توفي في الطريق العام في قلب مدينة لندن وهو يبلغ من العمر اثنين وسبعين عاما . وكان الاستاذ العلامة الدكتور هاري دور قد افتقد من بيته منذ عيد الميلاد ، ولم يعرف له مكان حتى عثر عليه رجال «اسكوتلانديارد» ملقى على احد ارصفة الشوارع بجوار المعرض العلمي في لندن على شاطيء نهر التايمز . ولما اجرى الكشف عن جثته وجد انه توفي بسبب سوء التغذية الناشيء عن عوز شديد اصاب العلامة الشهير .

❊ افتتح في هذه الايام في نيويورك معرض للرسامين الفرنسيين . وتقدر اللوحات الفرنسية المعروضة في هذا المعرض بمائتي صورة .

❊ لاول مرة في تاريخ المسرح الاميركي قدم مسرح «هنتر بلا بهاوس» في نيويورك فرقة الراقصين والراقصات السلافيين الاهلية .

❊ اضيفت في الاسابيع الاخيرة الى قسم المخطوطات الاسلامية بمكتبة الكونغرس الاميركية مجموعة جديدة تتألف من مآت الصور الفتوغرافية التي تصور آثار فن العمارة الاسلامية . ويضم القسم المذكور الآن ما يزيد عن 77 الف صورة ووثيقة لاهم مظاهر الفنون الاسلامية ، ومن بينها فن العمارة العمارة الاسلامية .

❊ نعت لوس انخيليس الكاتب الالماني ليون توشتونجير .

❊ توفي اخيرا ببوينوس ايريس العلامة احمد حسن الزمام رئيس الجمعية العلوية الاسلامية بها .

❊ دخلت جريدة « البيان » النيويوركية في سنتها التاسعة والاربعين . وقد انشاها المرحوم الشيخ سليمان بدور في مدينة نيويورك سنة 1910 وغير خاف على القراء ما قامت به هذه الجريدة من الاعمال المناصرة والدعاوة الرحبة العميقة لقضية الجزائر والمغرب وتونس ايام الانتداب .

❊ سمح اخيرا للمعلمين بمدينة « بريغمن » بانجلترا بعقاب التلاميذ ضربا (وكان الغي ذلك منذ سنة 1953) ولكن في نطاق محدود جدا لانه لا يسمح الا لمدير المدرسة بأن يضرب التلاميذ ثلاث ضربات ولكن بشرط ان يكون قداقترف ذنبا كبيرا . اما المعلم فليس له الحق الا في ضربة واحدة .

❊ زاد عدد سكان العالم 47 مليونا خلال عام 1958 . وكانت اكبر زيادة في الصين الشعبية ، اذ زاد عدد سكانها 15 مليون نسمة .

❊ يوجد حاليا ستمائة وثمان وثلاثون كلية في العالم موزعة على اربعة وثمانين من البلدان والاقاليم

❊ بتاريخ 6 مارس الماضي القى الاستاذ السيد محمد الفاسي عميد الجامعة المغربية محاضرة بعنوان « المغرب في المحافل الاجنبية » وذلك بقاعة المحاضرات بتطوان التابعة لوزارة التهذيب الوطني .

❊ استدعى مدير التعليم العالي والبحث العلمي مديري المعاهد الاسلامية وعلمائها وممثلي طلابها على التوالي وعقد معهم بحضور رئيس المصلحة اجتماعين .. ويتلخص من محاضر الجلسات ان مدير التعليم العالي استعرض مع السادة العلماء حالة التعليم اليوم ومشاكله وما تعتزم المصلحة ان تقوم به من تحقيق فكرة الوحدة التي يجب ان يتطبع بها التعليم بالمغرب على وجه العموم وعلى المناهج التي تكفل تحقيق هذه الفكرة في التعليم الاسلامي الذي يحق له ان يستمد بالاضافة الى مقوماته الخاصة من الينابيع والاساليب الحديثة حتى يصبح طالب المعاهد الاسلامية موازيا في شمول الثقافة ومتانتها لزميله المتخرج من المعاهد العصرية ليتمتع بنفس القوة لمواجهة الحياة وللاسهام بالحظ الوافر في تحقيق نهضة المغرب الفكرية . ولتنفيذ هذه الفكرة اقتضت الضرورة ان يحقق اصلاح شامل سواء في المناهج او في نظام التفتيش او في النظام الاداري .

❊ يقيم قسم الشبيبة والرياضة التابع لوزارة التربية الوطنية بالمغرب معرضا يدخل في اطار البرامج التي وضعتها منظمة اليونسكو لنشر الانتاج الفني . وهذه هي السنة الرابعة التي نرى فيها هذه المنظمة الدولية تمد المغرب بمجموعة من اللوحات المنقولة ذات القيمة العليا ، والقصد منها تبادل التقدير بين الشرق والغرب فيما يتعلق بالقيم الثقافية فيه . ويتركب هذا المعرض من 72 لوحة ملونة ومنقولة عن رسوم مائية من انتاج فنانين شرقيين وغربيين . وقد وضع لجميع الطبقات لغاية تربوية محضة . وسيكون تحت تصرف الرواد جدول مطبوع يضم ملخصا موجزا لفن الرسم بالالوان المائية وبيانات عن حياة الفنانين المشاركين . واللوحات التي وقع عليها الاختيار تتيح لنا تتبع هذا الفن عبر القرون في العالم وتكشف عن مختلف اتجاهات هذا اللون من الفن في الرسوم المائية الاولى بالشرق الاقصى الى المدرسة الاوربية المعاصرة .

❊ نظمت مصلحة الفنون والآداب الشعبية منذ يوم سادس مارس الماضي تحت اشراف وزارة التهذيب الوطني بمتحف الاوداية بالرباط معرضا للرسوم الزيتية والمائية للفنان الصيني « ضاتك » وقد كان هذا المعرض يحتوي على سبع وخمسين لوحة وصورة تمثل مناحي الحياة من مناظر طبيعية وفواكه وحيوانات وآدميين وباقات زهور في الصين الشعبية واربا .

* دشنت صاحبة السمو الملكي الاميرة عائشة في يوم 9 مارس الماضي مدرسة الممرضات بالدار البيضاء . وتحمل هذه المدرسة اسمها الكريم .

* عقد في اواخر شهر مارس بالقاهرة مؤتمر الطلبة العرب . وضم المؤتمر مندوبين عن جمعيات الطلبة من جميع الدول العربية . وذكرت الصحف المصرية أن هذا الاجتماع عامل قوي في الوحدة العربية وتعزيز القومية العربية . ومن بين المسائل التي درست تأسيس اتحاد عام للطلبة العرب الى جانب جميع المشاكل السياسية والاقتصادية التي تهم اوطانهم وتوحيد الجهود والوسائل في كفاح الدول العربية في سبيل حريتها ووحدتها .

* وصل الى الرباط اخيرا الاستاذان الدكتور علي راشد استاذ القانون الجنائي بكلية الحقوق بجامعة (عين شمس) والدكتور عبد الفتاح عبد الباقي استاذ القانون المدني بجامعة القاهرة لالقاء عدد من المحاضرات على طلبة كلية الحقوق بجامعة الرباط وذلك بدعوة من الجامعة .

* نظم قسم الشبيبة والرياضة مسابقة في كتابة القصة المغربية الشعبية . وافتتحت المسابقة من اول مارس 1959 وتستمر الى متم يونيه من السنة نفسها .

* نظم قسم التعليم العالي والبحث العلمي سلسلة محاضرات في مختلف المدن المغربية في نطاق الثقافة الشعبية . وقد تفضلت نخبة من اساتذة المعاهد الاسلامية فاستجابت لهذه الدعوة .

* في يوم 9 مارس الماضي اقامت جريدة « العلم » حفلة تابين للمرحوم الاستاذ عبد الرحمن انجاي وذلك في الغرفة التجارية بالرباط . وقد تراس هذا التأبين الاستاذ علال الفاسي .

* ذكرت جريدة «البيان» النيويوركية في احد اعدادها الاخيرة خبرا ورد ذكره في حديث الاستاذ الفاسي عميد الجامعة المغربية اجراه مع اذاعة القاهرة عندما كان حضرته في الاقليم المصري وهذا هو الخبر « ... ان المغرب سيحتفل بمرور الف ومائة سنة على انشاء جامعة القرويين ، وسيكون هذا الاحتفال في هذه السنة 1959 .. » كما جاء في هذا الحديث « ان عدد الطلبة في جامعة المغرب الف طالب منهم احدى عشرة طالبة واحدة منهن في كلية العلوم وعشر في كليتي الحقوق والاداب » .

* افتتح في شهر مارس الماضي بالمملكة الليبية جامعة محمد بن علي السنوسي . ستكون بها ثلاث شعب في كلية واحدة الاولى لدراسة علم الكلام والتوحيد والتفسير والحديث والعلوم وتؤهل المتخرج منها ليكون داعيا للاسلام والثانية للتخصص في دراسة الفقه الاسلامي واصوله والفقه المقارن لتخريج القضاة والمحامين وعلماء الافتاء . والشعبة الثالثة لدراسة اللغة العربية وآدابها لتخريج علماء في اللغة والادب . وافتتح الى جانب ذلك معهد للقراءات لتدريس علوم القراءات القرآنية . وستكون الدراسة بهذه الجامعة على ثلاث مراحل دراسية ابتدائية وثانوية وعالية كما سيكون بها قسم عال مدة الدراسة به سنتان للمتخرجين من احدى الشعب الثلاث يمنح خريجوه شهادة أعلى من الليسانس .

* تقرر اصدار دائرة معارف عربية (انسكلوبيديا) ويشرف على هذا العمل وزارة الثقافة والارشاد القومي بالقاهرة وسوف يشارك في اعدادها مديرو الجامعات في الدول العربية وعدد من العلماء والاساتذة والباحثين العرب والاجانب . وستؤسس الوزارة دارا للطباعة والنشر تقوم على طبع هذه الدائرة . وقد قدرت تكاليف هذه الموسوعة العربية بحوالي مليون جنيه مصري وقدر لاكتمالها عشر سنوات .

* اجتمع الاستاذ كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة بالاستاذ عبد الخالق الطريس سفير المملكة المغربية بالقاهرة وتناول الحديث التعاون الثقافي بين الجمهورية العربية المتحدة والمغرب .

* صدر في شهر مارس في العراق طابع تذكاري تخليدا للشاعر العراقي المعروف معروف الرصافي .

* 700 الف جنيه : التقدير النهائي لنفقات مؤتمر الادباء بالكويت : نفقاته الرسمية فقط . ولقد ضربت حكومة الكويت الرقم القياسي في السخاء بالنظر للمؤتمرات السابقة التي تكلفت 20 في المائة فقط من هذا المبلغ .

فهرس العدد السابع ـ السنة الثانية

صفحة الجزائر :

مطالعات وآراء :

في النقد الادبي :

دعوة الحق

مجلة الانتاج الرفيع ، والمستوى العالي . مجلة العالم والاديب والفنان والشاعر .

*

« دعوة الحق » تقرأ فيها الابواب الثابتة التالية :

1) العدد الماضي في الميزان
2) في النقد الادبي
3) مطالعات وآراء
4) من تراثنا الفكري
5) من تراثنا الادبي
6) انباء ثقافية
7) بريد دعوة الحق
8) القراء يسألون

الى جانب كثير من البحوث والدراسات والمقالات والقصائد والقصص الرائعة

*

لخدمة الثقافة والفكر والادب ، ابعثوا بانتاجكم الى مجلة «دعوة الحق»

*

لاتشترط مجلة «دعوة الحق» فيما تنشره الا شيئا واحدا فقط ، هو أن يكون من مستوى فكري معين ، لاينبغي لمجلة تحترم نفسها واهدافها ان تنزل عنه او تتسامح فيه .

*

للمساهمة في النهوض بالمستوى الفكري في وطنك ، ابعث باشتراكك الى مجلة « دعوة الحق » .

مدرسة لصناعة « السجاد » ومن المناظر المألوفة فى مثل هذه المدرسة فى المغرب رؤية بنات صغيرات فى السن يزاولن فى خفة ومهارة هذه المهنة ، وذلك تحت اشراف معلماتهن ، او بالاستعانة بالتصميم الموضوع للزربية المراد صنعها .

مطبعة فضالة – فضالة